القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ
Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021

حوار: المفكر والخبير الأردني محمد حلايقة

غزّة وملف الإعمار: النازحون يفقدون الأمل

الميادين السورية: مدينة الحروب منذ الأزل

لبنان: أي سيناريوهات بعد اعتذار الحريري؟ 02
سعيد يقطين: من هم مؤلفو القرآن؟ 23
كاس أوروبا: كيف فعلها مانشيني مع إيطاليا؟ 38

السودان: أزمة وطنية وسلطة متنافرة

تتفاقم أزمات السودان السياسية والاقتصادية والأمنية، وتتزايد الانقسامات في صفوف الحكم بين القيادات العسكرية والمدنية، وتضيف الصراعات القبلية عناصر تأزم أكثر ضغطاً على سلطات متنافرة غير موحدة من حيث إدارة دفة الحكم، وغير منسجمة إزاء مختلف البرامج الإصلاحية الضرورية. ولم يكن غريباً أن يدق رئيس الحكومة ناقوس الخطر فيعلن عن «أزمة وطنية شاملة» يمكن لأخطارها أن تهدد «وجود السودان نفسه»، خاصة وأن بنود التأزم تشمل الوضع الاقتصادي والعدالة والسيادة الوطنية ومتابعة مسيرة السلام الداخلي وتوحيد مراكز القرار والاحتقانات الاجتماعية الناجمة عن الغلاء والفساد وعجز المؤسسات المختلفة.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

معركة لَيّ الأذرع أوصلت اللبنانيين إلى قعر جهنّم فأي سيناريوهات بعد اعتذار الحريري؟

مواجهات بين الجيش ومحتجين في بيروت

لا حكومة من دون ضوء أخضر من حزب الله، وكان واضحاً سعد الحريري في معاتبة الحزب على عدم ممارسته جهداً كافياً مع حليفه جبران باسيل لتسهيل تأليف الحكومة.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

أعاد اعتذار الرئيس المكلّف سعد الحريري الأزمة السياسية في البلد إلى النقطة صفر، وتبدّدت الآمال بتشكيل حكومة إنقاذ تضع لبنان على سكّة المسار الإصلاحي. وفي انتظار معرفة موعد الاستشارات النيابية الملزمة التي سيحدّدها رئيس الجمهورية ميشال عون، تزدحم الأسئلة حول هوية من سيخلف الحريري تكليفاً وإذا كان سيحظى بمباركة بيت الوسط.

ولعلّ أحد الدروس المستخلصة من هذه الأزمة أن لا حكومة من دون ضوء أخضر من حزب الله، وكان واضحاً سعد الحريري في معاتبة الحزب على عدم ممارسته جهداً كافياً مع حليفه رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل لتسهيل تأليف الحكومة، وموجّهاً إليه رسالة صريحة بأن «الحليف ليس أهم من البلد». وما يسري على حزب الله يسري على المملكة العربية السعودية التي لا يمكن لأي رئيس مكلّف ولأي حكومة أن تنجح وتستقطب المساعدات من دون رضى السعودية. وهذا يطرح عملياً معادلة من هو القادر على إرضاء السعودية من دون أن يصطدم بفيتو حزب الله؟ ومن هو القادر على نيل رضى حزب الله من دون الاصطدام بفيتو من السعودية؟ وأي دور سيكون لفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ومصر وروسيا في ظل «عجز زعماء لبنان عن الاتفاق في ما بينهم والتدمير الذاتي الذي يقومون به» وفق تعبير وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان؟ ومن هو رئيس الحكومة المكلّف الذي سيتولى المهمة الانقاذية شبه المستحيلة في وقت الانهيار؟

وقبل كل تلك الأسئلة والأجوبة عليها، فإن هموم اللبنانيين باتت في مكان آخر، وأكثر ما يشغل بالهم هو كيف يخرجون من قعر جهنّم الذي أوصلتهم إليهم المنظومة الحاكمة مع بلوغ سعر صرف الدولار عتبات غير مسبوقة تجاوزت 23 ألف ليرة، وهل سيكونون قادرين على تأمين قوتهم اليومي وأدويتهم وطبابتهم والبنزين لسياراتهم؟ وربما أبعد من كل ذلك، هل سيبقى الأمن مضبوطاً أم ستحلّ الفوضى الاجتماعية وتهدّد الاستقرار، فيما المنظومة عينها لا تبالي إلا بما تحصده من حصص وزارية تحت شعار حفظ حقوق هذه الطائفة أو تلك أو دفاعاً عن صلاحيات هذه الرئاسة أو تلك.

فمع تقديم الحريري اعتذاره يدخل لبنان في المجهول ويصبح الباب مفتوحاً أمام كل المخاطر المعيشية والاجتماعية والسياسية والأمنية، وإن الاحتجاجات الشعبية التي تُسجّل بين منطقة وأخرى تنذر بالاتساع وبالتحوّل إلى تحركات عنفية في مواجهة السلطة المستهترة بمصير الناس والتي تغلّب مصالحها الخاصة على المصلحة الوطنية. لكن الأخطر هو أن تتحوّل هذه الاحتجاجات وما يرافقها من قطع طرقات حيوية كطريق بيروت الجنوب الحيوي لحزب الله عند نقطة الناعمة أو برجا إلى اشكالات طائفية ومذهبية.

وفي ظل هذه الأجواء المليّدة بالغيوم الداكنة، تنفرج أسارير العهد بلي ذراع الرئيس الحريري وعدم تمكينه من بلوغ السراي الحكومي، من دون أن يدرك كلفة هذا «الانتصار» على البلد الذي لم يشهد في تاريخه المعاصر انهياراً مماثلاً. وهذا العناد والتعنّت يذكّر بحالة التمرّد التي عاش مرارتها اللبنانيون عامي 1989 و1990 وتخللّها حربان مدمّرتان قبل أن يستدرج عون تدخلاً عسكرياً سورياً في 13 تشرين الأول/أكتوبر أطاحت به من قصر بعبدا. والمفارقة أن هذه الذكرى التي شكّلت هزيمة للمسيحيين وكلّفتهم أثماناً غالية من الدمار والقتل والتهجير تحوّلت إلى ذكرى انتصار يتم الاحتفال بها سنوياً تحت شعار «يستطيع العالم أن يسحقني لكنه لن يأخذ توقيعي» وقد جرى تطبيق المعيار ذاته في عملية تأليف الحكومة، فبقي رئيس الجمهورية متمترساً وراء الثلث المعطّل وتسمية الوزيرين المسيحيين وعدم منح الثقة وصولاً إلى إمتناعه عن توقيع التشكيلة الحكومية حتى لو كانت الكلفة سحق البلد.

ويُضاف هذا الإنجاز إلى مسلسل التعطيل بالتحالف مع حزب الله بدءاً من توقيف تأليف إحدى الحكومات إلى حين توزير الصهر جبران باسيل الخاسر في الانتخابات النيابية في قضاء البترون، إلى التغطية المسيحية لسلاح الحزب والحرب المدمّرة في تموز/يوليو 2006 إلى تعطيل البلد لأكثر من سنة لتطيير حكومة الرئيس فؤاد السنيورة، إلى تطيير حكومة الرئيس سعد الحريري بعد استقالة ثلث الوزراء من الرابية تحت حجة الشهود الزور، إلى إبقاء رئاسة الجمهورية في فراغ لأكثر من سنتين إلى حين القبول بانتخاب ميشال عون رئيساً، وصولاً إلى المغامرة اليوم التي قد تتحوّل إلى أزمة حكم واستعصاء في استشارات التكليف.

وما يستدعي التعجّب هو حالة الإنكار المتمادية لدى العهد الذي لطالما وعد «الشعب العظيم» بتسليم البلد أفضل مما تسلّمه، واعتباره أن «لبنان سيتجاوز الظروف الصعبة ولا شيء يجب أن يحبط اللبنانيين» إضافة إلى ذرف الدموع على اعتذار الحريري والتعبير عن الأسف والحزن بحسب أوساط التيار الوطني الحر التي لفتت إلى «أن نية التعاون معه كانت قائمة، بما ومن يمثل» وقولها بعد فوات الأوان إن «النيات كانت حسنة على عكس ما تمّ الترويج له، لو تمّ الالتزام بسقف الدستور والميثاق ووحدة المعايير، ولأن تسعة أشهر تقريباً ضاعت من عمر الوطن، كان يمكن استثمارها بالتكافل والتضامن بين الجميع لبدء مسار الخروج من الأزمة، عبر تطبيق الإصلاحات المعروفة وتأمين الدعم المالي الخارجي».

البيت الأبيض يتجاهل المخاوف من سيطرة طالبان على السلطة

بايدن نفذ شعار «أمريكا أولاً» عندما قرر الانسحاب من أفغانستان

الصورة: عنصر من القوات الأفغانية بالقرب من قندهار

مع خروج القوات الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلسي، سيطرت طالبان على عشرات المناطق، وقالت وزارة الدفاع الأمريكية إنه من الواضح أن الجماعة عازمة على الاستيلاء على السلطة بالقوة.

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

يحظى قرار الرئيس الأمريكي جو بايدن بالانسحاب الكامل من أفغانستان بشعبية ساحقة، لدرجة أن الرئيس السابق دونالد ترامب قدم مدحاً نادراً للقرار، الذي يحظى أيضاً، بتأييد من الحزبين الديمقراطي والجمهوري، ولكن الأيام الأخيرة شهدت نشر العديد من التعليقات الرفيعة المستوى الناقدة للانسحاب من «الحرب التي لا نهاية لها».

وعلى سبيل المثال، تجنب الرئيس الأسبق جورج دبليو بوش بشكل عام الحديث عن خلفائه، كما لاحظت صحيفة «واشنطن بوست» ولكنه حذر من الانسحاب من الحرب، التي شنها بعد 11 ايلول/سبتمبر، وحذر من المآسي والفظائع التي تلوح في الأفق مشيراً إلى أن المترجمين الأفغان سيتعرضون لمجزرة، كما زعم بوش أن المستشارة الألمانية ميركل تتفق معه فيما وصفه بحماقة الانسحاب.

وأثارت تصريحات بوش توبيخاً من أولئك الذين أشاروا إلى دوره في غزو البلاد وقيامه بغزو العراق قبل إنجاز المهمة في أفغانستان، وقالوا إن الخطأ الحقيقي كان في تحويل مهمة مناهضة تنظيم القاعدة إلى مشروع طويل الأجل لبناء دولة بقيمة تريليون دولار.

وتحدث العديد من المحللين الأمريكيين عن مخاطر حقيقية للانسحاب الأمريكي، حيث أصبح من الواضح في الأسابيع الأخيرة أن الانسحاب يمهد الطريق لحركة طالبان بتجاوز الحكومة المركزية الموالية للولايات المتحدة وقال المحللون إن بايدن سيواجه قرارات صعبة في حالة حدوث ذلك في المستقبل القريب.

وبالنسبة لبايدن فإنه لا يريد إلا مناقشة «الأشياء السعيدة» قبل عطلة نهاية الأسبوع ولكنه اضطر للنهاية للدفاع عن تقديم دفاع أكثر كثافة في قضية الانسحاب قائلاً إنه لا يوجد أي شيء يمكن كسبه من البقاء في البلاد، بسبب المشاكل المستعصية هناك.

وأكد بايدن بأنه ليس على استعداد لإرسال جيل جديد من الأمريكيين للحرب في أفغانستان من دون توقع معقول بتحقيق نتيجة مختلفة.

وفي خطاب ألقاه من البيت الأبيض، نفى بايدن أن يكون استيلاء طالبان على السلطة حتمياً، وقال إن من المستبعد للغاية أن تتغلب طالبان على كل شيء وتسيطر على الدولة بأكملها.

كما ألقى المسؤولية بشكل مباشر على القيادة الأفغانية وقوات الأمن لحماية كابول، وقدر أنه «من الواضح أن لديهم القدرة على دعم الحكومة القائمة».

وأثار الجدول الزمني للانسحاب مخاوف من العديد من المشرعين في الكونغرس من الحزبين بشأن المترجمين الأفغان وعائلاتهم، ولكن البيت الأبيض تعهد بإجلاء آلاف الأفغان إلى مكان خارج القارة الأمريكية في انتظار معالجة القضية كجزء من برنامج تأشيرات الهجرة الخاصة.

وكشف بايدن أنه تشاور مع الرئيس الأسبق باراك أوباما وسلفه جورج دبليو بوش في نيسان/أبريل، وقال أوباما إن بايدن أتخذ القرار الصحيح، كما أعلن ترامب أن انسحاب القوات الأمريكية بأنه «شيء رائع وإيجابي».

ومع خروج القوات الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلسي، سيطرت طالبان على عشرات المناطق، وقالت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) إنه من الواضح أن الجماعة عازمة على الاستيلاء على السلطة بالقوة.

وحاولت إدارة بايدن تنشيط المفاوضات بين طالبان والحكومة الأفغانية، وقال مسؤول كبير في الإدارة إن الولايات المتحدة لا تزال واثقة من أن القوات المسلحة الأفغانية لديها الأدوات والقدرات للدفاع عن البلاد، وأن الصراع في نهاية المطاف يتعين حله على طاولة المفاوضات.

وحذر محللون أمريكيون من أن أفغانستان مقبلة على حرب أهلية، في حين حذرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة من أن البلاد تواجه «أزمة إنسانية وشيكة» داعية إلى وقف العنف.

ووفقاً لتحليل قدمته شبكة «إن بي سي» فإن بايدن نفذ فكرة «أمريكا أولاً» عندما قرر بحزم الانسحاب من أفغانستان، ولكنه لا يستطيع قول ذلك، ولاحظت أن بايدن يتمتع بنوع من الغطاء السياسي في قضية الانسحاب إذا تغيرت مشاعر الناخبين بمرور الوقت.

ومن الواضح أن الانسحاب يوحد الديمقراطيين، الذين يدعمونه بأغلبية ساحقة، في حين أن الجمهوريين أكثر انقساماً حوله.

وأصر بايدن على أن الولايات المتحدة قد حققت أهدافها في أفغانستان، ووضعها في أطار ضيق حول قتل زعيم القاعدة أسامة بن لادن والتأكد من أن البلاد ليست ملاذاً للإرهابيين، ولكن بن لادن مات منذ أكثر من عقد وتلاشت قدرة القاعدة على شن هجمات على أمريكا قبل ذلك بوقت طويل، مما يشير إلى أن العقد الأخير من المشاركة الأمريكية كان غير ضروري للمهمة.

وعرّف أوباما النجاح في أفغانستان في عام 2009 على أنه تحقيق الاستقرار، في حين أكد العديد من المحللين أن الانسحاب سيؤدي إلى زعزعة الاستقرار.

ووصف النائب الجمهوري عن ولاية أوهايو، مايك تورنر، الانسحاب بأنه استسلام، على الرغم من أنه لا يعارض إنهاء العمليات العسكرية في أفغانستان، ولكنه يعتقد أن بايدن تخلى بشكل غير مسؤول عن القوات الأفغانية من دون سابق إنذار.

وعلى أية حال، الولايات المتحدة بصدد إنهاء أطول حرب في تاريخ البلاد، وعلى الرغم من أن بايدن حدد يوم 31 اب/أغسطس كموعد نهائي رسمي لخروج القوات الأمريكية من أفغانستان، إلا أن الانسحاب اكتمل بنسبة 90 في المئة في وقت سابق من الأسبوع الماضي.

فلسطين: مأزق «الحوار الداخلي» وكارثية سقوط السلطة

تبرز الانتخابات بصفتها بندا أساسيا على أجندة أي حوار فلسطيني، فهي مطلب بعض فصائل منظمة التحرير ومؤسسات المجتمع المدني والحراكات الشبابية وحركة حماس.

سعيد أبو معلا

هناك ما يشبه الإجماع على أن الحوار الفلسطيني الفلسطيني أصبح اليوم حاجة ماسة، إنه الحل لتجاوز الأزمات المركبة والمعقدة. هذا الحوار الذي يبدو بمثابة «فريضة غائبة» يواجه مأزقا كبيرا، رغم كونه تجاوز حاجة فعلية لأكبر فصيلين فلسطينيين، فهو مطلب لحالة وطنية عامة بعد تأجيل الانتخابات ومقتل المعارض السياسي نزار بنات والعدوان على غزة.. الخ، وكل ما ترتب على ذلك من تأزيم للواقع السياسي الفلسطيني.

حركة فتح وبعد تعاليها عن مطالب وأصوات حقوقية ومؤسسات أهلية وفصائل منظمة التحرير وحالة من الاحتكام للشارع، دعت قبل أيام على لسان نائب رئيس الحركة محمود العالول للحوار.

وعلى إيقاع الأنباء القادمة من تصريحات أمريكية وتسريبات إسرائيلية تشير إلى أن هناك «خطوات بناء ثقة» بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي جاء بيان «الملتقى الوطني الديمقراطي» الذي يرأسه الدكتور ناصر القدوة ليؤكد أن «الأولوية الفلسطينية يجب أن تكون باتجاه الحوار الفلسطيني–الفلسطيني، والعمل على إعادة بناء المنظومة السياسية الفلسطينية بما يخدم المصالح الوطنية، ويعزز الصمود».

وجاء في البيان أن ذلك لا يتم إلا «عبر تشكيل جبهة إنقاذ وطني عريضة يقودها جسم انتقالي يوحد الكيان السياسي وتنظم الانتخابات الرئاسية والتشريعية وتعيد تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني من خلال الانتخابات لضمان أوسع تمثيل ممكن لشرائح الشعب الفلسطيني».

الأكاديمي والباحث في قضايا التنمية السياسية الدكتور إبراهيم ربايعة يرى أن أبرز ما يعيق الحوار الفلسطيني الداخلي، وتحديدا في الضفة الغربية وعلى خلفية الأزمة التي نشبت بعد مقتل المعارض السياسي نزار بنات، هو مسألة حضور الانقسام السياسي بين فتح وحماس فيه، فرغم دعوات الحوار، اليوم، لكن غياب الأرضية التي يقوم عليها هذا الحوار مشكلة بحد ذاتها، فليس هناك من وضوح لدى الأطراف المختلفة والمتناقضة حول ما هي أجندة هذا الحوار ولا ما هي غاياته.

ويضيف: «هل دعوات الحوار اليوم تتصل بمسألة أكبر من الأزمة الأخيرة، بمعنى هل فكفكة الملفات العالقة بين فتح وحماس بشكل كامل جانب من الحوار، أم هو حوار متصل بقضايا محددة؟».

ويؤكد بعض مطالب الحراكات والمؤسسات الحقوقية لا تقوم على أساس جذري في التعامل مع جذور أزمة النظام السياسي الفلسطيني، هناك تكلس بالحالة الفلسطينية وهي مسألة تشمل كل النظام السياسي وبالأساس منها الصراع بين حماس وفتح.

ولا يرى ربايعة في خروج فتح للشارع في الضفة الغربية، خلال الفترة الماضية، بالأمر الموجه إلى الحراكات الفلسطينية الشعبية والشبابية وإنما موجه بالأساس لحركة حماس التي تتصارع على الشرعية مع حركة فتح، حيث يطفو الحديث عن الثقل الجماهيري ومن يمتلك الشرعية.

ويؤكد أن خلف دعوات الحوار التي لم تترجم علنا حتى اللحظة حوارات بين حماس وفتح، «لكنها حوارات خلف الكواليس وبعيدا عن الأضواء، وفي حال تم الوصول إلى نتائج إيجابية يمكن أن نشهد حلحلة في الملف الفلسطيني الداخلي برمته. الأمر يعتمد إلى ما ينتج عن هذه الحوارات غير المعلنة».

ويستبعد ربايعة قدرة توافقات حماس وفتح في إنقاذ الحالة الوطنية الفلسطينية، فالأساس من وجهة نظره عملية «إدارة الانقسام التي تعتبر السيناريو الأقرب على المدى المنظور، لأن فكفكة الحالة الفلسطينية تعني خسارة فتح لمنظمة للتحرير، وخسارة حماس لقطاع غزة وهذا ما لا يقبله الجانبان».

ويتابع: «كل يريد أن يظهر على أنه يملك الشرعية، ويريد استخدامها لتقوية موقفه وتأكيد حضوره، حماس مثلا تحاول إسناد الحراكيين والقوى الحقوقية في الضفة الغربية في مطالبها بقضية نزار ومسألة الانتخابات، وهي أمور تخدم مصالحها في إضعاف فتح والسلطة بشكل عام، والسلطة وفتح تحاولان كسب الشارع عبر إظهار قوتها فيه، كي لا تنكسر أمام هذا التيار الكبير».

«إنها عقدة حماس وفتح ما زالت الأساس، ولن ينجح أي حوار بدون حل هذه العقدة المستعصية» بحسب ربايعة، الذي يشير إلى أن «أزمة النظام السياسي الفلسطيني بنيوية والتحلل منها يتطلب تفكيك شبكة معقدة من المصالح والترسبات والتكلسات التي خلقها الانقسام طوال أكثر من 15 عاما».

على حافة الهاوية

وعن الدور المصري وقدرته على التعامل مع هذا الملف بنجاح يؤكد ربايعة أن الدور المصري يقوم على أساس «إدارة ملف العلاقات الفلسطينية الفلسطينية وليس على أساس حلحلة هذا الواقع، وفي حال تحققت فإن ذلك يعني فقدانها جانبا من أوراقها».

الجهود المصرية بحسب ربايعة تبقي «الواقع على حافة الهاوية، هذا أمر يخدم النظام المصري، ولن تدفع الإدارة المصرية بالواقع الفلسطيني إلى حلحلة شاملة حتى لو قدرت على ذلك».

وتبرز الانتخابات بصفتها بندا أساسيا على أجندة أي حوار فلسطيني، فهو مطلب بعض فصائل منظمة التحرير ومؤسسات المجتمع المدني والحراكات الشبابية وحركة حماس، حول ذلك يقول ربايعة: «نقرأ نزول فتح للشارع على أنها محاولة لاستعادة الشرعية التي تم تهديدها والتشكيك بها مؤخرا، ولا أتصور أن حركة فتح ترغب بانتخابات في ظل الوضع الحالي إلا في حال حدوث تحول وتكافؤ في القوة بينها وحماس».

وتحاول فتح جاهدة تصعيد خيار المقاومة الشعبية في الضفة الغربية في محاولة تعدل كفة شعبيتها في مقابل حماس، عن ذلك يؤكد ربايعة أن فتح أمام فرصة لتغييرات إيجابية في جزء منها تعتمد على المقاومة الشعبية التي أضحت خيارا جديا والزاميا لها، لكن وفي صورتها الأكبر تحتاج وتتطلب تغييرات بنيوية وإعادة تعريف لعلاقة فتح بالسلطة وهذا يمكن ان يقود لتحولات في الرؤى والبرامج».

ويتابع: «تماما كما هو الحال مع حماس والتي تعتمد على شرعية المقاومة لبناء شعبيتها، فهي تحتاج لإجابات ملحة على أسئلة اجتماعية اقتصادية في القطاع تحديدا، وهذا ما يعطي فرصة لفتح في القطاع لاستعادة قاعدتها في حال تفككت أزماتها الداخلية».

إسقاط النظام غير مقبول

المحلل السياسي هاني المصري، يرى أن عملية تغيير السلطة وتحويلها لأداة في البرنامج الوطني لا يكون من خلال الإسقاط أو الحل، فهذا الطريق سيؤدي لتعميق الانقسام وسيفتح الطريق للفوضى والفلتان الأمني، فعملية تغُلّب الصراعات الداخلية لن يستفيد منها أحد سوى الاحتلال.

ويؤكد المصري، مدير عام المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية–مسارات، أن الحديث عن إسقاط النظام غير مفهوم ولا مقبول، كون السيادة في أيدي الاحتلال الذي لن يعود إلى أي عملية احتلال مباشرة، فإذا انهارت السلطة، سيعمد إلى تنفيذ خططه لإقامة إمارات في الضفة ضمن خطة شهيرة وضعها الباحث الصهيوني مردخاي كيدار.

ويؤكد المصري أنه لا يجب التغاضي عن فساد السلطة واستبدادها وقمعها وتبعيتها وتعاونها مع الاحتلال، لكن الكفاح ضدها يجب ألا يكون الأولوية، ويجب أن يرى تناقضها مع الاحتلال، بدليل وقف تحويل أموال المقاصة المتكرر لإبقاء السلطة/تين ضعيفة في الضفة والقطاع، ويجب أن يكون فقط عبر وسائل سلمية وجماهيرية وقانونية، وعبر الضغط من أجل إجراء الانتخابات على كل المستويات وفي كل القطاعات، وخصوصًا الانتخابات العامة (الرئاسة، المجلس التشريعي، المجلس الوطني).

وتابع المصري قائلا: «طريق ذلك بلورة جبهة وطنية عريضة تستند إلى برنامج وطني وديمقراطية توافقية، توفر أساسًا للتوافق الوطني الذي يعبّر عن مختلف ألوان الطيف».

ويقر المصري أن «إنجاز الوحدة والشراكة هدف صعب التحقيق، ولكنه قابل للتحقق، وطرحه لا يهدد بخسارة كل شيء».

والتغيير الممكن والمطلوب برأي المصري، يكون من خلال «إعطاء الأولوية للمقاومة، وبعد ذلك الكفاح لإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة، عبر إعادة بناء وتغيير مؤسسات السلطة والمنظمة، على أساس المبادئ والمصالح وتوازن القوى، وبرنامج القواسم المشتركة وأسس الشراكة والتعددية».

إخوان الأردن بفعالية ونشاط داخل «اللجنة الملكية» ومحاولة لـ«تدوير الزوايا» مع الرفاعي

قناة حوار فتحت مع الإسلاميين واستثمروها جيدا وقد تفيد في استعادة ولو جزء من الثقة بعد النفاذ لاحقا وأردنيا من مرحلة صدمة الفتنة وتوابعها.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

لا يوجد أفق سياسي محدد لما يمكن ان يصل إليه الحوار المتفاعل مع الإخوان المسلمين بنسختهم الأردنية داخل لجنة تحديث المنظومة السياسية الملكية.

الأهم في المسألة أن الإخوان المسلمين في الوقت الذي رفعت فيه السلطات دعاوى متعددة لحرمانهم من الشرعية القانونية هم جزء ويبدو أنهم جزء فاعل من أعضاء اللجنة التي تحظى بغطاء ملكي كبير في المشهد الأردني.

تردد أثناء تركيب وتشكيل اللجنة بأن الجهات المختصة وهي حتى الآن غامضة أو غير محددة تفصيلا على الأرجح طلبت من عضو واحد فقط في الذراع الحزبي لجماعة الإخوان المشاركة في لجنة تحديث المنظومة.

لاحقا استقبل الحزب الذي يراقب بصمت تفاصيل ما يجري الطلب بإيجابية، ثم اعترض على التمثيل بعضو واحد في لجنة عريضة وضخمة العدد.

وهنا على الأرجح زادت نسبة التمثيل فانضم المخضرم الشيخ حمزة منصور وعضو البرلمان السابقة ديمة طهبوب والمختص الإسلامي بالتمرير السياسي والنقابي نقيب المهندسين السابق وائل السقا.

على جبهة موازية لهذا التمثيل قليل العدد قياسا بحجم التيار الإسلامي في الخريطة السياسية، شخصيات إسلامية أخرى مستقلة أو قريبة من الحركة الإخوانية في العقيدة السياسية قد لا يزيد عددها عن خمس شخصيات ومع هؤلاء نحو 10 حلفاء مفترضين في أجزاء محددة من الموقف السياسي يمكن للإسلاميين الاستثمار فيهم عبر تقارب تكتيكي.

الانطباع داخل اللجنة يتحدث عن 26 عضوا على الأقل من 91 عضوا بخلفية سياسية وحزبية، هؤلاء يفترض ان محركهم سقف مرتفع في الإصلاح السياسي.

لكن فوجئ بعض المراقبين بأن رئيس اللجنة سمير الرفاعي يصر في المجالسات الجانبية على هامش أعمال اللجنة على ان السقف الملكي المأمول حتى اللحظة وبالتجربة واللمس أكبر من سقف حتى المعارضين الموجودين والمسيسين في اللجنة.

اشار الرفاعي لذلك مرتين في أقل من أسبوعين أمام «القدس العربي» وفي مناسبتين مختلفتين.

لكن ما يرد من انطباعات حول نطاق اهتمام النشطاء السياسيين الممثلين في اللجنة هو الإشارة إلى أن منطقة رفع سقف التوقعات في الإصلاح السياسي هي حصريا المنطقة التي يمكن ان تشهد تحالفات أو صفقات أو تسويات متقاربة مرة لأغراض التنسيق ومرات لأغراض التكتيك، والمرجح ان لاعبا من الإسلاميين بخبرة وائل السقا هو المتخصص في هذا السياق حيث تدوير الزوايا بتفاعل ديناميكي.

بالنسبة لمن يرغبون برفع سقف إنجاز الإصلاح السياسي في اللجنة الاجماع واضح على الفرصة الأخيرة واللجنة الأخيرة على حد تعبير الأمين العام لحزب الجبهة الشيخ مراد العضايلة، والمطلوب في رأي عضو اللجنة الناشط جدا والديناميكي جميل النمري القيام بجهد للاستثمار في الفرصة والسقف في الهامش الملكي.

وذلك واجب برأي النمري يقع على كاهل أعضاء اللجنة.

يلاحظ النمري مع الملاحظين وعلى هامش دردشة سريعة مع «القدس العربي» بأن التعبيرات المحافظة التي تقف ضد الإصلاح السياسي أو ترتاب فيه أو لا تؤمن فيه عند مناقشتها لا تجيب على السؤال التالي: حسنا ماذا تقترحون إذا؟

يوافق عضو اللجنة أيضا ونقيب المهندسين أحمد سمارة الزعبي على أن مسألة سقف الإصلاح ينبغي ان تبرمج على أساس الاحتياج الوطني الملح والمصلحة العميقة وليس على أساس أجندات أو مواقف سياسية.

ويرى كل من يراقب اللجنة حتى اللحظة وقبل عطلة عيد الأضحى المبارك بأن الرفاعي أولا يصر على ان كل ما سمعه حتى اللحظة دون وتحت سقف الخطاب الملكي.

وثانيا ان التيار المحافظ الموجود بكثرة في الواقع في عمق اللجان الفرعية تعوزه فعلا الإجابة على سؤال الخطوة التالية عندما يكثر من الارتياب أو المعيقات أو الذرائع التي تستنسخ الخوف من الإصلاح خصوصا في لجنتي قانوني الانتخاب والأحزاب، مع ان فكرة باحث وخبير استراتيجي ثقيل الوزن مثل الدكتور انور الخفش عن ملف الإصلاح هو ان العملية الجارية في الأردن وكما أبلغ «القدس العربي» لا فائدة ترجى منها إذا لم تنته بتأصيل يتجاوز نصوص القانون فقط بالدولة المؤسسات ومنهجية المواطنة والهوية الوطنية الموحدة. الانطباع بالمقابل كبير بأن جملة التكتيك الناعمة بين الإسلاميين تحديدا والرفاعي داخل أطر اللجنة قد تفيد لاحقا في إعادة قراءة وتقييم الموقف تجاه مسألة الجماعة والتيار الإسلامي على المستوى المرجعي الأردني بعيدا عن البقاء في الاعتبار الملفاتي الأمني فقط دون السياسي.

طبعا الإستعجال ببناء إستنتاجات لاحقة للتواصل والتفاعل داخل اللجنة وخارجها بين الرفاعي والإسلاميين قد يربك أي مسيرة للتقدم نحو حوار فاعل، فالرفاعي حتى اللحظة يتحرك في ضوء محددات ملكية ولا يمثل سلطة التنفيذ، إلا ان قناة حوار فتحت مع الإسلاميين واستثمروها جيدا وقد تفيد في استعادة ولو جزء من الثقة بعد النفاذ لاحقا وأردنيا من مرحلة صدمة الفتنة وتوابعها.

موسم حرب الوكالات الأمنية في إدلب: التوحد بالقوة حجة «تحرير الشام» للقضاء على المقاتلين الشيشان

يسعى قائد تحرير الشام إلى القضاء على المقاتلين القادمين من الجمهوريات الروسية، فبعد اعتقال الاوزبكي، يقوم اليوم بالقضاء على المقاتلين الشيشان، ليأتي دور الحزب الإسلامي التركستاني قريبا.

منهل باريش

مسلم الشيشاني

في تشرين الأول (أكتوبر) 2018 انتقد قائد المقاتلين الشيشان في إدلب، مسلم الشيشاني أبو الوليد، دعوة مشايخ «الجهاد الشامي» للفصائل الصغيرة بالتوحد مع الفصائل الأقرب للحق.

وأشار الشيشاني حينها إلى أن الكثير من الجماعات المهاجرة اندمجت في بعض الجماعات السورية لكنها عادت وخرجت منها بعد أن تلطخت أيدي تلك الجماعات بدماء المسلمين بسبب الاقتتال بين الفصائل.

وقال في مقابلة مع موقع On the Ground News يومها، إن طالبان لم تفرض على الجماعات الصغيرة الاندماج بها أو بأي من الجماعات الكبيرة. وانتقد الشيشاني في تلك المقابلة دور القادة العسكريين متمنيا قادة أفضل للمنطقة.

اليوم، تشهد جماعة «جنود الإسلام» الشيشانية التي تقاتل النظام في جبل الكبانة، شرق محافظة اللاذقية حملة لتفكيك نفسها وإجبارها على الاندماج داخل هيئة «تحرير الشام» أو إلقاء سلاحها ومغادرة إدلب.

ويأتي كلام أبو الوليد الشيشاني قبل ثلاثة أعوام بمثابة تنبؤ لما يتجه إليه الوضع في شمال سوريا من متغيرات، خصوصا وان الرجل يملك «خبرة جهادية» إذ قاتل الروس لسنوات طويلة، وتعرف فيها على المقاتلين العرب الذين التحقوا للقتال في الشيشان. وعرف عن المقاتلين الشيشان في إدلب ابتعادهم بشكل نهائي عن الخلافات التي حصلت بين الفصائل الجهادية، خصوصا بعد انشقاق الجماعة الشيشانية في سوريا والتحاق أبو عمر الشيشاني وعدد كبير من مقاتليه بصفوف تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

ووجهت «تحرير الشام» تهمة إيواء اللصوص وقطاع الطرق مستشهدين بحوادث حصلت في مناطقة كفر تخاريم وسلقين، ورد مسلم الشيشاني ببيان مكتوب كذب فيه ادعاءات الهيئة.

وفي تسجيل صوتي، حصلت «القدس العربي» عليه، أكد مسلم الشيشاني لمخاطبه اقتحام عناصر «تحرير الشام» مقره العسكري، وانه لا يرغب بخلق أي مشكلة معهم. وأنه لا يستطيع الخروج خلال الفترة المحددة له ولفصيله، والبالغ مدتها أسبوع. واشتكى من تكرار قدوم عناصر الهيئة، وان قيادة الهيئة تقول شيء والعناصر الميدانيون يفعلون شيئا آخر. مشيرا إلى تخوفه من وقوع قتال بين المسلمين وهم لا ينجرون إلى ذلك.

وعلمت «القدس العربي» من مصدر محلي في ريف جسر الشغور الغربي، أن قوة من «تحرير الشام» قطعت الطرق المؤدية إلى مقرات «جنود الشام» وداهمت المقر الرئيسي لهم قرب قرية اليمضية وحاصرته، وحصلت ملاسنة بين الجانبين لم تتطور إلى اشتباك بالسلاح بينهم.

وجرت محاولات من بعض مشايخ السلفية، للتوسط لحل الخلاف، لكنها لاقت رفضاً من الهيئة. وكانت أبرز تلك المحاولات من قبل الدكتور عبد الرزاق المهيدي، خلال جلسات مطولة ليل الخميس/الجمعة، لكنها لم تلق ترحيبا من قبل الهيئة. كذلك رفضت الهيئة طلب مسلم الشيشاني بتشكيل لجنة شرعية مصغرة من عدد من رجال الدين، وتنازل الأخير عن طلب تشكيل لجنة محايدة إلى تشكيل لجنة مستقلة تسميها الهيئة نفسها، شريطة ألا تتبع لهيئة «تحرير الشام» أو أن ينتمي أي من أعضائها إلى الهيئة، لكن طلبه قوبل برفض من قبل الهيئة أيضاً.

وانتهى تطويق مقرات «جنود الشام» مع بدء جلسة بين الجانبين، حاول خلالها مندوب «تحرير الشام» الضغط على الشيشاني بهدف استفزازه. وانتهت الجلسة بدون التوصل إلى اتفاق، وعدم وضوح رؤية الهيئة وتحديد مطالبها.

وفي نهاية الجلسة، طلب مندوب «تحرير الشام» إعادة تموضع انتشار «جنود الشام» الشيشان وإعادة انتشارهم في نقاط غير التي يتواجدون فيها حاليا.

ورغم أن المطلب ما زال أولياً وغير نهائي، إلا أنه يشير إلى رغبة شديدة لدى الهيئة لكسر شوكة الفصائل الصغيرة الخارجة عن إرادتها والتي تتخذ من أعالي جبال التركمان والأكراد موقعا لها وتتحصن فيها منذ سنوات عديدة، وهي التي استبسلت في الدفاع عن تلك المناطق مع كل القصف الجوي الروسي.

وفي سلسلة كسر إرادة الفصائل الجهادية، بعد تأسيس غرفة عمليات «فاثبتوا» بين عدة فصائل جهادية، في 12 حزيران (يونيو) 2020 بدأت «تحرير الشام» بسلسلة اعتداءات على فصائل الغرفة الخمسة، وهي «حراس الدين» و«جبهة أنصار الدين» و«أنصار الإسلام» وتنسيقية الجهاد المنشقة عن هيئة «تحرير الشام» بقيادة أبو العبد أشداء، و«لواء المقاتلين الأنصار» بقيادة «أبو مالك التلي». وتعتبر الغرفة نسخة مطورة عن غرفة عمليات «وحرض المؤمنين» التي أسستها في تشرين الأول (أكتوبر) 2018 حاولت الفصائل الجهادية من خلالها إعادة ترتيب صفوفها بعد أبعاد تنظيم «أنصار التوحيد» عنها، حيث أصبح الأخير، أكثر قربا والتصاقا بهيئة «تحرير الشام» إذ نجحت الهيئة بشق صفه وقامت بتمويل الجناح الأقرب لها على حساب التيار الأكثر تطرفا وقربا من تنظيم «حراس الدين». وبذلك نجحت بتفكيك أكثر الفصائل شراسة وعنفا بين الفصائل الجهادية.

ومع لحظة تأسيس غرفة عمليات «فاثبتوا» شنت الهيئة هجوما على أبو مالك التلي وقامت باعتقاله ولم تفرج عنه إلا بعد موافقته على عدم الانخراط بالعمل المسلح في كيانات أخرى. ولاحقاً بدأت حربها على «حراس الدين» حتى أضعفته بشكل كبير. وقضى قسم كبير من قادة الصف الأول فيه (حراس الدين) بقصف طائرات الدرون الأمريكية في إدلب وهو ما فتح باب الاتهامات واسعة حول من يقوم بتزويد الأمريكان بمواقع وإحداثيات القادة في منطقة منضبطة أمنيا للغاية وتسيطر عليها «تحرير الشام» التي تملك قوة أمنية كبيرة للغاية.

وتناقلت وسائط التواصل الاجتماعي تسجيلاً صوتياً لشخص غير معروف، رجح نشطاء أن يكون عضوا في مكتب العلاقات الإعلامية، ينفي المتحدث أن تكون الهيئة طلبت من الشيشاني «مغادرة إدلب أو أن تجبره على المغادرة. فهذا ليس من أخلاقنا أو من مروءتنا». لكن يمكن ان نوقفه على العمل ونأخذ النقطة (نقطة رباطه مع النظام) التي هو فيها حتى لا يجلب لنا الضرر، كما أوقفنا حراس الدين وجند الأقصى. مشيرا إلى تمني الهيئة أن يقبل الشيشاني وينضم للهيئة أو على الأقل يقبل أن يكون العمل منظما بينه وبين الهيئة و«ما طلبنا أي شيء آخر، لكنه رفض».

وأقر المتحدث أن الهيئة تريد تنفيذ «مشروع توحيد الفصائل بالقوة وأنها تنادي بوحدة الصف الشعب والعسكريين، وستقوم بفرض الوحدة بالقوة على من يرفض هذا الشيء ويكون العمل بيد وحدة وراية وحدة وفصيل واحد وقائد واحد وكلمة وحدة، فلماذا يحارب الجميع الهيئة ويتحدث عنها لأنها تحاول دمج الفصائل تحت قيادة واحدة؟ وستعطي الهيئة المجموعات كل شيء لأن المجموعات لا تملك سلاحا أو دبابات، فالهيئة ستخسر بسبب المشروع ولن تربح، لكن في سبيل الساحة ستوافق مجموعات ومجموعة وافقت وكانت سعيدة». لافتا إلى أن «مشروع التوحد كبير وهناك عدد كبير من المجموعات ستطلب منهم الهيئة الانضمام وسنحل من يرفض بالقوة أو التفاهم».

أخيراً، يبدو أن أبو محمد الجولاني أتخذ قراره بتصفية منطقة «خفض التصعيد» من الفصائل الراديكالية، والمصنفة على لوائح الإرهاب، فبعد ضرب تنظيم «حراس الدين» المبايع للقاعدة قام باستهداف جماعة «أنصار الإسلام» التي تضم مقاتلين إيرانيين في صفوفها.

واليوم يسعى قائد تحرير الشام إلى القضاء على المقاتلين القادمين من الجمهوريات الروسية، فقد اعتقل أبو صلاح الاوزبكي وفتت جماعته، ويقوم اليوم بالقضاء على المقاتلين الشيشان، ليأتي دور الحزب الإسلامي التركستاني في وقت غير بعيد.

ويعتقد الجولاني أنه من خلال هذه الخطوة سيتمكن من التخلص من الفصائل المتشددة في إدلب، وسيبقى هو الفصيل القوي والوحيد القادر على تلبية الخدمات الأمنية للدول والتخلص من مقاتليها المنضويين في التنظيمات الجهادية، وبذلك يحل عقدة المقاتلين الأجانب في سوريا بعد القضاء عليهم.

وهذا يعنى أن «تحرير الشام» تعمل جاهدة للحصول على الوكالة الأمنية للشمال السوري، بضرب الفصائل الملاحقة من روسيا وإيران والصين وأمريكا.

بالتأكيد، فإن قرار القضاء على تلك الفصائل الجهادية يحتاج إلى توافقات دولية تسهل نقلهم وعبورهم أو غض الطرف عنهم، ولا يمكن اعتبار قرار الجولاني قرارا داخليا محليا بدون توافقات إقليمية ودولية. ويرجح أن تبذل تركيا جهودا أكبر في الحفاظ على الهدوء في إدلب مهما قدمت من تنازلات.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ

العراق: سر الانقلاب في قيادة حزب جلال طالباني

لاهور شيخ جنكي

رغم ان أحداث السليمانية تعكس صراع العائلات الكبيرة للسيطرة على السلطة وموارد الإقليم، إلا انه لا يمكن استبعاد انها تجري بعيدا عن خطط إيران، الحليف الأقرب للاتحاد الوطني الكردستاني.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

صفحة جديدة من الصراع على السلطة في العراق ظهرت هذه الأيام إلى العلن، وهذه المرة في إقليم كردستان حول رئاسة حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، ثاني أكبر الأحزاب الكردية العراقية، والمتحكم في محافظتي السليمانية وحلبجة وأجزاء من كركوك.

ومع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية في العراق، نشب الصراع على قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني بين الرئيسين المشتركين للحزب، لاهور شيخ جنكي، وبافل طالباني، ابن الرئيس العراقي الأسبق جلال طالباني، لتبرز مرة أخرى طبيعة الصراع بين الأحزاب على السلطة وامتيازاتها، التي تجعل التحالفات والاتفاقيات السياسية في مهب رياح المصالح الخاصة بعيدا عن مصالح البلد.

وبدأت قصة الخلاف الجديد بين قيادات الاتحاد الوطني الكردستاني، عندما استحصل بافل طالباني، أوامر من حكومة إقليم كردستان، موقعة من رئيسها، نيجيرفان بارزاني، بإقالة قائدي المخابرات ومكافحة الإرهاب في السليمانية المقربين من لاهور شيخ جنكي، وتعيين قائدين مقربين من بافل مكانهما. وإضافة إلى هذا القرار فإن بافل طالباني أخذ يطلق على نفسه تسمية رئيس الاتحاد الوطني، كاسرا اتفاقا سابقا له مع شيخ جنكي (ابن عمه) على الرئاسة المشتركة للحزب عقب وفاة مؤسس الحزب جلال طالباني.

وخوفا من تحول الخلاف إلى نزاع مسلح، فقد زار بافل طالباني برفقة شقيقه ونائب رئيس حكومة الإقليم قوباد طالباني جهازي المعلومات ومكافحة الإرهاب والقيادات الأمنية والعسكرية في السليمانية، شدد خلالها قوباد طالباني على «ضرورة ابتعاد الأجهزة الأمنية عن التدخل في الشؤون السياسية» في تحذير لبعض الموالين لجنكي في الأجهزة الأمنية.

ورغم الوساطات للتقريب بين بافل طالباني ولاهور جنكي، وإجراء لقاء بينهما، إلا أن الأخير لم يكن راضيا، بل نشر بياناً، شدد فيه على أن «الاتحاد يتعرض لمؤامرة خارجية وتعهد بالتصدي لها» مؤكدا إن «التغييرات الأمنية أجريت بالقوة وعبر طرق ملتوية».

وما عزز استمرار الخلاف، ان بافل طالباني، أخذ يطلق على نفسه، صفة رئيس الحزب بدل الرئيس المشترك، ناسيا الاتفاق السابق حول الرئاسة المشتركة للحزب، وذلك بالتزامن مع قيام قوة أمنية تابعة لبافل بإغلاق مؤسسات إعلامية تابعة لجنكي في السليمانية. كما قامت قوة من مكافحة الإرهاب في السليمانية، باعتقال كوادر من مخابرات الاتحاد الوطني في المحافظة قبيل هذه الأحداث، إضافة إلى إعلان إعلام الاتحاد الوطني اعتقال «جاسوس» في منزل زعيم الحزب الراحل جلال طالباني في السليمانية، وأنّ «الجاسوس اعترف بالعمل لصالح شيخ جنكي» مما يؤشر تدهور علاقة الطرفين.

وكان اتفاق قيادة الحزب على الرئاسة المشتركة للاتحاد في شباط 2020 يقضي ان يقود بافل المقرب من القيادات القديمة في الحزب، الشؤون السياسية والإدارية في الحزب، فيما يدير لاهور، ابن عمه، جهازي «زانياري» الاستخباري، وجهاز مكافحة الإرهاب في السليمانية. إلا ان قيام بافل الطالباني الآن بجمع القوة العسكرية للحزب مع السلطة السياسية بيديه، سيجعله رئيس الحزب بلا منازع . علما بأن المؤسسات الأمنية الخاصة (البيشمركه، والمخابرات والأمن) في أربيل والسليمانية خاضعة للحزبين الرئيسيين ومنقسمة ويعمل كل منهما على بمعزل عن الآخر ولم تنجح كل المحاولات لتوحيدها منذ 1990 وحتى الآن.

أما ردود الأفعال على هذه التطورات فكانت متباينة، فالحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة عائلة بارزاني، ذكر في بيان أن «أحداث السليمانية تسببت بحدوث توترات وأوضاع غير طبيعية وقلق المواطنين في مدينة السليمانية والمنطقة عموما» عادا «أن هذا الموضوع يتعلق بالشأن الداخلي للأخوة في الاتحاد الوطني، ونأمل إيجاد حل يصب في مصلحة واستقرار مواطني إقليم كردستان عموماً ومنطقة السليمانية خاصة، بما يزيل مخاوف وقلق الجماهير» إلا أن المراقبين يرون ان حزب بارزاني أحد المشجعين لقرارات الاتحاد الوطني الأخيرة.

أما حركة التغيير، ثاني أكبر أحزاب السليمانية، فقد دعا القيادي فيها محمود شيخ وهاب، إلى إنهاء السيطرة الحزبية على الأجهزة الأمنية في إقليم كردستان، مشددا على إن «الأجهزة الأمنية من البيشمركه والأسايش والشرطة يجب أن تكون بعيدة عن التدخلات السياسية ومهمتها الدفاع عن جميع المواطنين وحماية أراضي الإقليم» محذرا من الدخول في «خانة الفوضى التي تستغل في الصراعات السياسية».

وعموما فالمتتبع لتاريخ الاتحاد الوطني، يجد انه حافل بالخلافات والانشقاقات سواء مع الديمقراطي الكردستاني حزب بارزاني، أو ضمن القيادات الداخلية، ولعل أشهر الانشقاقات انفصال نوشيروان مصطفى وتشكيله حركة التغيير عام 2008. ولعل الصراع الأخير، سيضعف الحزب في الانتخابات القريبة لصالح الأحزاب المعارضة ومنها التغيير والجيل الجديد، وسيعزز الاعتقاد بأن أحزاب العراق منشغلة بالصراع على السلطة وعوائدها أكثر من اهتمامها بحل أزمات الجمهور المتنوعة.

والحقيقة ان واقع عراق اليوم، يؤكد ان من يمتلك السلاح في البلد يمتلك السلطة، وهو السر وراء سعي الأحزاب المتنفذة للسيطرة على الأجهزة الأمنية أو امتلاك ميليشيات، وذلك لغياب الثقة بين قيادات المتمركزين في إربيل من ناحية ثانية. وفي الوقت الذي يعمل فيه غوتيريش على معاودة تشكيل تفويض بعثته بصورة جوهرية، أصدر رئيس الحكومة الدبيبة قرارا يقضي بتشكيل غرفة عمليات مشتركة لتأمين الجنوب.

وعين بموجب القرار وكيل وزارة الداخلية للشؤون العامة، العميد محمود عمر سعيد، رئيسا للغرفة التي ستضم في عضويتها مندوبين عن 11 جهازا أمنيا، بينها جهاز المخابرات وجهاز الأمن الداخلي وجهاز مكافحة الهجرة غير الشرعية.

وفي مقدم المهام التي منحها الدبيبة للغرفة الأمنية الجديدة، «المحافظة على الأمن في المنطقة الجنوبية، بما يضمن إسناد الشرطة، وإعداد الخطط الكفيلة بتأمين حدود البلاد الجنوبية، والتنسيق مع دول الجوار». والمُلاحظ أن من بين المهام الأولى، التي نص عليها القرار الصادر عن مجلس الأمن، الأربعاء الماضي، «تتبُّع تحركات الجماعات الإرهابية ومطاردتها والعمل على القضاء عليها والتنسيق مع الأجهزة الأمنية المختصة في دول الطوق.

Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021

ليبيا: اجتماع روما هذا الأسبوع يحسم مصير الانتخابات

الأرجح أنه سيتعين إرجاء الانتخابات العامة، في انتظار التخلص من المسلحين ومن سلاحهم الثقيل، وهو أحد الشروط التي يتفق عليها الجميع قبل إجراء الانتخابات.

رشيد خشانة

يتجه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى إعادة تشكيل تفويض بعثته في ليبيا بشكل أساسي، بما يمنحها صلاحيات العمل على نزع سلاح الميليشيات. ويتوقع غوتيريش أن يحظى بدعم كل من الولايات المتحدة وألمانيا لهذا الخيار، بعدما اتضح أن حكومة الوحدة الوطنية غير قادرة على ذلك.

غير أن هذا القرار ينطوي على محاذير ومخاطر عدة، إذ أن السيطرة على الجماعات المسلحة لا تتأتى بالبيانات والنداءات إلى تحكيم العقل، وإنما ستُضطر الأمم المتحدة، في مرحلة من المراحل، إلى استخدام القوة. هذا الاحتمال يطرح بدوره على بساط البحث مسألة تشكيل قوات حفظ سلام لمراقبة الأوضاع الأمنية ونزع سلاح الميليشيات والاشراف على رحيل القوات الأجنبية.

إلا أن خبراء عدة غير مُقتنعين بهذا الطرح، وهم يعتقدون أن الجماعات المدججة بالأسلحة لن تتخلى بسهولة عن «الإمارات» التي تتحكم فيها، والتي لا سلطة للحكومة المركزية عليها.

وكان كلام رئيس البعثة الأممية يان كوبيش في هذا الشأن واضحا، لما صارح المشاركين في جلسة مجلس الأمن، التي خصصها لليبيا، الخميس الماضي، بقوله عن أطراف الصراع، الذين يزعمون أنهم مع الحل السياسي «أخشى أن العديد منهم ليسوا مستعدين لتنفيذ ذلك».

أما الدول الوازنة في الأمم المتحدة، مثل أمريكا وفرنسا وألمانيا، فلن تُغامر بإرسال قواتها كي تغوص في رمال الصحراء الليبية، بينما هي بصدد سحب قواتها من قواعدها عبر العالم. واستطرادا فالأرجح أنه سيتعين إرجاء الانتخابات العامة المقررة للرابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر المقبل، في انتظار التخلص من المسلحين ومن سلاحهم الثقيل، وهو أحد الشروط التي يتفق عليها الجميع قبل إجراء الانتخابات.

إعادة العملية الانتخابية إلى مسارها

لم تكن فكرة الإرجاء مطروحة بوصفها أحد الخيارات المكنة، قبل عجز ملتقى الحوار السياسي عن الاتفاق على القاعدة الدستورية للانتخابات الرئاسية والتشريعية، وهو العجز الذي تطلب إعادة العملية الانتخابية برمتها إلى مسارها الصحيح.

وبدا الوضع الراهن كما لو أن هناك سباقا بين البعثة الأممية وحكومة الوحدة الوطنية على تولي الاشراف على نزع سلاح الميليشيات وتسريح عناصرها وإعادة دمجها من ناحية، وترحيل القوات الأجنبية والمرتزقة، من ناحية ثانية. وفي الوقت الذي يعمل فيه غوتيريش على معاودة تشكيل تفويض بعثته بصورة جوهرية، أصدر رئيس الحكومة الدبيبة قرارا يقضي بتشكيل غرفة عمليات مشتركة لتأمين الجنوب.

وعين بموجب القرار وكيل وزارة الداخلية للشؤون العامة، العميد محمود عمر سعيد، رئيسا للغرفة التي ستضم في عضويتها مندوبين عن 11 جهازا أمنيا، بينها جهاز المخابرات وجهاز الأمن الداخلي وجهاز مكافحة الهجرة غير الشرعية.

وفي مقدم المهام التي منحها الدبيبة للغرفة الأمنية الجديدة، «المحافظة على الأمن في المنطقة الجنوبية، بما يضمن إسناد الشرطة، وإعداد الخطط الكفيلة بتأمين حدود البلاد الجنوبية، والتنسيق مع دول الجوار». والمُلاحظ أن من بين المهام الأولى، التي نص عليها القرار الصادر عن مجلس الأمن، الأربعاء الماضي، «تتبُّع تحركات الجماعات الإرهابية ومطاردتها والعمل على القضاء عليها والتنسيق مع الأجهزة الأمنية المختصة في دول الطوق.

في الجنوب... الدولة غائبة

وإذا ما انتقل الدبيبة إلى تنفيذ قراره، فستواجهه الجماعات التي تقاسمت النفوذ في اقليم فزان، في أعقاب انهيار مؤسسات الدولة العام 2011، وكذلك القوى القبلية التي حلت محل الدولة منذ أكثر من عشر سنوات.

ومن الوارد أيضا أن تصطدم جهود حكومة الوحدة الوطنية، على هذا الصعيد، بالدور الذي تعتزم البعثة الأممية القيام به. وتعتزم بعثة الأمم المتحدة تسمية مسؤول أمني خلال الأيام المقبلة، يُرجح أن يكون أمريكي الجنسية، لكي يتولى ملف نزع سلاح الميليشيات، وفق المخرجات التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر برلين الثاني حول ليبيا، الشهر الماضي. وقد يقود التنفيذ المتوازي للخطتين الحكومية الليبية والأممية إلى تضارب المسارين، خصوصا أن مقاومة أمراء الكيانات المسلحة ستكون شديدة لكل من يسعى لتحجيم نفوذهم.

بالإضافة إلى صعوبة استعادة السيطرة على اقليم الجنوب الشاسع بحجم فزان، تجابه حكومة الدبيبة عقبة سياسية أخرى، تتمثل برفض مجلس النواب التصديق على الموازنة. وسيلجأ الدبيبة إلى عرض الموازنة على ملتقى الحوار، لكن إذا لم يوافق أعضاء الملتقى على الموازنة، ستكون المضاعفات كبيرة، ويمكن اعتبارها انهيارا لاتفاق وقف إطلاق النار.

ربما حرصا على إنجاز الانتخابات في ميقاتها المتفق عليه، بادر الدبيبة بتشكيل «اللجنة الوزارية المعنية بدعم وإنجاح الانتخابات». وضبط القرار مهام اللجنة وهي تتمثل في التنسيق بين المؤسسات المختلفة للعمل على دعم وتنفيذ الانتخابات، والتنسيق مع المفوضية الوطنية العليا للانتخابات وتقديم كل التسهيلات لها، إضافة إلى تفعيل الدور المناط بمؤسسات الدولة المختلفة في دعم الانتخابات. إلا أن الاكثار من الهيآت واللجان قد يؤدي إلى احتكاكات بينها ووضع عراقيل إدارية إضافية بسبب البيروقراطية.

جماعة «مجهولة الهوية»

أكثر من ذلك، يُشكك كثير من المراقبين بفرص تحقيق تقدم في العملية السياسية طالما أن الحكومة لا تتحكم في الأوضاع الأمنية، ليس فقط في المناطق الداخلية، وإنما في العاصمة أيضا. وليس أدل على ذلك من اختطاف وكيل وزارة الشباب أحمد أبو بكر ميلاد، الأربعاء، من أمام بيته وتعنيفه على أيدي جماعة «مجهولة الهوية» بحسب السلطات، قبل أن تُفرج عنه في اليوم التالي.

حملت تلك العملية الخطرة دلالات كثيرة على حقيقة الأوضاع في العاصمة، واستطرادا في باقي المدن، حيث تزعزعت المكانة الاعتبارية للدولة، بعدما تكرر عجزها عن ملاحقة الجناة واستنطاقهم ومُعاقبتهم.

وكان عبدالمنعم العرفي مدير مكتب الدعم التقني بديوان مجلس الوزراء، تعرض للاختطاف هو الآخر، الإثنين الماضي، أثناء عودته من عمله، ولم تُعرف الجهة التي خطفته.

وقبل ذلك هاجمت جماعة مسلحة مجمع فنادق «ريكسوس» بالعاصمة طرابلس، بنية الاعتداء على وزيرة الخارجية نجلاء المنقوش، عقابا لها على تصريحات شددت فيها على ضرورة إجلاء جميع المقاتلين والمرتزقة الأجانب من ليبيا بلا استثناء. لكن الهجوم فشل لأن الوزيرة لم تكن يومها في الفندق، الذي تتخذ منه الحكومة المؤقتة مقرا لها.

وزاد الطين بلا اتجاه الأمم المتحدة إلى جعل بعثتها للدعم في ليبيا تتعهد بالقضايا التي لم يستطع الليبيون حسمها، ومنها تسريح الميليشيات ونزع سلاحها وإعادة دمجها وترحيل القوات الأجنبية والمرتزقة. إلا أن المنطق البديهي يقول إن ما لم يقدر عليه أهل البلد، وهم العارفون بشعابه ومنعرجاته ومنخفضاته، لا يمكن أن يقدر عليه الأجانب.

مع ذلك، لم يكن البيان الصادر عن مجلس الأمن في خاتمة اجتماعه الأخير بالقوة المنتظرة، إذ اكتفى بحض السلطات والمؤسسات ذات الصلة، بما في ذلك مجلس النواب، على اتخاذ إجراءات فورية لتوضيح الأساس الدستوري للانتخابات وسن التشريعات عند الضرورة للسماح بإجراء الانتخابات، على أن يُمنح للمفوضية العليا الوقت والموارد الكافية للتحضير للانتخابات، وفقًا للجدول الزمني المنصوص عليه في خريطة طريق ملتقى الحوار السياسي (تونس – نوفمبر الماضي).

والمُلاحظ أن مجلس الأمن ألقى بالمسؤولية في إنجاح المسار الانتخابي على مجلس النواب، إذ شدد في بيانه على أهمية «أن يكون هناك نهج شامل لعملية المصالحة»، مرحباً بدعم الاتحاد الأفريقي في هذا الصدد، وكذلك «المنظمات الإقليمية بما في ذلك جامعة الدول العربية والاتحاد الأوروبي».

تجميد الأصول

يُقر كوبيش بانقسام أعضاء الملتقى خلال اجتماع جنيف الأخير إلى «تكتلات ومجموعات ذات مصالح وانتماءات مختلفة. وسجل أنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على مقترح نهائي للانتخابات، مشيرا إلى أن الوضع في ليبيا بات أكثر صعوبة وتوترًا جراء ذلك الفشل. ورأى المبعوث الأممي أن «جميع القوى الراهنة الجديدة تستخدم تكتيكات مختلفة وحججا غالبا ما تكون مشروعة، لكن النتيجة واحدة وهي عرقلة الانتخابات».

ربما نقطة القوة الوحيدة في بيان المجلس هي التعبير عن عزمه على ضمان تجميد الأصول التابعة لمعرقلي المسار، عملاً بالقرار 1970 لسنة 2011.

لكن الأرجح أن مصير التوصيات الجديدة لن يكون أفضل من التوصيات السابقة، الصادرة عن مجلس الأمن، الذي سبق أن هدد وتوعد بالويل والثبور وعظائم الأمور، من دون أن يُسفر سوى عن كلمات فضفاضة، من دون إجراءات ملموسة، تخص المسألتين اللتين كانتا محور الاجتماع، وهما ترحيل المقاتلين الأجانب وإجراء الانتخابات العامة في ميقاتها.

مع ذلك ما زال يان كوبيش يرى خيطا رفيعا من التفاؤل في المشهد الليبي القاتم، مُعلقا آمالا كبيرة على الاجتماع الذي تستضيفه إيطاليا الأسبوع المقبل، على خلفية إخفاق أعضاء ملتقى الحوار السياسي في جنيف في الاتفاق على قاعدة دستورية للانتخابات.

ويخص الاجتماع اللجنة البرلمانية المشكلة الأسبوع الماضي لصياغة قانون انتخابي يسمح بإجراء الانتخابات في موعدها. وتضم هذه اللجنة من بين أعضائها، رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، وأعضاء المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، بمن فيهم رئيسها عماد السايح.

وتُسهل البعثة الأممية الجهود المبذولة لإيجاد أرضية مشتركة بين الأطراف، من خلال لجنة التوافق المصغرة المُشكلة في جنيف مثلما أسلفنا.

في هذا السياق طلب المبعوث الأممي من كل خمسة أعضاء من الملتقى تعيين عضو يمثلهم من أجل مناقشة القضايا العالقة، وكانت النتيجة تشكيل لجنة من حوالي 13–14 عضوًا، اجتمعت عبر تقنية الفيديو.

كما أفاد كوبيش بتشكيل لجنة برلمانية جديدة الأسبوع الماضي، لصياغة قانون انتخابي يسمح بإجراء الانتخابات في 24 ديسمبر، وهي اللجنة التي تعتزم الاجتماع في إيطاليا الأسبوع المقبل.

حدث الأسبوع

الخلاف العسكري والمدني يقود السودان للغرق والانضمام لنادي الدول الفاشلة

الخرطوم-«القدس العربي»: عمار عوض

يأبى ساق الفترة الانتقالية أن يستوي على عوده، تارة بفعل فاعلين داخليين وخارجيين وأحيانا كثيرة بفعل عجز القادرين على الاتمام ان كان بفعل الكسل الذهني أو لضعف الخبرة. يظلل هذا الواقع كل مناحي الفترة الانتقالية اقتصادا وسياسة وفوضى أمنية وترديا للخدمات مع بعض الإشراقات في الاستقرار النسبي لسعر الصرف للعملات الصعبة منذ شباط/فبراير الماضي أو رفعا للعقوبات وعملية إعفاء الديون. فيما يصارع تنفيذ اتفاقات السلام صعوبة بالغة بعد وقوفه عند حد التعيينات في المستوى السيادي والوزاري وحكم الأقاليم والولايات التي ولد السلام فيها مشاكل أمنية أن كان ذلك بنافورة الدماء التي لم تتوقف في شرق السودان الذي حوله مسار جوبا لسلام الشرق إلى طاحونة الموت المجاني والعبثي من البسطاء في المرغنية ودار النعيم وفيلب قربانا لطموحات النخب السياسية المتدثرة بثوب القبيلة لتغطي عورتها الفكرية وفقر كسبها السياسي في العمل الجماهيري، وهو الحال نفسه الذي يمكن إسقاطه بدرجة التماثل الكامل الظاهر في حروب دارفور القبلية والعقلية أيضا أن كان في غرب دارفور الجنينة أو غرب كردفان أو كادقلي في جنوب كردفان . يأتي ذلك كله والسلطة الانتقالية بشقيها الوزاري والسيادي تقاتل من أجل اكتساب الخبرة للتعامل مع أمر إدارة دولة والذي يختلف من إدارة تحالف سياسي معارض أو مناطق ضيقة تحت إدارة جماعات كفاح مسلح/حركات متمردة على سلطات الدولة. ويظهر ضعف الخبرة والسعي لتكوينها لإدارة حياة الناس، في التردي الظاهر في قطاع الخدمات من وقود وصحة ونظافة وتعليم، وتحسن قطاعات منه لفترات يستقر فيها إمداد الوقود أو الكهرباء أو الدواء لشهر أو شهرين ثم يدخل أي قطاع منها في أزمات حادة وندرة في الخدمة تكاد تكون خانقة وقاتلة للجهاز التنفيذي والحكومة التي تسارع لمضاعفة سعر السلعة الأساسية من وقود أو خبز ليهيج المواطن ويظهر ضجره في شكل مظاهرات وإغلاق الطرقات احتجاجا، ثم يعود ويتكيف مع السعر الجديد قبل أن تنعدم الخدمة لتدور نفس الساقية من جديد ويظهر قلة الخبرة والعمل على اكتسابها واضحا في متلازمة الندرة ورفع الأسعار والاحتجاجات ثم الوفرة وهكذا دواليك.

سودانيون يحتجون على إجراءات الحكومة في العدالة والاقتصاد

الانشقاق في هرم السلطة

لكن المخيف في أمر الانتقال الذي تشهده الدولة السودانية ليس ضعف الخبرة ولكنه الانشقاق الظاهر في هرم السلطة داخل المكون العسكري تحديدا وهو الانشقاق الذي ماثله اصطفاف مماثل في القوى المدنية والحزبية التي اكتفت بدور المناورة بين المكونين العسكريين ولا مبادرة لتحقيق مبدأ القيادة المدنية إلا من محاولة أخيرة من رئيس الوزراء عبدالله حمدوك الذي أطلق مبادرة سياسية اسماها «الطريق للأمام» بعد أن وجد نفسه بين تحمل مسؤولية تاريخية عن الفشل أو النجاح في وطن يحاول قدر الإمكان عدم الغرق والانضمام لنادي الدول الفاشلة. حيث وصف حمدوك هذا التشاكس بوضوح في مبادرته عندما تحدث عن وجود خلاف عسكري عسكري ومدني مع العسكر ومدني مدني، وهي وصفة الدخول في نادي الدول الفاشلة بامتياز. كل هذه الخلافات مقدور عليها لكن الخلاف العسكري العسكري يهدد بقاء الدولة السودانية رغم نفي العسكريين المتكرر له عقب كل شائعة أو أزمة لكنه ظاهر في الاصطفاف بين رأسي القوات النظامية والذي على أقل الفروض يكبل الدولة في السير في الطريق للأمام، مع أن قاعدة الانتقال في السودان ثلاثية الأضلاع (عسكريين/ مدنيين وقوى حديثة ثائرة/ وحركات كفاح مسلح أو جماعات مطلبية مسلحة لو شئت) لكن كل ضلع من هؤلاء لا يرى الضعف الكامن فيه ويعمل للانقضاض على أحد الضلعين الآخرين والاستفراد بجهاز الدولة دونا عن الآخرين، وهذا ظاهر في دعوات إعادة العسكريين للثكنات تحقيقا للحلم السياسي لدولة مدنية مع استخسار مكتسبات قوى السلام التي تحاول هي الأخرى تمتين التحالف مع العسكريين لإخراج المدنيين والقوى الحزبية التي يصورونها لأنفسهم أنها بلا جماهير وحصلت على السلطة في حين غفلة . كل هذا الصراع السياسي داخل مكونات السلطة بأضلاعها الثلاثة آنفة الذكر التي لا تريد أن ترى (عوجة رقبتها) يوفر مساحات خالية واسعة تتحرك فيه الدولة القديمة/نظام البشير للتمدد واكتساب أرضية تبني فيها على سخط الجماهير بغية الصعود للحكم مجددا. يأتي ذلك كله في خضم مشاكل إقليمية تهدد بقاء السودان مستقرا بشكل جاد أن كان بجهة التوتر مع إثيوبيا بشأن سد النهضة وأراضي الفشقة والحدود، أو الصراع الداخلي في إثيوبيا من حروب وتدفق لاجئين وسلاح وتقاطعات إقليمية مع ارتريا التي كلما شعرت أن الخرطوم بعيدة عن دعم اسمرا حركت عناصرها في شرق السودان المجاور لها لتخفيف الضغط عليها أو كف يد السودان عن حليفتها الجديدة أديس أبابا أو أبي احمد تحديدا، في ظل سعي مصر للحفاظ على حقوقها المائية من داخل أراضي السودان الذي تتصارع على أرضه رغبات دولية متمثلة في الولايات المتحدة التي تريد للخرطوم توجها غربيا نحوها ونحو أوروبا وإسرائيل مقابل دعمها للاستقرار واكمال الانتقال للشوط حتى نهاية الديمقراطية وتبادل السلطة، في حين تريد روسيا المحافظة على مكانتها التي حازتها من الرئيس السابق عمر البشير طوال سنوات حكمه الثلاثين وليس لدى موسكو أي وازع أو رادع يمنعها من استمرار نظام شمولي ديكتاتوري في مقرن النيلين وأرض الذهب التي مصت عروقه لسنوات طويلة وتراود العسكريين عن نفسهم لتحقيق مصالحها والمحافظة على امتيازاتها الاقتصادية وموقع السودان الجغرافي في إطار خطتها للعودة والسيطرة في أفريقيا التي تظهر في أفريقيا الوسطى المجاورة للسودان بشكل مخيف. أوضح صور النجاح بعد مرور عامين على توقيع الوثيقة الدستورية في شهر آب/اغسطس تتمثل في رفع العقوبات واسم السودان من لائحة الإرهاب وإعفاء الديون والتطبيع مع الاقتصاد العالمي ومؤسساته من بنك وصندوق النقد الدولي، وعودة التحويلات البنكية مباشرة من مصارف الخرطوم.

ضعف الأداء الحكومي

وأبرز صور الفشل أو سمها تحديات تلطفا تظهر في ضعف الأداء الحكومي وان كانت الحكومة الثانية التي جرى إعلانها قبل 6 أشهر تظهر أفضل حالا من الحكومة الأولى لكنها ينطبق عليها عجز القادرين عن الاتمام حيث لم تستطع الحكومة الثانية إكمال هياكل الحكم في الولايات التي تكمل عامين بلا حكومات تنفيذية أو مجالس تشريعية، حيث تجد في كل ولاية أو إقليم، مسرح الرجل الواحد أو المرأة الواحدة يحكم لكنه لا يحكم لأنه مسير بفعل جهاز الدولة الموالي للبشير وحزبه، ولا تجد تفسيرا لعدم إكمال هياكل الحكم من مجالس وزارات ومحليات سوى العجز عن اتمام الفعل السياسي. هذا الضعف وسط الحاكمين في الخرطوم من أحزاب مصطرعة على تكويش أكبر قدر من المحاصصة السياسية والممتد حتى عواصم الولايات والأقاليم، قاد لتمدد الطموح السياسي للصعود على أكتاف القبيلة ما قاد لتفشي القبلية والصراعات العنصرية العنيفة ليمد رجال وقادة القبائل أرجلهم ولسانهم للقوى الحديثة في أكبر ارتداد في تاريخ الثورات التي استخدمت فيها كل فنون ومخرجات الحداثة من سوشال ميديا وإنترنت وشباب متطلع للتغيير لكنه وجد أن كهول الإدارة الأهلية تسيدوا المشهد الذي عمت به الفوضى الأمنية جراء كل ذلك وصارت حروب القبائل وطموحات نخبها تعم الأرجاء من شرق السودان وحوادث القتل على الهوية والعنصرية في البحر الأحمر ورجع صدى ذلك في ولاية كسلا والقضارف مرورا بالنيل الأزرق حيث للصراع أكثر من وجه، أوله داخل قبائل المنطقة حيث الصراع بين الادوك الذين يوالون عبدالعزيز الحلو وقبائل الانقسنا الذين ينتمي لهم عضو مجلس السيادة مالك عقار رئيس جناح الحركة الشعبية التي وقعت السلام، وهو الصراع الذي يأخذ شكلا مشابها في غرب كردفان وجنوب كردفان وصولا إلى دارفور حيث مسرى الصراعات القبلية ومعراجها. يبقى مسار النجاح واضحا في إكمال هياكل الحكم مع الاحلال والإبدال في حكام الولايات وتجويد الأداء الحكومي في جانب الاقتصاد بتقليل وطأة سياسات التحرير الاقتصادي ووقف ربط السلع الأساسية والخدمات بسعر الدولار أو السعر العالمي، وتحقيق التوافق السياسي وإيقاف الصراعات بين أضلاع المثلث (عسكريين/ مدنيين/ قوى سلام) عبر مبادرة سياسية مثل مبادرة رئيس الوزراء الحالية، مع الإبحار المناورة بين رغبات التيارات العالمية والإقليمية وتجنب الدخول في حروب خارج حدود السودان للمحافظة على السودان نفسه موجودا في الأساس. أما وصفة الفشل فبوادرها بائنة وعديدة منها صدام العسكريين فيما بينهم والتي يمكن بسهولة ان تقود لغناء السودان كدولة وحكومة وشعب؛ أو استمرار سوء الأداء الحكومي مع تنفيذ سياسات اقتصادية قاسية ما يزيد من الفقر والجريمة والخروج في تظاهرات تخلف لا دولة تعتمد شريعة الغاب، أو في سياسة الشد من الأطراف باستمرار الصراعات القبلية وسط أطماع إقليمية .

السودان: درس الجفاء المزمن بين الجيش والديمقراطية

صبحي حديدي

وحدهم أصحاب النوايا الحسنة، وبعض السذّج بالطبع، انتظروا أن تسير الانتفاضة الشعبية في السودان من حسن إلى أحسن، وأن تتجاوز العقبات والمصاعب والإشكالات والاستعصاءات التي شهدتها انتفاضات عربية سابقة، في تونس وليبيا ومصر واليمن وسوريا، أو حتى الجزائر. ولقد توفّر طراز، كاذب عن سابق قصد ومخادع، من التغنّي بالسلمية وائتلاف الجيش مع التكوينات المدنية المختلفة، فضلاً وجود «تكنوقراطي» ربيب مؤسسات اقتصادية أممية على رأس الحكومة. غير أنّ الحقائق، الصلبة الصارخة المحتومة أحياناً، تتابعت سريعاً لجهة تأكيد هيمنة الجيش وجاهزية ميليشيات جنجويد الماضي القريب/ «قوات الدعم السريع» الحاضر لاستعادة ألوان البطش القديمة إياها؛ ولجهة استئناف تحالفات الهيمنة والفساد، في مستويات شتى اقتصادية وسياسية واستثمارية؛ ثمّ تنويع شبكات الارتباط والعمالة الإقليمية، من مصر والإمارات إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي وتشاد وخليفة حفتر.

وقد يساجل مساجل، على نحو مشروع لا يغيب عنه بعض الصواب، أنّ هذه حال منتظرة من انتفاضة على الشاكلة التي اتخذتها، وبالقياس والمقارنة مع شقيقاتها الانتفاضات العربية هنا وهناك؛ ما خلا أنّ سجالاً كهذا يتوجب أن يردّ الكثير من عناصر التأزّم الراهنة إلى معضلة كبرى شرقية (بل تكررت بعض الوقت غربياً، كما في اليونان الحديث) هي علاقة الامتناع الكلاسيكية بين المؤسسة العسكرية ونظيرتها المؤسسة المدنية، أو الجفاء المزمن بين الجيش والديمقراطية على نحو أعرض.

وفي سياق سجالي مثل هذا لا يصحّ، منهجياً على الأقلّ، استبعاد الفرضيات التي تقول إنّ حاكم السودان الأقوى اليوم هو عبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة، وأنّ الثاني من حيث القوّة هو محمد حمدان دقلو آمر وحدات «الدعم السريع»، وللمرء أن يضع رئيس الحكومة في أية مرتبة بعد ذلك! وليس من كبير فارق، بالنسبة إلى شعب السودان أو مسارات انتفاضته، أن يتوجه هذا إلى القاهرة أو ذاك إلى أبو ظبي أو ثالث إلى أنقرة أو رابع إلى واشنطن أو خامس إلى موسكو... ما دامت النتائج تنتهي، في كثير وليس في قليل، إلى الحصيلة المشتركة: هيمنة الجيش.

وحين يتحدث حمدوك عن «أزمة وطنية شاملة»، يُدرج في تضاعيفها بنود تأزّم كبرى مثل تعدّد مراكز القرار وتفاقم الفساد وتصاعد الخلاف بين شركاء الفترة الانتقالية، فيستخلص أنها تنطوي على أخطار تهدد «وجود السودان نفسه»؛ ألا يبدو وكأنه يرجّع الكثير من أصداء العواقب التي اقترنت بأطوار ما بعد إعادة إنتاج هذا أو ذاك من أشكال الاستبداد، في أطوار ما بعد هذه أو تلك من انتفاضات العرب؟ في عبارة أخرى، هل اختلف السودان كثيراً عن شقيقاته العربيات في مسألة واحدة على الأقل، لكنها مركزية تماماً، هي موقع المؤسسة العسكرية في تشكيلات ما بعد إعادة تدوير الأنظمة؟

وأمّا الاشتباكات القبلية الراهنة، في غرب دارفور بصفة خاصة، والتي أوقعت وتوقع عشرات القتلى؛ فإنّ أسوأ قراءة لها، وأكثرها تخابثاً وتزويراً، هي تلك التي أخذت تعتمدها مؤسسة الجيش السوداني، من حيث اختزالها إلى ميليشيات نهب وسلب «عابرة لدول الجوار الإقليمي». هذا، في أعمق مدلولاته، طراز آخر من إعادة تدوير معضلة سودانية عتيقة، لدولة — أمّة يتكلم مواطنوها أكثر من مائة لغة، وينقسمون إلى عشرات المجموعات الإثنية، وتتناهبهم خطوط ولاء قبلية وجغرافية ليس أقلها انقسام الشمال بثقافته العربية، والجنوب بثقافته الأفريقية أو الوثنية، فضلاً عن الإسلام والمسيحية بالطبع.

وفي كلّ حال، ليس الجيش هو المؤهل لحمل لواء الإصلاح وملاقاة المطالب الشعبية والسير بالانتفاضة الشعبية إلى أهدافها العليا، بل من الأصحّ القول إنّ الصراعات الراهنة التي تحتدم اليوم بين رؤوسه، ثمّ بين هؤلاء والمكوّنات المدنية للحكم؛ إنما تعيد تكرار مآسي انتفاضات عربية أخرى، بل هي تقتدي بأشرس ما أفرزته الثورات المضادة من تقاليد ارتداد ونكوص نحو الاستبداد.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ

مبادرة حمدوك: هل ثمة ضوء في آخر النفق؟

سيداحمد علي بلال

عبدالله حمدوك

أخيرا خرج رئيس الوزراء السوداني عبدالله حمدوك عن نبرته الخافتة إلى نبرة أعلى، إذ أعلن عن مبادرة بعنوان «الأزمة الوطنية وقضايا الانتقال–الطريق إلى الأمام» تحدث فيها عن أزمة أو نوع من انسداد الأفق أمام حكومته مدافعاً عن تصوره لإدارة الشأن العام.

كتب حمدوك في مبادرته التي أعلن عنها يوم 22 حزيران/يونيو 2021 عن أزمة وطنية شاملة لم تشهدها البلاد منذ الاستقلال وحدّد مظاهرها بـ«غياب المشروع الوطني الذي يحظى باجماع السودانيين» لكن لم ينس أن يعدد إنجازات حكومته في العامين السابقين بالآتي: «السلام وفك العزلة الدولية وإزالة السودان عن قائمة الإرهاب، والإصلاحات القانونية والسياسية والانفتاح الاقتصادي».

ولخص حمدوك في مبادرته التحديات التي تعترض مسار الانتقال بعناوين عريضة هي «الوضع الاقتصادي–والعدالة والسيادة الوطنية، والعلاقات الخارجية، واستكمال السلام، وتعدد مراكز القرار وتضاربها، والوضع الأمني والتوترات الاجتماعية والفساد، وإزالة التمكين وبناء المؤسسات».

وتم تقسيم مبادرته المكتوبة إلى ستة بنود هي: التمهيد؛ ومظاهر الأزمة العامة وخطرها على الانتقال؛ والوجه الجديد للأزمة وخطره على السودان؛ وأسس التسوية السياسية الشاملة؛ والطريق إلى الأمام الذي يضمن مقترحات.

في مظاهر الأزمة العامة وخطرها على الانتقال، ينتقل حمدوك إلى الوجه الجديد للأزمة وخطره على السودان فيقول بنبرة مرتفعة: «شهدت الفترة الماضية تصاعد الخلاف بين شركاء الفترة الانتقالية مما شكل خطرا جديا لا على الفترة الانتقالية فحسب بل على وجود السودان نفسه، وقد بذلت مجهودات في التواصل مع الأطراف المختلفة ونزع فتيل الأزمة، والتي أرى أنها لن تحل إلا في إطار تسوية سياسية تشمل توحيد الجبهة المدنية والعسكريين وإيجاد رؤية مشتركة بينهما للتوجه صوب إنجاح المرحلة الانتقالية وبناء الدولة المدنية الديمقراطية التي تنهض على قاعدة المواطنة المتساوية».

سباق سياسي

يأتي كل هذا القول على خلفية سباق سياسي آتى بعبدالله حمدوك إلى دائرة الفعل السياسي المباشر في ظل ظروف معقدة يمكن رصد ملامحها العامة منذ انتفاضة ايلول/سبتمبر 2013 التي شهدت تظاهرات ضخمة وتمت مواجهتها بالقوة المفرطة مما أدى إلى مقتل 170 شخصاً.

حيث كان النظام السابق يرتكز على ترسانة من أسلحة وجنود القوات المسلحة وميليشيا الدعم السريع وقوات وميليشيات جهاز الأمن وحزب المؤتمر الوطني وميليشياته.

لكن التظاهرات عادت من جديد في كانون الأول/ديسمبر 2018 بعد قرار الرئيس المخلوع البشير برفع الدعم عن الخبز وغلاء الأسعار وتدهور الأحوال المعيشية.

وفي كانون الثاني/يناير 2019 عقد صلاح قوش مدير جهاز المخابرات اجتماعاً مع قادة المعارضة السودانية والمجتمع المدني معبرا عن دعمه لانتقال السلطة.

وفي 11 نيسان/أبريل أعلن قادة جهاز الأمن الوطني والجيش وقوات الدعم السريع عن خلع البشير وتسليم الجنرال عوض ابن عوف السلطة، بصفته قائداً للجيش. لكن المتظاهرين لم يقتنعوا بذلك وظلوا معتصمين بميدان القيادة العسكرية تحت لواء تنظيم اتحاد المهنيين، وهو ائتلاف نقابي أصدر وثيقة دستورية طالبت بتشكيل حكومة انتقالية وأنهاء الحرب الأهلية وعقد مؤتمر دستوري، ووقعت على الوثيقة قوى عديدة مما أدى إلى تكوين قوى إعلان الحرية والتغيير، وصارت مظلة لقوى ثم حاضنة للقوى الموقعة على إعلان الحرية والتغيير.

أما الصيغة التي انبثقت من الوثيقة الدستورية فإنها أعطت دورا مركزياً للقطاع العسكري – الأمة وبالتالي أعطت البرهان، بحكم الأمر الواقع، منصب رئيس الدولة وحافظت على السيطرة العسكرية على جميع الشؤون الأمنية والدفاعية لكنها تركت حينذاك قضية السلام معلقة.

رأب الصدع

وبالرجوع إلى مبادرة حمدوك الذي يبدو فيها مفاوضاً لرأب صدع أطراف في تحالف أكثر مما هو تنفيذي، يبرز خطابه الذي يفيض بالعموميات كي يعطي الجميع فرصة الانضواء فيه والذي يفضي إلى «أسس لتسوية سياسية شاملة» فنجد فيه «في الطريق إلى الأمام» الذي يقدم:

أولا: إصلاح القطاع الأمني والعسكري (يقول حمدوك بأن هذه ليست مهمة العسكريين وحدهم، وبدونها لا يمكن إجراء اي إصلاح آخر)؛

ثانيا: قضية العدالة (على من تقع مسؤولية مذبحة فض الاعتصام؟)؛

ثالثا: قضايا الاقتصاد (جعل الاهتمام بالخارج تكملة لجهد الداخل)؛

رابعا: السلام (استكمال عملية السلام وتعزيز الإرادة السياسية لشركاء السلام)؛

خامسا: تفكيك نظام 30 يونيو ومحاربة الفساد؛

سادسا: السياسة الخارجية (تكوين آلية واحدة بين أطراف المرحلة الانتقالية)؛

سابعا: المجلس التشريعي (تكوين المجلس في مدة أقصاها شهر).

لكن من بين نصوص هذه المبادرة لا بد للمراقب أن يتوقف طويلا أمام مقطعين؛ المقطع الأول ينحو منحا تفكيكيًا إذ يطالب بـ: «اضطلاع الجهاز التنفيذي بدور أكبر في إدارة جهاز المخابرات وتغيير كافة مدراء الإدارات بآخرين حادبين على إنجاح المرحلة الانتقالية وإجراء إصلاحات جوهرية وسريعة في هيكلة وطرق عملية».

ويتبنى المقطع الثاني، شديد الأهميّة «تكوين لجنة وطنية للعدالة الانتقالية تتولى مهمة الاتفاق على القانون والمفوضية وتصميم عملية شاملة بمشاركة ذوي الضحايا تتضمن كشف الحقائق وإنصاف الضحايا والمصالحة الشاملة والإصلاح المؤسسي الذي يتضمن عدم تكرار الماضي مجددا».

ربما يجلب المقطع الثاني، حلولا لعدد من القضايا وقد تتضح من خلاله أشياء غامضة في مسار العدالة الانتقالية لم تتوصل إليها التحقيقات، وربما قد لا يتم التوصل إليها بالطريقة التقليدية وربما إذا نجحت مثل هذه المساعي قد ينفتح الطريق واسعاً أمام رئاسة مدنية للمرحلة الانتقالية.

إلى جانب التعميمات ومحاولة إرضاء الجميع هناك ما ذكره حمدوك في لقائه مع الشباب العاملين مع لجنة تفكيك نظام 30 يونيو والذي تم توزيع مقاطع كثيرة منه بما في ذلك إشارة حمدوك إلى «وجود ضوء في نهاية النفق».

كما أن اللقاء التنويري للضباط من الجيش وقوات الدعم السريع فوق رتبة عميد والذي جرى يوم 24 حزيران/يونيو المنصرم والذي حضره البرهان وحمدتي قد شهد تصريحات قال فيها البرهان: «إن القوات المسلحة والدعم السريع قوة واحدة على قلب رجل واحد هدفها المحافظة على أمن السودان والمواطنين ووحدة التراب وأنها بالمرصاد للعدو الذي يسعى إلى تفكيك السودان» فهل تميل كفة المدنيين أم هي مجرد أحلام مدنية تسكن الأزمة وتقليل مدى الفترة الانتقالية حتى يأتيها الخلاص بالانتخابات، مما يؤكد أن الإشارة إلى وجود صدع بين العسكريين خصوصاً وهم مقدمون على ترتيبات أمنية لا بد أنها ستشكل حافزاً لصراع مصالح تضعه مبادرة حمدوك في حسبانها ولا تستصغره وتضعه في خانة الاشاعات، في البحث عن توازن مستقر ضمن قطبي الجيش والدعم السريع؟

ويظل الاقتصاد والوضع المعيشي شاغلاً أساسياً حتى نهاية المرحلة الانتقالية.

التفاؤل هو ألا يكون السودان حقل تجارب، حيث اقيمت فيه عام 2005 مع اتفاقية السلام الشامل، ترتيبات لوجود نظامين في بلد واحد أدى إلى انفصال واستقلال جنوب السودان، بينما أقيم عام 2019 نظام (عسكري– مدني) برأسين أحدهما يقرون والآخر بأنامل ناعمة.

Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021

لماذا تعثرت حكومة السودان في ملفاتها وترتيب أولوياتها؟

مصعب محمد علي

تواصلت طوال عامين الأسئلة عن الأسباب التي عطلت مسار حكومة الفترة الانتقالية، فهناك من يرى أن التركة الثقيلة والاقتصاد المثقل بالديون والفساد، الذي خلفه نظام الانقاذ، عطلا مسار حكومة الفترة الانتقالية في السودان.

وبالنسبة للبعض فإن عدم ترتيب الأولويات، وارتباك أجهزتها التنفيذية، جعل الحكومة السودانية تركز على القضايا الخارجية وتتناسى المشكلات الداخلية، فأصبح الاقتصاد منهارا وتجاوز معدل التضخم 378 في المئة.

وأقر وزير شؤون مجلس الوزراء خالد عمر بحقيقة الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الصعبة التي تمر بها البلاد؛ وقال في تصريحات لـ«القدس العربي»

إن الاقتصاد السوداني كان يعاني من خلل هيكلي، وأكد على أن حكومة الفترة الانتقالية تسلمت خزينة فارغة وديونا مهلكة، وواجه السودان حصارا سياسيا واقتصاديا، وكان لابد من وضع حد له، لذلك الأولوية هي التخلص من الديون، ومراجعة المصروفات والايرادات، لتقليل العجز في ميزان المدفوعات.

وبالنسبة للخبير الاقتصادي، عبد العظيم المهل، فإن الخلل الإداري في حكومة الفترة الانتقالية هو المتسبب في الأزمة الاقتصادية وهو ما أغفل وزير شؤون الوزراء عن ذكره.

وقال المهل «إن حكومة الفترة الانتقالية تعاني من عدم الخبرة والدراية والمهنية، إلى جانب عدم متابعتها للأوضاع الاقتصادية والمعيشية». ورأى أن الحكومة لا تملك رؤية واضحة، لأنها لم تستطع تقديم أي حلول لأزمة الكهرباء والخبز والصحة.

ويعاني السودانيون منذ عام ونصف من شح في الدواء، ووصل سعره إلى حسب قطاع الصيدلة في السودان إلى 1000 في المئة، وتعطل 20 مصنعا للأدوية من جملة 27 بسبب عدم توفر العملة الأجنبية.

واتهمت عضو سكرتارية تجمع الصيادلة المهنيين سماهر المبارك الحكومة بتجفيف الامدادات الطبية، وقالت لـ«القدس العربي» إن أزمة الدواء يتحمل مسؤوليتها رئيس الوزراء عبدالله حمدوك حين أصدر قرارات وصفتها بالمتخبطة، تسبب في توقف امدادات الدواء لعشرة أشهر.

وأبانت سماهر أن الحكومة كانت قد خصصت 10 في المئة من حصائل الصادر، لصالح الدواء، إلا انها توقفت في نهاية اذار/مارس العام الماضي وبقرار من رئيس مجلس الوزراء، لكنه سرعان ما تراجع عن قراره بعد شهر وأعاد نسبة الـ10 في المئة، وفي نيسان/ابريل قرر من جديد إيقافها مرة أخرى. وأكدت المبارك، على أن حكومة الفترة الانتقالية لم تف باستحقاقات الإمدادات الطبية منذ كانون الثاني/يناير 2021 فيما يخص النقد الأجنبي، ما دفع فيه 70 في المئة من المواطنين – وفقاً لآخر إحصاء – تحت خط الفقر، والتدهور المريع للعملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية. ويرى الخبراء الاقتصاديون أن الحكومة تعتمد في تسيير دولاب عملها على جيب المواطن، لأنها تفرض رسوماً باهظة على أسعار الخدمات.

وقال عضو اللجنة الاقتصادية للحزب الشيوعي كمال كرار لـ«القدس العربي» إن الحكومة تعتمد على 18 في المئة فقط من موارد البلاد، بسبب فشلها ومؤسسات قوى الحرية والتغيير في إعادة النسبة المتبقية من الموارد، والتي قال رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، في تصريحات سابقة، إنها لا تزال خارج ولاية وزارة المالية على المال العام، ويرى كرار أن قرار تعويم الجنيه كان كارثيا، وانه أربك حسابات المواطن، وذكر أن القرار صادر من البنك الدولي.

وبالنسبة للاقتصادي، الدكتور

عثمان البدري، فإن الأزمة الاقتصادية سببها الاختلالات الهيكلية، التي لا تُعالج بالإجراءات المعزولة، وقال لـ«القدس العربي» إن ما زاد الوضع الاقتصادي تعقيدا، هو غياب الرؤية والسياسات المالية والنقدية والتجارية والاستثمارية، مؤكداً على أنها تعاني من اختلال هيكلي أيضاً.

وأصر عثمان على أن «الضغوط الخارجية هي من دفعت رئيس الوزراء وحكومته للتخلي عن قرار عدم تصدير المواد الخام» معتبراً أن الضغط الخارجي الذي تواجهه الحكومة، تسبب في كل الأزمات الاقتصادية التي يعاني منها المواطن.

ويقول القيادي بالحرية والتغيير جعفر حسن لم يكن أمام الحكومة أي خيار سوى تبني برنامج للإصلاح الاقتصادي، مؤكدا على أنه لم تفرضه جهة خارجية، وقطع بأنه الخيار الواعي الكفيل بإصلاح الوضع الاقتصادي، رغم قسوته وصعوبته، لكنه كان الدواء الوحيد لمثل ظروف وواقع السودان.

لماذا اتهمت حكومة الفترة الانتقالية بانها تنفذ سياسات الصندوق والبنك الدوليين، ولم تنفذ البرنامج الإسعافي المطروح من قبل حاضنتها السياسية قوى الحرية والتغيير.

وفي تصريح لـ«القدس العربي» أكدت مستشار وزارة المالية هبة محمدعلي إن تحالف الحرية والتغيير لم تسلم الحكومة السودانية، أي خطة أو برنامج اقتصادي. وحسب عبدالله على ابراهيم فإن الأزمة ليست في البرنامج، فلكل برنامج عمومي تعريف، ويرى أنه لم تجر تغذيته طوال فترة مقاومة الإنقاذ بحلقات علم مستقرة تقرب بين المفهوم بالتعمق في البحث.

وقال «رأينا خلافاً مستحكماً بعد الثورة بين من هو راغب في التعاطي مع البنك الدولي وصندوق النقد وبين من يحرم ذلك التعاطي» ودعا إلى وضع حد لهذا الاستقطاب.

لكن التحالف نفسه لم ينج من التعثر، فطرح السؤال الأهم عن مصيره، فقبل أن تتصاعد بداخله الخلافات، وبرزت الأسئلة حول قدرته على الوصول لمرحلة الانتقال الديمقراطي، فالتحالف الذي ضم 70 حزباً ونقابة ومنظمة مجتمع مدني، واستطاع إسقاط أكثر الأنظمة الشمولية، على مر تاريخ السودان دموياً، لذا تجد من يعوّل عليه في تجاوز الاختلافات التي أظهرته هشاً في كثير من الأحيان، لكن هذه الهشاشة لم تكن بسبب الاختلافات في وجهات النظر فقط، إنما هناك من يتحدث عن المواقف والمواقع، ويرى قادة التحالف أن الاختلافات في وجهات النظر ضرورية، وتعبّر عن محمولات فكرية مختلفة، لذا هي طبيعية. إلا أن نفس القادة لم تنقطع رسائلهم بضرورة أن يستعيد المكون العريض زمام المبادرة مرة أخرى، وأن يعود المكون أكثر هيبة وقدرة على مواجهة تحديات فترة الانتقال، وحتى الأعضاء السابقين – الشيوعي وحشد الوحدوي– في التحالف قالوا إن عودتهم ممكنة، لكنهم وضعوا شروطاً، يرون أنها قد تصحح من مسار قوى الحرية والتغيير.

وأكد القيادي بالمجلس المركزي للحرية والتغيير، جعفر حسن، أن الحرية والتغيير عقدت العزم على قيام مؤتمرها من أجل تصحيح المسار، معترفاً بأن هناك أخطاء صاحبت أداء الحرية والتغيير تستوجب إعادة الهيكلة. وقال جعفر لـ«القدس العربي» إن خروج أي فصيل من مكونات الحرية والتغيير، يحدث اختلالاً، ويضعف الموقف، وأكد أن الحرية والتغيير قوتها في استمرار وحدتها والتي يرى أنها ممكنة.

وبالنسبة للناطق الرسمي للحزب الشيوعي، فتحي فضل، فإن القضية ليست في الهيكلة أو عقد مؤتمر عام لانتخاب مجلس مركزي، إنما تنفيذ البرامج التي دعا إليها التحالف ومنذ كانون الثاني/يناير 2019 وقال لـ«القدس العربي» إن الحرية والتغيير انحرفت عن مسار البرنامج المعلن، وبدأت تنفذ في برامج لم يتم الاتفاق حولها.

وأوضح فضل أن الموافقة على الدخول في التفاوض مع المكون العسكري، كان بمثابة خروج عن الموقف الرسمي للحزب الشيوعي، الذي ظل يرفض الجلوس مع نظام الجبهة الإسلامية، لذلك لن يقبل بالجلوس في طاولة تفاوض مع اللجنة الأمنية، وهي المكون العسكري. وأكد فضل أن موقف الحرية والتغيير منذ البداية هو استلام السلطة وتسليمها لممثلي الشعب، لكن ما حدث أن العملية كلها تحولت إلى اتفاق على شراكة بين المكونين المدني والعسكري، وتحت ضغط دولي وقيادات داخلية.

وحذر مراقبون من تنامي الخلافات وسط القوى التي قادت الثورة، مشددين على أن فترة الانتقال تواجه أكثر من تحدٍّ، فهي مطالبة بتحقيق العدالة الانتقالية، والإسراع في تكوين هياكل السلطة، وقالوا إن الفرصة للجلوس على طاولة واحدة من جديد تستوجب وقف الاتهامات المتبادلة، وسط التحالف العريض، مؤكدين أن النزاعات والاختلافات ستدفع بالجميع إلى حافة الانهيار.

الخلافات والانسحاب

أن التحالف العريض وبعد أن أصبح حاضنا سياسياً لحكومة الفترة الانتقالية، بدأت تدب الخلافات وسطه، ما عجل بخروج وانسحاب أحزاب ومنظمات مجتمع مدني وأجسام مطلبية، كما أعلنت أحزاب سياسية انسحابها من قوى الحرية والتغيير، هذا الانسحاب أربك المشهد السياسي، وأضعف موقف الحرية والتغيير.

ويرى مراقبون أن الخلافات والانسحاب أصبحا الأكثر تهديداً لمرحلة الانتقال، التي تتطلب إعادة ترتيب للأوراق التي بعثرتها الخلافات، وطرحت الأسئلة حول الكيفية التي يمكن أن تعيد للمكون العريض هيبته ويصبح بالفعل شريكاً أصيلاً في إدارة حكم الفترة الانتقالية، لا معارضاً.

وكان حزب الأمة قد جمّد عضويته داخل الحرية والتغيير، بعدما دفع بما يسمى «العقد الاجتماعي» مطالباً فيه بإعادة هيكلة قوى الحرية والتغيير من أجل تحسين إدارة الفترة الانتقالية. ويرى الأمة أن أهداف الفترة الانتقالية لم تتحقق بما في ذلك تكوين مؤسسات انتقالية مثل البرلمانات واللجان وتحسين الوضع الاقتصادي، وطرح رؤيته حول تمتين موقف المكون، بأن تتم عملية تطوير كامل لأجهزة ومؤسسات قوى الحرية والتغيير، مؤكداً أن التحالف ضروري في هذه الفترة، لأنه يضمن الانتقال الديمقراطي، ولفت إلى أن كل المناقشات الدائرة وسط المكونات ترى ضرورة عملية الإصلاح داخل الجسم القيادي–المجلس المركزي.

ويرى القيادي بحزب الأمة، إبراهيم الأمين، أن مسألة تقريب المسافات بين مكونات الحرية والتغيير ممكنة، ويجب أن تتم، وقال لـ«القدس العربي» إن التصحيح لن يتم بمعزل عن الحرية والتغيير نفسها، مشيراً إلى أن التحالف يضم عدداً كبيراً من المكونات التي أحدثت التغيير وبيدها لم هذا الشتات، منوهاً إلى ضرورة إخضاع التجربة للتقويم، وكشف الأزمات التي أحاطت بها وصاحبت عملها، مؤكداً على أن الاعتراف بالأخطاء وشرح الأسباب التي أعاقت عملها، سيقود إلى الإصلاح الجذري، وعودة الهيبة إلى التحالف الذي قاد ثورة ديسمبر.

تجري هذه المراجعات لمواقف قوى مؤثرة في تحالف الحرية والتغيير، فيما تتطلع قوى الثورة إلى خطوات كبيرة وحاسمة تعيد لهذا التحالف موقعه في الشارع، وتعيد هذه القوى أيضاً لمواصلة دورها في إنجاز أهداف المرحلة الانتقالية، وتعبيد الطريق للتحول الديمقراطي المنتظر.

وكشفت مصادر مطلعة داخل الصحة لـ«القدس العربي» أن العدد الكلي لنواب الاختصاصيين يفوق 8.000 طبيب.

جيب المواطن

ويشير الاقتصاديون إلى أن حكومة الفترة الانتقالية ركّزت على الأمن والدفاع والقطاع السيادي، وأهملت الصحة والتعليم والقطاعات الإنتاجية، ما أسفر عنه وضع اقتصادي وشيك الانهيار، في ظل الارتفاع الجنوني لأسعار الخدمات، في وقت يعيش فيه 70 في المئة من المواطنين – وفقاً لآخر إحصاء – تحت خط الفقر، والتدهور المريع للعملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية. ويرى الخبراء الاقتصاديون أن الحكومة تعتمد في تسيير دولاب عملها على جيب المواطن، لأنها تفرض رسوماً باهظة على أسعار الخدمات.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ

استقطابات العسكر في السودان: ما هي الأسباب والمبررات؟

عمرو شعبان

«جيش السودان والدعم السريع من أبناء السودان ولن نرضى بتوظيفهما في طموحات شخصية» بهذه العبارة نقل القيادي في قوى إعلان الحرية والتغيير والبعث السوداني محمد وداعة، ملخص لقائه بالفريق ركن ياسر العطا، قبل ان يردفها بتشديد الرجل على أنهم كعسكريين لن يتركوا السودان ينهار بتاتا، في معرض تنوير قيادات سياسية باللجنة الفنية لإصلاح الحاضنة السياسية حيال مارشح عن حالة احتقان بين مكونات عسكرية في المشهد السوداني وأشار إليها رئيس الوزراء السوداني في مبادرته.

عمليا برزت حالة الاحتقان في الساحة السودانية في أعقاب ارتفاع أصوات قادة الحركات المسلحة الموقعة على اتفاق سلام جوبا تشرين الأول/أكتوبر الماضي تنديدا بتأخير تنفيذ الترتيبات الأمنية، تزامن ذلك مع ارتفاع أصوات دولية وإقليمية تتحدث عن دمج الجيوش خصوصا في ظل تزايد حالات التفلتات الفردية الصادرة عن بعض منتسبي المكونات العسكرية.

واشنطن لم تخف رغبتها المباشرة في حسم المشهد متعدد الأطراف العسكرية، وطالبت بشكل واضح بتوحيد الجيش السوداني في كيان مهني موحد يضم الجيش الحالي والدعم السريع وجيوش الحركات المسلحة.

الرغبة الدولية اصطدمت بحسب العديد من القيادات السياسية، بحالة من الشك وعدم اليقين تجاه المؤسسة العسكرية القديمة استشعرتها الحركات المسلحة، فأبدت تبرمها من سيناريوهات الدمج، خصوصا وان ذلك سيفقدها نفوذها وسطوتها في المشهد السوداني، الأمر الذي أدى إلى بروز أحاديث كثيفة عن شد وجذب بين الجيش والدعم السريع في مواجهة بعضهما البعض من جهة، وبين قيادات الحركات والجيش من جهة أخرى، فضلا عن وجود حركات مسلحة موجودة بالأصل ولم تكن ضمن الموقعين على اتفاق السلام في جوبا 3 تشرين الأول/اكتوبر الماضي، كحركة القائد عبد العزيز الحلو وحركة عبد الواحد محمد نور.

عبد العزيز الحلو أيضا انضم إلى المطالبات الدولية والإقليمية، مشترطا في خواتيم جولة المفاوضات الماضية، بناء جيش مهني موحد وان تكون قواته من ضمنه.

رئيس الوزراء د. عبد الله حمدوك أيضا شدد في مبادرته على أن بناء جيش مهني موحد مسألة في غاية الأهمية سيما أن عدم تماسك المنظومة الأمنية قد يؤدي لشرخ في السودان.

النفي بلا دليل

حالة الاستقطاب والاحتقان سارعت أطراف عديدة لنفيها في مقدمتهم المستشار الإعلامي لرئيس مجلس السيادة السوداني الطاهر أبو هاجا، واصفا الحديث عن وجود خلافات بين الدعم السريع والجيش بالشائعات وقال: ترويج شائعات عن وجود توترات بين الجيش وقوات الدعم السريع هدفها تدمير الوطن.

في الضفة الأخرى سارعت قوات الدعم السريع في حزيران/يونيو الماضي بإصدار بيان منفرد أكدت فيه أنها مع الجيش في خندق واحد، بينما تزامن ذلك مع سعي مجلس السيادة بالسودان لنفي شائعات عن خلافات بين الجيش وقوات الدعم السريع في بيان مشترك نادر للجيش وقوات الدعم السريع.

وقال البيان المشترك آنذاك «القوات المسلحة والدعم السريع على قلب رجل واحد للمحافظة على أمن الوطن والمواطنين ووحدة التراب وأنهما بالرصاد للعدو الذي يسعى إلى تفكيك السودان وشرذمته».

وفي حضور الفريق أول محمد حمدان دقلو، قائد قوات الدعم السريع، شدد الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة الانتقالي في البيان على عدم الالتفات إلى الشائعات التي تستهدف وحدة المنظومة الأمنية مؤكدا على انسجامها وتماسكها وعملها لأجل هدف واحد. ونقل البيان المشترك عن البرهان قوله «لن نسمح أبدا لأي طرف ثالث يعمل على بث الشائعات وزرع الفتن بين القوات المسلحة والدعم السريع».

ونقل البيان عن دقلو، الذي اشتهر بلقب حميدتي، قوله «هدفنا واحد ولدينا مسؤولية تاريخية في الخروج بالبلاد إلى بر الأمان وأن الأعداء ينتظرون تنافرنا وقتال بعضنا بعضا». وأضاف «القوات المسلحة والدعم السريع يمثلان قوة واحدة تتبع للقائد العام وتأتمر بأمره».

خطوات ونصوص ملزمة

تكوين جيش قومي موحد لم يكن رغبة شخصية أو مزاجا عاما للشارع بعد ثورة ديسمبر في السودان، بل نصت عليه اتفاقية السلام في سياق خطوات تدريجية للدمج، تبدأ بدمج جيوش الحركات المسلحة في القوات النظامية بما فيها الدعم السريع ومن ثم لاحقا دمج الدعم السريع داخل الجيش، وفعليا شرعت الحكومة في عملية الترتيبات الأمنية بعد تشكيل لجنة من جيوش الحركات المسلحة ضمت سليمان صندل حقار من العدل والمساواة، وجمعة محمد حقار من جيش تحرير السودان، وسعيد يوسف من حركة التحالف السوداني، وأحمد جدو من تحرير السودان المجلس الانتقالي، بجانب ممثل من الـ «دي دي ار» وممثل الوساطة من جنوب السودان وبعثة الأمم المتحدة بالسودان. أبرز العقبات التي برزت في المشهد وأسهمت في تصاعد حالة الاحتقان تململ قيادات عسكرية بالحركات المسلحة وممانعتها في الانضمام لقوات الدعم السريع التي توضع ضمن الخيارات المتاحة للدمج، وأبدى عدد من القيادات العسكرية والسياسية للحركات المسلحة رغبتهم الاندماج في الجيش وضد الاندماج في الدعم السريع.

وبرر مصدر عسكري بإحدى الحركات في حديثه لـ«القدس العربي» رفضهم الاندماج في الدعم السريع، بحكم أن الدعم السريع ليس جيشا قوميا بل موازيا، وأضاف: «نحن نتمسك بتشكيل جيش قومي ومهني وموحد بعقيدة عسكرية جديدة تضع المؤسسة العسكرية أمام مسؤوليتها التاريخية في حماية الأرض والشعب وليس الأنظمة».

وبروتوكول الترتيبات الأمنية الموقع في آب/اغسطس الماضي، يبدو أن واضعيه استصحبوا صعوبة المهمة، لذا نص على خطوات تدريجية تسهل لعملية الدمج الكلي، إذ نص على تشكيل قوات مشتركة بين القوات الحكومية والحركات المسلحة تحت اسم «القوى الوطنية لاستدامة السلام في دارفور» لحفظ الأمن وحماية المدنيين في إقليم دارفور، على ان تحصل تلك القوات على دعم لوجستي وتسهيلات من بعثة حفظ السلام الدولية التي ستراقب بدورها الأوضاع هناك.

وحددت الاتفاقية الأطراف المعنية بالأمر في الجبهة الثورية من جهة والجيش من جهة أخرى، وتضم الجبهة الثورية ثلاث حركات مسلحة متمردة، هي حركة تحرير السودان بقيادة مني اركو مناوي، وحركة العدل والمساواة بقيادة د.جبريل ابراهيم، فضلا عن الحركة الشعبية لتحرير السودان – شمال بقيادة مالك عقار. في تقييم الموقف لا يبدو أن التطبيق العملي للاندماج في جيش واحد أمرا سهلا، في ظل مناخ الاحتقان المائل،لجهة أن ثمة آراء لعسكريين ضمن المؤسسة العسكرية القومية ينظرون لتاريخ عمليات الاندماج في الجيش من قبل قوات أخرى كانت تتقاتل معها، ويذهب الخبير العسكري اللواء عبدالرحمن ارباب في حديثه لـ«لقدس العربي» إلى أن تاريخ المؤسسة العسكرية والسودانية يؤكد فشل تلك التجارب، مشددا على صعوبة دمج الحركات في القوات المسلحة لجهة انها كانت تحمل السلاح ضدها، وأضاف: «التجارب تقول أن ولاء القوات المدمجة في الجيش لا يكون للجيش وعقيدته المبنية على الوطن بل يكون ولاءهم لقائدهم».

وأشار ارباب إلى تجربة اتفاقية السلام بين الحكومة والجيش الشعبي بقيادة د.جون قرنق «نيفاشا» وقال: «عندما حدث الصراع بمنطقة أبيي انضمت القوات المكونة للقوات المشتركة كل قوة لجيشها» ويرى الخبير العسكري أن المؤسسة العسكرية السودانية قائمة على الاحترافية والقومية، منوها إلى أن الاحترافية تعني أن يكون منتسبها مقاتلا من الطراز الأول، فضلا عن الانضباط الكامل والالتزام بقواعد وقوانين المؤسسة العسكرية وهو ما لا يتسق مع تكوينات معظم الحركات». وأضاف: «أيضا هناك صعوبات مثل العمر غير الملائم للرتبة ولا الرتبة نفسها بالإضافة إلى الانضباط كل ذلك يقف حائلا في مواجهة عملية الدمج في الجيش».

وأوضح اللواء عبد الرحمن ارباب أن السودان لم يشهد تجارب تسريح كثيرة في تاريخه يمكن الاستشهاد بها لدى تطبيق برامج الدمج والتسريح، وقال: «السودان عاش تجربتين في هذا السياق واحدة عقب الحرب العالمية الثانية، والأخرى في أعقاب ثورة 1924 منوها إلى ان التسريح يتم في احتفال كبير يتم خلاله سحب السلاح والزي العسكري من المسرحين، وتسليمهم زيا مدنيا من الدولة تكريما لهم. وأضاف: «تم أيضا مكافأتهم بتخصيص حي خاص بهم وهو حي الرديف الموجود في أكثر من منطقة بالسودان».

ودلل ارباب على فضل تجارب الدمج في القوالت المسلحة بالإشارة إلى تجربة الـ«انانيا ون» زعامة جوزيف لاقو وقال: «نصت اتفاقية 1972 على دمج القوات في الجيش في خمس مراحل على خمس سنوات، لكن عدم ثقة الجنوبيون أسهم بشكل كبير في فشل التجربة التي سميت وقتها بتجربة الانصهار» منوها إلى أن ذلك سبب من أسباب اندلاع التمرد مرة أخرى في انانيا وارباب أعتبر أن ثمة دائل أخرى للاندماج في الجيش من ضمنها التمييز الإيجابي للحركات وتوفير فرص عمل لمنسوبيها أو إعطائهم مشاريع زراعية، وأضاف «أنا لست مع حرمانهم من العيش الكريم، لكن وجودهم في الجيش السوداني ستنتج عنه مشكلة كبيرة ولن يؤدي واجبه بالصورة المطلوبة» وأضاف: «العسكرية السودانية ظلت متماسكة وقومية وموحدة، لكنها الآن تمر بمنعطف خطير، بفعل الهجمة عليها، والمطالبات بإعادة الهيكلة والتنظيم بدعوى الدمج».

من جانبه يذهب نائب رئيس هيئة الأركان السودانية الأسبق الفريق ركن عثمان بلية بحسب تقارير إعلامية سابقة إلى أن أبرز التحديات التي تواجه تكوين جيش وطني موحد تتمثل في كيفية الدمج وتصنيف الرتب وفق أسس وقواعد القوات المسلحة وأيضا تصنيف الأفراد وتوظيفهم بحسب تخصصاتهم. وأوضح بلية أن القوات المسلحة لا تقبل بالأمين ولا بالخارجين عن سلوكيات القانون، مشددا على ضرورة الإلمام بنبود القانون العسكري والمدني وكذلك القابلية للتطور في القوات المسلحة. وأضاف: «إن الترقي والتدرج سيحسمان وفقا لأسس الكفاءة وستمنح الرتب بناءً على معايير توظيفية دقيقة».

الجنرالان حمدان دقلو والبرهان في حوار عسكري

القوات المسلحة السودانية

أنشئت في عام 1925 وشاركت وحدات منها في الحرب العالمية الثانية، وتمتاز بعقيدة قتالية تقوم على أساس الدفاع عن الوطن والحفاظ على سيادته ووحدته الوطنية، كما أن لها نظام انضباط عسكري صارم وتقوم بمهام مدنية تتمثل في تقديم المساعدات أثناء الكوارث الطبيعية وحفظ الأمن في حالة الأوضاع الأمنية المضطربة.

وتأسست نواة الجيش السوداني الحديث قبل عام 1955 وقد عرفت آنذاك بقوة دفاع السودان وكانت تتكون من عدد من الجنود السودانيين تحت إمرة الجيش البريطاني المحتل، وبعد العام 1954عندما استقل السودان عن الحكم الثنائي الإنكليزي المصري تم تكوين جيش وطني جديد بكافة فرقه البرية والبحرية والجوية . سن الخدمة العسكرية 18 عاما وقد خاضت معارك تزيد عن الـ50 سنة، من قبل أن ينال السودان استقلاله بعام وتوقفت بعد توقيع اتفاقية نيفاشا في العام2005 بجنوبه لتستمر في الاستعار بدارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق. وتتكون البنية التحتية للقوات المسلحة السودانية من قوة عسكرية كبيرة تتمثل في الذخائر والمدرعات والآليات الثقيلة ومصانع للأسلحة بجانب موارد بشرية تشمل أفرادا مدربين في عدة مجالات ذات صلة بالنشاط العسكري والحربي.

وقد أتت ثورة ديسمبر المجيدة لتعيد للقوات المسلحة تربيتها الوطنية وتزيل تمكين الإسلاميين بتربيتهم الجهادية بعد 30 عاما، ليبرز ملف تكوين جيش وطني موحد يضم القوات المسلحة والحركات والمليشيات كترتيب أمني يسبق عملية توقيع السلام الشامل للجهات المتقاتلة.

Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021

لافتات ونزاعات قبلية تسمم سماء سودان ما بعد الثورة

محمد الأقرع

موجة واسعة من اللافتات القبلية بدأت في الصعود على مسرح الأحداث في السودان، ما خلق واقعاً مرتبكاً، يحمل عدة مؤشرات أهمها، محاولة البعض لتقديم الواجهات الجهوية والقبلية على حساب الأحزاب السياسية والتنظيمات النقابية والفئوية، الأمر الذي قد يعيد البلاد لمربع ما قبل الدولة ويهزم شعار «مدنية الدولة» الذي كانت تنادي به قوى ثورة ديسمبر وشباب المقاومة.

وبحسب مراقبين، أن تمدد اللافتات القبلية في السودان يأخذ طابعين رئيسيين، الأول في مواجهة السلطة الانتقالية الراهنة سواء كان عبر معارضتها الصريحة أو الاحتجاجات المطلبية، أما الطابع الثاني، فهو نزاعات الأهالي والمجموعات السكانية فيما بينها والتي تتوارى خلف ثوب القبيلة، وهذه الأخيرة تمظهرت في مشاهد دموية عنيفة راح ضحيتها المئات خلال الفترات القليلة الماضية من عمر الانتقال.

ويبدو أن هذا المشهد الملتبس ظل يتكرر في عدد من المناطق المختلفة بالبلاد، في شرق السودان مثلاً يقود زعيم قبلية «الهدندوة» سيد محمد الأمين ترك، تحركا ضخما من أبناء عشيرته لمناهضة إتفاق السلام-مسار الشرق-الموقعة في عاصمة جنوب السودان جوبا، في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر العام الماضي. ويعتقد ترك أن إتفاق السلام في القضايا القومية والمسارات الجهوية لم يعمل عن قوى رئيسية وأساسية، مبيناً أن القوى التي وقعت على اتفاقات المسار، ليس من حقها إدعاء الإنفراد بتمثيل الإقليم، ولم يفوضها أحد بذلك، كذلك يتهم ترك المسار والحكومة الانتقالية بتجاهل إنسان الشرق فيما يتعلق ببرامج التنمية ونسب التمثيل في هياكل السلطة.

وتحت ذلك الزعم ترتبت العديد من السيناريوهات التي وصلت مرحلة سفك الدماء، والمناوشات بينهم-المجموعات المناصرة لترك-وبين مجموعات أخرى من البني عامر التي تم تصنيفها بأنها تقف خلف التيار الآخر، بالإضافة لاعتراض الأولي بعدم تعيين أحد المنتمين لمجموعة البني عامر والياً لولاية كسلا التي تقع في نفس الأقليم.

تمددت مطالبات ترك تحت لافتة القبيلة، وأعلن عدم اعترافه بلجنة إزالة التمكين في وقت ظل مناصروه يغلقون الطريق الرئيسي الرابط بين ولاية البحر الأحمر والعاصمة الخرطوم، للمطالبة بحلها، كما وصلت لمطالبة تقرير المصير وانفصال شرق السودان.

مرحلة التحشيد العرقي

وفي سياق النزاعات تحت اللافتات القبلية، أيضا شهد نفس الأقليم الشرقي أو مدينة بورسودان تحديداً اشتباكات دامية بين مجموعات تسكن أحياء مجاورة يتوزع إنتمائهم بين قبيلتي النوبة والبني عامر، بسبب جرائم عادية تتطور حتى وصلت مرحلة التحشيد العرقي.

كذلك، هناك مشاهد نزاعات قبلية مشابهة حدثت في الجنينة وعدد من مدن وقرى ولايات دارفور غرب السودان، كما شهدت مؤخرا ولاية جنوب كردفان إندلاعا لصراع قبلي في محلية قدير بمنطقة كلوقي، حيث استخدمت المجموعات المتصارعة الأسلحة الثقيلة مما أدى إلى مقتل أكثر من 15 شخصاً من كل الطرفين، وبحسب إفادات شهود العيان، أن أسباب الصراع تدور حول تبعية منطقة اكتشف فيها الذهب وكان التنافس في حق التعدين الأهلي.

ويذهب البعض، إلى أن تكرار النزاعات العرقية ذات الطابع الدموي، ساهمت فيها أساليب المعالجة المتبعة والمستندة على الاحتكام للأعراف والتقاليد، مثل «القلد، والسالف والجودية» وهي إنماط مصالحات محلية، ويقترح هؤلاء أن الاحتكام للقانون وفقاً لتقسيمات مجرمين وضحايا لا المسميات القبلية وتقديم الجناة الفورية.

ويشار إلى أن القبيلة مفهوم متجذر في المجتمع السوداني، ويرى بعض الخبراء أن السياسات التي اتبعتها السلطات المتعاقبة في السودان - الديمقراطية والعسكرية، ساهمت في عدم ترسيخ مفهوم الدولة الوطنية مما أدى لاختلال التوازن وتكرار مشاهد الاحتماء بالقبيلة. وتشير بعض الدراسات أن الصراع القبلي في السودان تسبب في مقتل أكثر من ربع مليون مواطن سوداني ونزوح أكثر من مليوني شخص.

إلى ذلك يؤكد الخبراء أن الصراع القبلي في السودان موجود تاريخياً ولديه عدة أشكال منها المسلحة والسلمية والخفي، كما أن هناك صراعات بين بطون القبيلة الواحدة، والأسباب تتمركز حول الموارد والأرض والتهميش وغياب التنمية المتوازنة بالإضافة لعدم الإندماج بين المكونات الإثنية بشكل المطلوب.

ويقول الباحث الاجتماعي والمحاضر بالجامعات السودانية، خضر الخواض، إن من العوامل المساعدة التي أدت إلى صعود اللافتات القبلية، وتجدد النزاعات العرقية في السودان شدة الضائقة المعيشية التي يتم استغلالها من البعض، كذلك ضعف الحكومة الانتقالية وعدم دراية مسؤوليها بالتعقيدات الإثنية في السودان، بالإضافة لغياب الأجهزة الأمنية وعدم قيامها بالمهام المنوطة بها، فضلاً عن هشاشة المجتمعات أساساً.

ويعتقد الخواض أن قيادات المكون العسكري في الحكومة الانتقالية لديهم علاقات واسعة مع الفاعلين وسط المكونات القبلية ويقومون بتحريكهم بهدف ضرب قوى الثورة الحقيقية وإجهاض التحول، مشيراً إلى ان اللافتات القبلية هي من الأدوات التي دائماً ما تستخدمها النظم العسكرية والشمولية في سيطرتها على الأوضاع.

ويذكر أن التحشيد القبلي بعد سقوط نظام الإنقاذ، بدأ من قبل المجلس العسكري، الذي حاول تكوين حاضنة شعبية جديدة لمنحه التفويض بالحكم أثناء الاعتراضات التي صاحبت المفاوضات بينهم وبين قوى الحرية والتغيير، وبعد مجزرة فض اعتصام القيادة العامة، حزيران/يونيو 2019م، حيث كان أعضاء المجلس العسكري يستقبلون بمكاتبهم الزعامات الأهلية والتنظيمات القبلية لأخذ ذلك التفويض، كما قاموا بتجميعهم في معرض الخرطوم الدولي بحي بري شرق الخرطوم، لعدة أيام من أجل تحقيق ذلك الهدف، وبالرغم من أن تلك المحاولات لم تنجح، إلا أن مراقبين يشيرون إلى أنها كانت الفاتحة لتمدد ذلك الخطاب مجدداً، في سودان ما بعد الثورة.

هزيمة اللافتات

وعلى ضوء ذلك يفتح سؤال عريض، عن لماذا لم تستطع الثورة السودانية حتى الآن هزيمة تلك اللافتات، ما تأثيرها على عملية الانتقال؟ وحول تلك النقطة يقول الخواض في حديثه لـ«القدس العربي» أن الثورة السودانية ما زالت في بداية انطلاقها وهي الآن تواجه مؤامرات من قوى السودان القديم، مبيناً أن ما يحدث هو نفس سيناريو معاد في حقبة سابقة، إذ كان قادة الدولة يعقدون اتفاقات مع زعماء القبائل مقابل ضمان الولاء، مستدلاً بطريقة المحاصصات الجهوية التي تمت في تكوين مجلس السيادة والولاة.

بينما يرى الأكاديمي والكاتب، عبدالله علي إبراهيم أن عودة خطاب القبيلة المتصل بالسلطة في مواجهة مدنية الثورة السودانية، من المضار الجانبية لدواء انتفاضة ضد أوضاع فرضتها الانقاذ مثل الاستهتار بأعراف الحواكير بل أن بعضها انعتق من أعراف مهينة للإدارة الأهلية نفسها.

الوضع الجديد ما بعد الثورة وعملية الإبعاد التي تمت لبعض الوجوه التي انتسبت للنظام المباد، بحسب محللين، أيضا ساهم في تأجيج تلك الصراعات تحت خلفية المصلحة وتنفيذ بعض الأجندة السياسية باستخدام الغطاء العرقي، موضحين بأن القوى السياسية لم تقم برفع الوعي المطلوب كما أنها لم تخلق تنظيمات وهياكل قوية تكون رافعات أساسية في المناطق التي تشهد مثل تلك النزاعات القبلية، وإنما لجأت غالبية القوى السياسية وعلى رأسها الجبهة الإسلامية والمؤتمر الوطني بالتحالف مع القوى المجتمعية هناك، وفي شأن إدارة الدولة فقط، عبر وضع توليفة للتمثيل والمحصصات الجهوية، وحين قامت الثورة أوجد الوضع الجديد مخاوف لدى البعض خاصة وانهم ما زالوا يعتبرون كتلة اجتماعية كبيرة وقادرين على توظيفها في أحداث الصراعات المتوالية.

ويشير البعض بأصابع الاتهام لعناصر النظام البائد بالوقوف خلف النزاعات العرقية وإثارة الفوضى ببعض الولايات وإلباسها ثوب القبلية، واستغلالها لإفشال الفترة الانتقالية، أو كما قال محمد حمد القيادي بقوى الحرية والتغيير - الاتئلاف الحاكم- في تصريح صحافي لإحدى الصحف المحلية، بأن عناصر النظام البائد فشلوا في تسويق ثوبهم السياسي، فتلفحوا القبلية لتحقيق مآربهم، لافتا إلى أن القبائل ليست ضد الثورة، ولكن منسوبي النظام المباد حاولوا استغلالها، محذراً من خطورة الظاهرة التي حولت القبائل إلى بيادق قد تؤدي إلى تفتيت المجتمع، وطالب حمد بفرض القوانين التي تحارب تلك الظواهر.

وفي سياق متصل، يقول القيادي بالحرية والتغيير، مجدي عبدالقيوم أن ظهور اللافتات القبلية في السودان كان لها ارتباط بالتقاطعات الإقليمية خاصة في شرق السودان، مشيراً إلى انعكاس تداعيات الصراع في إثيوبيا على شرق السودان وارتيريا، لكنه عاد وأكد أن أصول اللعبة هناك قد تغيرت تماماً خاصة في ظل تأثير تقاطع الاستراتيجي الإقليمي والدولي، مبيناً ان الأخير أصبح يشكل مصدّ تحول دون إنفجار الأوضاع في الشرق. وأوضح أن حادثة التفجير الأخيرة التي شهدتها مدينة بورسودان ستكون نقطة فاصلة في مسار تغيير مسار المشهد عموماً وإعادة ترتيب رقعة الشطرنج.

ويرى عبدالقيوم، أن تمزيق اللافتات القبلية في الشرق يمر عبر انعقاد مؤتمر لقضايا الإقليم ويضع لبنة أساسية في حل النزاعات ومعالجة أسبابها، وقال إن الساحة في شرق السودان مهيأة لإنطلاق فعاليات التحضير لهذا المؤتمر.

وأضاف: «في تقديري، أن المشهد الحالي يفضي إلى تغيير كبير يمكن أن يكون أبرز تجلياته بروز لاعبين جدد في الساحة وانحسار نفوذ كل المجموعات التي تتصارع الآن وانخفاض صوت الإدارة الأهلية كنتيجة طبيعية لامساك القوى المدنية بالملف وامتلاك زمام المبادرة».

وزاد: «إن الوضع في الإطار الإقليمي المرتبط بشرق السودان، من المتوقع أن يبرز دوراً أكبر للسعودية بالنظر لاهتمامها بأمن البحر الأحمر، بينما سينحصر الدور الإماراتي في صراع الاستحواذ على ميناء بورتسودان».

مواطنون سودانيون من قبيلة ابن حلبة في دارفور

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ

الخبز والسلام وصندوق النقد الدولي وإعادة بناء السودان

سوق في الخرطوم

إبراهيم نوار

اعتبارا من الشهر الحالي، بدأت عقارب الساعة تدور، لإعادة بناء السودان بعد أن خضع لعقوبات اقتصادية لمدة ثلاثة عقود من الزمن، منذ صنفته الولايات المتحدة دولة راعية للإرهاب. وخلال المرحلة الانتقالية الصعبة لإعادة البناء، التي تستمر حتى العام 2023 يواجه السودان ثلاثة اختبارات رئيسية، هي اختبار الشراكة في الحكم بين المدنيين والعسكريين، واختبار تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتوفير الخبز للمواطنين، واختبار تحقيق السلام والانتصار على الحروب والنزاعات الداخلية، وهي النزاعات التي مزقت السودان خلال فترة الخضوع للعقوبات الأمريكية، وتسببت في انشطاره إلى دولتين عام 2011. وما يزال السودان يوجه مخاطر وتداعيات تلك النزاعات الداخلية، ذات الطابع القبلي والعرقي، من دارفور في الغرب، إلى ولاية البحر الأحمر في الشرق. وعلى الرغم من التحديات التي يعيشها السودان منذ الإطاحة بنظام حكم البشير عام 2019 فإن القوى السياسية والعسكرية التي تتولى زمام الحكم في البلاد، أظهرت حتى الآن قدرة متميزة على التعايش والاستمرار، وتمكنت من تمهيد الطريق لعودة السودان إلى المجتمع الدولي، والبدء في إعادة بناء الاقتصاد، وتوقيع عدد من اتفاقيات السلام مع الحركات السياسية المختلفة.

وعلى أساس هذا الإجماع، وبمساعدة الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، فإن السودان نجح في عقد اتفاق مع صندوق النقد الدولي، يستفيد بمقتضاه من مبادرة «هيبيك» لتخفيف ديون الدول الفقيرة، على أساس مجموعة من الشروط والمعايير المقبولة للدائنين، ومنهم البنك الدولي وصندوق النقد ونادي باريس للدول الدائنة والبنوك التجارية.

تخفيف أعباء الديون

طبقا لتقديرات صندوق النقد الدولي فإنه مع افتراض تنفيذ شروط مبادرة «هيبيك» ومشاركة الدائنين جميعا في برنامج الاعفاءات، من المتوقع انخفاض دين السودان الخارجي من حوالي 56 مليار دولار بمقدار النصف، ليبلغ 28 مليار دولار فقط، عندما يبدأ تنفيذ شروط المبادرة التي تتضمن سداد المتأخرات المستحقة للبنك الدولي وصندوق النقد والبنك الأفريقي للتنمية، والبدء في تنفيذ شروط برنامج صارم للإصلاح الاقتصادي، يتضمن تخفيض وتوحيد سعر الصرف للجنيه السوداني، وإلغاء دعم الوقود والكهرباء، وإصلاح النظام الضريبي لزيادة الإيرادات العامة، والالتزام بتطبيق استراتيجية لتقليل الفقر يتم التنسيق بشأنها بين الحكومة وبين خبراء الصندوق، إلى جانب عدد من الشروط الأخرى المرتبطة بفاعلية وشفافية الإدارة، وإصلاح النظام المصرفي بما في ذلك الفقر يتم التنسيق بشأنها بين الحكومة وبين خبراء الصندوق، إلى جانب عدد من الشروط الأخرى المرتبطة بفاعلية الإصلاح، وإنجاز كل الشروط المطلوبة، هي تخفيض الدين الخارجي إلى 6 مليارات دولار فقط، وهو ما يقترب من شطب ديون السودان الخارجية تقريبا، وتخفيف الأعباء على الموارد المحلية، وإطلاقها من أجل التنمية ومكافحة الفقر.

كذلك فإن المبادرة تتضمن تسهيل حصول السودان على منح وتمويل مشروط من البنك الدولي بقيمة 2 مليار دولار، ومنحة من البنك الأفريقي للتنمية بقيمة 200 مليون دولار على مدى عامين. كذلك سيحصل السودان على تمويل إضافي من الدول الدائنة في نادي باريس خلال فترة تنفيذ مبادرة «هيبيك» للدول الفقيرة المثقلة بالديون. وبذلك فإن الترتيبات التي يلتزم السودان بالمضي فيها حاليا قد حررت الاقتصاد من أهم القيود التي كانت تعوق التنمية، وفتحت أمامه قنوات التعامل التجاري والمالي مع المجتمع الدولي، ورسمت له طريق للتقدم بمساعدة الدول الدائنة ومؤسسات التمويل الدولية. وبدون ذلك كان السودان سيظل قابعا في ظلمة الحصار الاقتصادي، بينما احتياطي النقد الأجنبي كان قد هبط إلى 1.1 مليار دولار فقط، بما لا يغطي إلا شهرين من تكاليف الاستيراد، وكان حجم الدين العام قد وصل إلى أكثر من 200 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي. وقد تمكن السودان فعلا من تسوية المتأخرات المستحقة عليه إلى البنك الدولي في اذار/ مارس من العام الحالي، ومتأخرات البنك الأفريقي للتنمية في ايار/مايو ثم صندوق النقد الدولي في الشهر الماضي.

شروط إعادة بناء الاقتصاد

وعلى الرغم من المساعدات التي تحصل عليها الحكومة السودانية حاليا، فإن المواطن هو الذي يدفع فاتورة تحقيق الاستقرار الاقتصادي، من خلال الإجراءات القاسية التي تم اشتراطها لكي يستفيد السودان من مبادرة «هيبيك». وتتمثل أهم التضحيات التي قدمها السودانيون حتى الآن في تدهور سعر العملة المحلية من 55 جنيها للدولار إلى حوالي 450 جنيها في الوقت الحاضر، وارتفاع الأسعار، وعلى رأسها السلع الغذائية بمعدلات وصلت في بعض الأحوال إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه قبل بدء برنامج الإصلاح. ويقدر صندوق النقد الدولي أن معدل التضخم الرسمي سيصل في نهاية العام الحالي إلى 130 في المئة، بعد أن قفز إلى 380 في المئة خلال العام، على أن ينخفض بفضل استمرار تنفيذ الإصلاحات الاقتصادية إلى 57 في المئة في العام المقبل. كذلك فإن الصندوق يتوقع أن الاقتصاد لن يتعافى بنسبة نصف نقطة مئوية هذا العام، بعد الانكماش الذي تعرض له في العامين الأخيرين، والذي بلغت نسبته في العام الماضي 8.4 في المئة.

وتتضمن الإجراءات التي تقوم بها الحكومة من أجل السيطرة على التضخم، الحد من الواردات غير المقننة، للحد من استنزاف العملات الأجنبية، لأن هذا الاستنزاف يتسبب في ارتفاع أسعار الدولار، مما يغذي متوالية زيادات الأسعار طويلة، وما تزال ثقافته تحكم أداء جهاز الدولة الإداري. والسبب الثاني يتمثل في من التسعير الجبري لأسعار عدد من السلع الأساسية، والزام التجار بوضع لافتات أسعار السلع، مع تسيير حملات تفتيش على المتاجر، من أجل ضمان الالتزام بها. وتشمل القائمة المقترحة الدقيق والسكر وزيت الطعام والصابون والعدس.

كما تضمنت الإجراءات التي قامت الحكومة بتنفيذها التزاما بشروط مبادرة تخفيف حدة الديون، إلغاء دعم الوقود، ما سبب في زيادات كبيرة جدا في أسعار بنزين السيارات، وأدى بالتالي إلى ارتفاع تكلفة النقل، إضافة إلى رفع أسعار التنمية قطاع إنتاج الكهرباء في السودان، حيث تشهد كافة المدن تقريبا انقطاعات متكررة للتيار الكهربائي. ولا تصل الكهرباء إلى حوالي نصف سكان السودان. ويتم توليد الكهرباء من محطات كهرومائية تنتج ما يقرب من نصف الإمدادات حاليا، ومحطات حرارية تعمل بالوقود تنتج النصف الآخر. وبسبب نقص إمدادات الوقود، واضطراب العمل في المحطات الكهرومائية الناتج عن تداعيات سد النهضة الاثيوبي، فإن محطات الكهرباء تعمل بنصف طاقتها الإنتاجية.

وتتجسد مظاهر المشقة الاقتصادية الناتجة عن فاتورة الإصلاح التي يدفعها المواطن بصورة جلية في تفاقم معدلات الفقر في كل أنحاء السودان. وطبقا لحسابات البنك الدولي اعتمادا على أحدث البيانات المتاحة من بحوث الدخل والإنفاق للأسرة، فإن معدل الفقر في السودان يتجاوز نسبة 40 في المئة، ويرتفع في دارفور إلى أكثر من 70 في المئة، في حين ينحسر في العاصمة الخرطوم إلى 26 في المئة. ولذلك فإن مكافحة الفقر وتقليله هو أحد الأركان الرئيسية لبرنامج الإصلاح الاقتصادي الذي وضعه صندوق النقد وتنفذه الحكومة السودانية.

يقوم برنامج تخفيض الفقر في السودان على عدد من الإجراءات الواضحة، التي توفر الإطار العام لتوزيع ثمار النمو بكفاءة أكبر، تشمل تحقيق استقرار اقتصادي كلي، على أساس نمو مستدام تستفيد منه جميع الفئات الاجتماعية، وتعزيز الإنفاق على التنمية البشرية، خصوصا في مجالات الرعاية الصحية والتعليم، ونشر السلام والحد من النزاعات، وضمان فرص متساوية لجميع السودانيين في الحصول على ثمار الإصلاح خلال الخطة الممتدة حتى عام 2023 التي التزمت بها الحكومة بالاتفاق مع الصندوق، وصولا إلى استهداف الأسر الفقيرة ببرنامج للمساعدات يتم تمويله بواسطة البنك الدولي وهيئة التنمية الدولية التابعة له.

التحديات المؤسسية

ما يزال السودان يعاني من تحديات كبيرة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي. لكنه سيظل قادرا على قهر هذه التحديات إذا استطاع الحفاظ على التماسك المؤسسي الذي ما يزال هشا حتى الآن، لسببين، الأول هو حداثته، مقارنة بنظام الحكم القديم الذي استمر عقودا طويلة، وما تزال ثقافته تحكم أداء جهاز الدولة الإداري. والسبب الثاني يتمثل في حداثة تجربة ازدواجية السلطة بين قيادة المجلس العسكري وقيادة حركة التغيير المدنية. وبقدر تماسك هذا التحالف خلال المرحلة الانتقالية، يستطيع السودان أن ينجو من مخاطرها وهي كثيرة. ولذلك فإن المحافظة على قوة العلاقات داخل مجلس السيادة الذي يضم عسكريين ومدنيين بقيادة العسكريين، وعلى قوة العلاقات بين المجلس وبين الحكومة التي يقودها وزيري الدفاع (من الجيش) والداخلية (من الشرطة) تمثل حجر الزاوية للعبور بسلام من المرحلة الانتقالية إلى تأسيس شروط مستدامة للنظام السياسي، والقضاء على مخاطر الردة أو انتكاس عملية السلام، أو الفشل الاقتصادي.

Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021

العملية الانتقالية في السودان رهينة لطموحات المشاركين فيها وتحديات الداخل والجوار

إبراهيم درويش

كانت التصريحات التي نقلتها مجلة «إيكونوميست» (2021/7/15) عن قادة السودان الرئيسيين لافتة للنظر، فقد اكتفى رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، وهو اقتصادي معروف بالقول إن الشراكة الغريبة التي يعمل فيها هي «طريقة سودانية» أما عبد الفتاح البرهان وهو جنرال يبدو الأقوى في السودان اليوم فأكد أن روح الوحدة لم تتأثر وأن كل مكونات العملية الانتقالية «تعمل في وئام» وسلام ولا مشاكل. والثالث وهو أمير حرب ونائب البرهان في المجلس السيادي، محمد حمدان (حميدتي) دقلو فقد تحدث عن دروس تلقاها بالإنكليزية والفرنسية في إشارة لطموحات سياسية أبعد.

هذا هو الثلاثي المفترض منه أن يحضر البلاد لانتخابات في 2024 لكنه يقود شراكة هشة يظل فيها الجيش الأمر والناهي. وولدت الشراكة بين الثلاثة بعد اتفاق تقاسم السلطة في 2019 بين قادة المحتجين الذين خرجوا إلى الشوارع في مظاهرات ضد الأوضاع الاقتصادية تطورت لاحقا إلى حركة شعبية أنهت ثلاثة عقود من حكم عمر حسن البشير. لكن تمسك المتظاهرين بتخلي الجيش عن السلطة والعودة إلى ثكناته وتسليم الأمر للمدنيين أدى إلى مجزرة في الخرطوم لا تزال فصولها لم تحل وجثث القتلى في مشارح العاصمة حيث يطالب الأهالي بتحقيق العدالة من المتورطين.

ومنذ تغيير الحكم في السودان برز البرهان، كحاكم فعلي للسودان، فهو قائد الجيش ورئيس المجلس السيادي، المكون من عسكريين ومدنيين ويشرف على الحكومة المدنية التي يترأسها حمدوك. وفي تأكيده على أن الأمور تجري على ما يرام قدم البرهان قائمة من النجاحات مثل اتفاق سلام تم توقيعه مع جماعات التمرد المسلحة، وإلغاء قوانين تحظر على النساء ارتداء ملابس غير محتشمة. كما سلط الجنرال البرهان الضوء على استعادة العلاقات الكاملة مع أمريكا وإسرائيل، الأمر الذي دفع أمريكا إلى شطب السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب. وقد مهد هذا الطريق للسودان للفوز بإعفاء من ديونه بأكثر من 56 مليار دولار. يقول الجنرال: «إن عزلتنا الدولية التي استمرت لأكثر من 30 عاما قد انتهت الآن». ويأتي بعده أمير الحرب في دارفور، حميدتي الذي يشغل منصب نائب رئيس المجلس السيادي ويقود قوات الدعم السريع التي منحها البشير صفة دستورية لموازنة قوة الجيش والمخابرات. وهذه القوات تبعت من ميليشيات الجنجويد، وهي وحدة شبه عسكرية انبثقت عن الجنجويد، ميليشيات اشتهرت باغتصاب وقتل المدنيين في منطقة دارفور. وبرز حميدتي كشخصية قوية عبر القسوة ضد الثائرين على البشير، وتتهم قواته بقتل المتظاهرين في الخرطوم بحزيران/يونيو 2019. والشراكة الثالثة أو قل الصراع سيحدد مصير المحاولة الثالثة لبناء الديمقراطية في السودان منذ الاستقلال عن الاستعمار البريطاني عام 1956. ورغم التعليقات المطمئنة إلا أن حس الأزمة السياسية يخيم على طبيعة الشراكة ويمكن أن ينفجر أي خلاف بينهما ويتحول لأزمة واسعة.

مطالب شعبية

ويواجه الثلاثة مطالب شعبية لم تتحقق بعد، وخرج المتظاهرون بداية تموز/يوليو إلى الشوارع وطالبوا فيها بحكم مدني شامل وإلغاء القرارات الدستورية التي وقعها المدنيون والعسكريون، واحتجوا على الإصلاحات التي طالب بها صندوق النقد الدولي والتي زادت من التضخم والمصاعب الاقتصادية. ونادوا بالعدالة لقتلى 3 حزيران/يونيو 2019. وكانت صحيفة «نيويورك تايمز»(2021/6/26) قالت فيه إنه وبعد عامين على مقتل أكثر من 100 شاب سوداني في الثورة التي أطاحت بالبشير لا تزال جثثهم منسية في زاوية من العاصمة. وتنبعث الرائحة الكريهة من المشرحة التي وضعت فيها الجثث، فانقطاع التيار الكهربائي منتظم وحر الصيف شديد. وأشارت إلى أن الأصدقاء وأفراد العائلة تجمعوا خارج المشرحة احتجاجا وغضبا على فشل السلطات بتشريح الجثث. ويعتقدون أن الحكومة تحاول إخفاء الأدلة التي قد تؤدي لمحاسبة من قتلوا أحباءهم. ولا يتوقع الكثيرون تحقيق العدالة لعائلات الضحايا، لأن المتهم بها قوات الدعم السريع. مع أن العدالة الانتقالية مهمة للشراكة السياسية الغريبة، لكن دبلوماسيين تحدثوا عن توتر في العلاقة بين البرهان وحميدتي منذ وقت، ورفض حميدتي دمج قواته في القوات السودانية المسلحة التي يقودها البرهان، رغم أن هذا جزء من العملية الانتقالية. وقال في أثناء حفل تأبين جندي بالخرطوم «الحديث عن دمج قوات الدعم السريع في الجيش قد يؤدي إلى تفكيك البلاد» ولم يقل ان هذا الدمج سيفقده جزءا من سلطته. ونقلت مجلة «إيكونوميست» عن حميدتي قوله إن دمج قواته سيحدث «في الوقت المناسب» ولكنه يصر على أن هذا قد حدث بالفعل. لكن هذا التناغم السطحي يمكن أن يتبخر بسرعة. وكاد الخلاف يتحول إلى مواجهة في حزيران/ يونيو، حيث بدأت قوات الدعم السريع والجيش بتحصين مقراتهما في الخرطوم بأكياس الرمل. وعلق شداد حامد معوض، وهو أكاديمي في جامعة الخرطوم: «لقد وصل الأمر إلى نقطة كان من الممكن أن يقتلوا فيها بعضهم البعض في الشوارع». وأدت المحادثات بين الجنرال البرهان وحميدتي إلى تخفيف التوتر. ويعتقد البعض أن الجنرال ربما يكون قد وافق على تأجيل الدمج إلى أجل غير مسمى. ومع ذلك، فإن هذا من شأنه أن يضعه على خلاف مع حمدوك، الذي يشعر وطنيا واحدا».

خلافات المدنيين

وتحدي العلاقة بين البرهان وحميدتي جزء من الأزمة السياسية التي يتحدث عنها حمدوك، وهي مركبة مدنية– عسكرية. فمن الجانب المدني الذي اتحد للإطاحة بالحكم بدأ التحالف يشهد تصدعات وانقسامات وانسحب العديد من القادة المدنيين وتركوا التحالف مع الجيش وعادوا إلى الشارع ومن تبقى فهم يتنازعون على الوظائف والمراكز الحكومية. ويرى نقاد حمدوك من المدنيين أنه المسؤول، فهو متعزل ومتردد وفشل في الحفاظ على الوحدة. مما يجعل من الصعوبة بمكان على التيار المدني التعامل مع الجيش والحد من سلطاته المتزايدة، فصورة النظام الحالي في السودان هي البرهان وحميدتي اللذان يقومان بزيارات خارجية ويحددان مسارها مع أن الملف هذا من مسؤولية حكومة حمدوك. وقال حمدوك إنه أجرى «مناقشات صريحة للغاية» مع الجنرالات حول تأثيرهم على الاقتصاد. ويقول الجنرال البرهان إن هذا التأثير قد انتهى، ومن الصعب تصديق هذا فالعديد من الشركات التي كانت مملوكة لعائلة البشير، على سبيل المثال، أصبحت الآن ملكا للجيش. يضاف إلى هذا الدور الذي يمارسه البرهان في السياسة الخارجية، فقد عزز علاقة السودان بمصر ولم يأبه بالاعتراضات المدنية ومضى بالتطبيع مع إسرائيل في 2020 وكان قد التقى مع رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو في يوغندا دون إطلاع الشريك المدني. وأضاف لرصيد الجيش باستعادة الفشقة قرب الحدود الإثيوبية. وتظل المنطقة من أكثر المناطق تفجرا في القرن الأفريقي، ففي ظل الصراع الحالي في إقليم تيغراي، وتدفق آلاف اللاجئين الإثيوبيين، تحرك الجيش السوداني إلى هذه المنطقة المتنازع عليها، وعزز قواته بشكل كبير. وقام الجنود بطرد المزارعين الإثيوبيين من هذه المنطقة، منهيا بذلك مقايضة تمت بين نظام البشير ورئيس الوزراء السابق ميليس زيناوي الذي سمح للإثيوبيين بزراعة الأراضي طالما اعترفوا بملكية السودان لها. ويرى البعض أن الجنرالات في السودان بمن فيهم الرئيس الفعلي يستخدمون التهديد بالحرب لتقوية موقعهم في داخل حكومة الشراكة مع المدنيين. ويملك عدد من الجنرالات أراض في الفشقة. ولكن الحكومة المدنية والجنرالات غاضبين من الخطاب الإثيوبي، وقال حمدوك «نستغرب الخطاب الإثيوبي» و «لا أحد يحتل أرضا يملكها». وفي الوقت الذي يرتبط فيه الخلاف الذي ظل منسيا بسد النهضة الإثيوبي الذي سمح للإثيوبيين من هذه المنطقة، منهيا بذلك مقايضة تمت بين نظام البشير ورئيس الوزراء السابق ميليس زيناوي الذي سمح للإثيوبيين بزراعة الأراضي طالما اعترفوا بملكية السودان لها. ويرى البعض أن الجنرالات في السودان مثل الجيش عن مكتسباته. لكن موقف حميدتي في الوقت الحالي يبدو مرتبكا بعد توقف الإمارات والسعودية عن طلب المرتزقة للقتال في اليمن وما كانت تدفعه من ملايين له. يضاف إلى هذا فقد خسر حميدتي حليفا مهما له في تشاد، وهو إدريس ديبي. وكانت زيارته لتركيا وقطر محاولة منه للبحث عن أصدقاء. وصرح في الفترة الأخيرة محذرا من انقلاب جماعة النظام السابق، وهو سيناريو غير مرجح في الوقت الحالي. لكن الباحث الفرنسي جان بابتيست جالوبين لا يستبعد تحالف الإسلاميين مع الجيش لإخراج حميدتي من المشهد. وقد يؤدي هذا إلى اندلاع القتال في جميع أنحاء السودان. ومع ذلك، يعتقد مراقبون آخرون أن حميدتي نفسه سيشكل تهديدا أكبر على عملية الانتقال السياسي، إذا خشي على مصالحه الاقتصادية–أو حريته. فالتحقيق في مذبحة أكثر من 100 متظاهر في عام 2019 قد يشير بأصابع الاتهام إلى مسلحيه. وحذر حمدوك في حزيران/يونيو من حرب أهلية إذا لم تتوحد الفصائل المسلحة في جيش واحد. وقد حدد موعدا نهائيا لتشكيل مجلس تشريعي يتولى المسؤولية فيه المدنيون، ودعا إلى مؤتمر دستوري لتوضيح مكان الجيش في السياسة. وقال «طوال السنوات التي تلت الاستقلال وحتى اليوم، ظل الجيش يهيمن علينا» مضيفا أن لدى المدنيين فرصة لعكس هذا الواقع ولكن فرصة عابرة فقط. وبعيدا عن تنافس وخلافات شركاء العملية السياسية فسيظل الوضع السوداني قابلا للانفجار، وبدون حل الخلافات السياسية والأزمة الاقتصادية فالتململ الشعبي سيظل قائما. ذلك أن السودان محاط بصراعات ساكنة أو متفجرة ودولة فاشلة اقتطعت من أراضيه، دولة جنوب السودان التي احتفلت بمرور عقد على إعلانها، ولم يكن الاحتفال بميلادها سعيدا، فهي لا تزال فاشلة سياسيا تحكمها نخبة لم تعبر عن رغبة في التقاعد وسط أزمات من الجاعات والنزاعات الأهلية.

حوار

المفكر والخبير والوزير والبرلماني الأردني الدكتور محمد حلايقة:

الإحباط السياسي تحالف مع الاقتصادي وهذه عوامل انفجار مجتمعي

حاوره: بسام البدارين

لا يتعلق الأمر فقط بمفكر وخبير اقتصادي بارز في الأردن، بقدر ما يتعلق بخبرة سياسية وبيروقراطية وتشريعية وبرلمانية عتيقة تلاحظ وتقيم وتساهم في التشخيص ووضع الحلول والمقاربات أيضا.

الدكتور محمد الحلايقة أحد كبار الخبراء الذين يمزجون في الأردن بين التطبيق الاقتصادي وتلمس احتياجات الدولة والناس معا.

تقلد الحلايقة عدة مناصب عليا ووزارية في الدولة الأردنية وفي البرلمان وهو دوما في موقع متقدم من أصحاب الاختصاص ومراقبي الشأن الإقليمي والدولي وقد استضافته «القدس العربي» في الحوار التالي وهنا نصه:

○ حذرت مؤخرا مما أسميته «الانفجار الاجتماعي» لأسباب اقتصادية في الأردن، لماذا وعلى أي أساس؟

● دعني أذكر أن الربيع العربي. وما تلاه من فوضى، لم تكن هناك مظاهرات سياسية مناكفة للحكم وللأسف كان ذلك مؤشرا على حجم الغضب الشعبي المكبوت والإحباط الاقتصادي لدى الشعب التونسي وامتد إلى العديد من الدول على خلفيات مختلفة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو مؤامراتية إن شئتم.

المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية في الأردن مقلقة ليس لي شخصيا وانما مقلقة لكل المواطنين ويجب ان تكون مقلقة لصانع القرار.

واضح ان جائحة كورونا أضافت المزيد من الأعباء والتحديات ليس على الحكومة فقط ولكن على المواطن.

اليوم نتحدث عن 140 ألف متعطل عن العمل اضيفوا إلى سوق البطالة الذي هو أصلا زاخر، ودخول الناس انقطعت لفترة خاصة من يعملون في المهن الحرة. نسبة الفقر ترتفع حسب إحصاءات الحكومة.

آخر مؤشرات البطالة انها وصلت إلى 25 في المئة وهذا أصبح رقما قديما، وأنا قلت في وقت سابق ان البطالة ربما تصل إلى 30 في المئة ونسبة الفقر في ارتفاع، ودخول الناس تتآكل، أيضا الغلاء موجود والناس تشكو من ارتفاع الأسعار.

ذلك يعني العوامل التي لا سمح الله يمكن أن تؤدي إلى انفجار اجتماعي موجودة، وحدثت لدينا عدة قصص ومظاهر التعبير عنها كان على خلفية اقتصادية بغض النظر عن ماهية المحرك. قضية النائب اسامة العجارمة شاهد على الموضوع، الناس تعاطفت وتآلفت فترة معينة مع النائب قبل ان ينقلب على نفسه وعلى خطابه.

الإحباط للأسف وصل إلى مرحلة عميقة ليس هناك من جهة حكومية تخرج وتقول للناس «لا تأمل أمل وان هناك يوجد ضوء في نهاية النفق».

اليوم نتحدث عن 210 آلاف طالب تقدم للثانوية العامة وأنا أتحدث عن 80 أو85 ألف خريج من التعليم العالي لا يجد فرصه ونتحدث عن حوالي 400 ألف طلب لدى ديوان الخدمة المدنية.

إذا إحباط اجتماعي كبير نتيجة الوضع المتوتر والقلق، ونرى كيف هذا التوتر يعبر عنه جرائم بشعة نعرفها لأول مرة في المجتمع الأردني بينها جرائم قتل وجرائم بشعة هذه لم تكن موجودة.

الناس لا تجد فرص عمل هناك مظاهر متعددة للإحباط الاقتصادي لإغلاق المؤسسات وتعطل الكثير من القطاعات.

وكما أشرت جائحة كورونا أثرت على ذلك.

أيضا الناس تتأثر بالجو السياسي والمناخ السياسي العام. الناس غير راضية عن مجلس النواب وعن الطريقة التي وصلها هؤلاء النواب إلى المجلس ولذلك ايمانهم بقضية الإصلاح السياسي تراجع عمليا ولعل تشكيل اللجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية يعالج هذه الثغرة.

أيضا هناك إحباط سياسي كبير نتيجة ما يحدث في الإقليم. يعني الأردنيون يتفاعلون بشكل كبير مع ما يحدث في فلسطين، ورأينا خلال الهجوم على غزة حجم الغضب الأردني وحجم التعاطف الأردني وهذا أيضا عامل نفسي مؤثر على زيادة التوتر.

للأسف يعني لا في المجال السياسي هناك اختراق ولا في المجال الاقتصادي ولا الاجتماعي، هذه كلها عوامل تؤدي إلى مزيد من الإحباط.

ونرجو من الله ان يكون هناك من الإجراءات ومن الوسائل لتطمين المواطن. أننا نسير نحو الأفضل.

والناس اليوم تقارن الأردن بالسنوات السابقة وهذا مؤسف لانه يجب ان نتطلع للمستقبل.

المؤسسة الأردنية تتراجع في قرارها وإجراءاتها وفي انجازاتها لذلك كل هذه المجموعة من العوامل التي تجعلني قلقا وتجعل الناس قلقين.

كيف تراجع القطاع العام؟

○ **في التقرير الأخير للمجلس الاقتصادي الاجتماعي الذي أدرته لستة أشهر فقط قبل استقالتك تحذير من تراجع خطر في خدمات القطاع العام، على أي أساس ولماذا هذا التراجع خطر؟**

● ليس في التقارير فقط التي تتحدث عنه تراجع القطاع العام ولكن هناك شواهد وشواهد صادمة.

الذي حدث في مستشفى السلط كان كارثة بكل المقاييس وشكلت صدمة للأردنيين جميعا. كنا نفاخر في أداء قطاعنا الصحي وكنا نفاخر بالإدارة الأردنية وهذه الإدارة قدمت نماذج طيبة في الماضي حتى للعديد من الدول العربية.

وكانت هناك إشادة بالإدارة الأردنية وكنا مثلا في أداء الإدارة ونزاهتها، ولكن للأسف اليوم نحن نشهد مؤسسة أردنية تتآكل وهناك تردد في اتخاذ القرار، هناك ترهل في القطاع العام والسبب أو الأسباب لذلك عديدة.

أولا الجهاز الحكومي جهاز متضخم والسيطرة والرقابة تضعف بطبيعة الحال في حالة وجود أعداد كبيرة هذا أيضا كان له مساوئ كثيرة انعكست على الإنفاق والقطاع العام.

كانت لدينا في الماضي معاهد لا أدري ماذا حصل لها تدرب الموظفين «معهد الإدارة العامة»و «دورات تدريبية» كان هناك اهتمام بالموظف العام. اليوم الكل يسعى للوصول إلى الوظيفة العامة بغض النظر عن الطريقة بالواسطة أو بالكفاءة أو إلى غير ذلك، ولكن من «دخل بيت ابي سفيان فهو آمن».

صحيح ان هناك أداء للأجهزة الرقابية في الجانب المالي ولكن بالجانب الإداري للأسف لا توجد جهة رقابية.

ألغينا ديوان الرقابة والتفتيش في مرحلة سابقة. الوزارات والمؤسسات تعج بالموظفين. المسؤول في الصف الأول والثاني مشغول بالمعالجة اليومية للقضايا والمشاكل وقليل من الانتباه يعطي لإعادة النظر في جذرية الأداء الإداري.

وعلينا ان نعود إلى ما كنا عليه من ناحية اختيار الموظف ومن ناحية المسؤول الأول.

وفي رأيي ان قرار الحكومة بالاستغناء عن الناس في سن الستين ليس جيدا. هذه مسطرة ليست عادلة، فكثير من الناس يبدأ عطائهم في عام الستين.

في رأيي ان الإصلاح الإداري أولوية ويتقدم على الإصلاح السياسي والاقتصادي لأنهما يحتاجان لإجراءات طويلة في حين ان الإصلاح الإداري يحتاج إلى قرار. لابد من إعادة النظر بمنظومة الخدمة المدنية والتوظيف والأداء للموظف العام، ولابد من التأهيل والتدريب.

اليوم في مستجدات في نظام الإدارة العامة لا يمكن ان تستمر بالطريقة التقليدية.

ودخولنا على موضوع الحكومة الإلكترونية في فترة من الفترات كان تخبيصا في الأداء، والأردن أصبح مشهورا بكثرة المنصات.

اليوم تتغير الإدارة، كثير من الشركات في العالم والمؤسسات لجأت إلى العمل عن بعد عبر جهاز كومبيوتر.

كل وزارة يجب اليوم ان تبدأ بكشف ما هي الإجراءات الإدارية لتحسين الأداء والابتعاد عن مفارقات موظف كسول وآخر لا يريد العمل بعد توسع الفساد الصغير.

حسنا فعلت بعض المؤسسات أنها طورت أنظمة إلكترونية لتقديم الخدمة هذا شيء جيد لكن يتوجب أن نوسع ونطور هذه الخدمة ونخفف من تدخل الموظف.

الذي يذهب إلى القطاع العام مع احترامي لكل موظفي القطاع العام الذين يدرسون الآداب والفلسفة والتجارة وكل هذه التخصصات وهؤلاء هم الذين حصلوا على معدلات يعني ليست بمستوى معدلات الفئة الأولى في الثانوية العامة.

يعني لا يعقل ان مثل هذه التخصصات وخريجيها مع احترامي لهم هناك ناس جيدين ومبدعين ان يتولوا الإدارة خاصة في فترة قصيرة دون تأهيل، دون تدريب والخ.

لذلك اليوم ضروري نعيد النظر بحجم الحكومة، بإجراءات الحكومة وبموضوع تأهيل الموظف ومرة أخرى بموضوع توزين الخدمة الحكومية.

ومثال آخر على تردي الإدارة الحكومية ما حصل في قطاع الكهرباء أول مرة يحصل في الأردن مثل هذا القطع الشامل ولهذا العدد الطويل من الساعات. وللأسف التبريرات اللي صنعناها يعني فيها انتقاص من ذكاء الأردنيين وشكلت لجنة وأيضا ظهرت بعض التوصيات لكن لحد الآن لا نعلم تماما ما الذي حدث.

الأمثلة كثيرة الحقيقة، وهناك أشير أيضا إلى شكاوى من القطاع الخاص ورجال الأعمال تحديدا أثناء مراجعتهم إلى بعض الدوائر الحكومية لدينا أمثلة ناجحة في الدوائر الحكومية. الناس تمتد دائرة الجوازات العامة وتمتد دائرة ترخيص المركبات على سبيل المثال وترخيص السواقين، هناك أمثلة ناجحة.

طيب لازم ندرس الأمثلة الناجحة ولماذا هي ناجحة وكيف ممكن ان نؤثر في المؤسسات المتراجعة حتى تؤدي مثل هذه الخدمات وتصبح أيضا مؤسسات ناجحة.

الإتجاه المعاكس

○ **كنا قد سمعناك تتحدث عن «عكس الإتجاه» في الإتجاه الاقتصادي لمعالجة المعضلات، ما هي فكرتك هنا وعن ماذا نتحدث؟**

● برنامجي أو فكرتي تبدو نظرية بالمقام الأول، لكن لجأت لها بعض الدول. فطوال سنوات كان الخط الاقتصادي الأردني قائما على فكرة تعزيز إيرادات الدولة وذلك بطبيعة الحال عبر رفع الضرائب والرسوم وهي من أعلى النسب في العالم، ورغم ذلك لم يحصل إختراق ولم تتحرك أي من مؤشرات النمو. واليوم لتحقيق نمو ناشط لا بد من «نيو تيرن» عنوانه تخفيض الضرائب بالتوازي مع تقليص حجم الحكومة ومعالجة الهدر واقتراحي ان نرجح بضريبة المبيعات إلى 10 في المئة على عدة سنوات ويعلم الجميع ان ضريبة الدخل مرتفعة جدا في الأردن وانه ثمة مشكلة في بيروقراطية التحصيل الضريبي وقد شهدنا مؤخرا حالات قسوة أدت إلى نفور بعض رجال الأعمال. وما ينبغي ان يحصل تقليص العبء الضريبي حتى يزيد الاستهلاك وبالتالي تزيد ضريبة المبيعات.

ونعم تحدثت عن تلازم مسارات الإصلاح في حضرة جلالة الملك في الاقتصاد والسياسة والإدارة ويمكن ان تكون الأولوية لإصلاح إداري فهو لا يحتاج لأكثر من مراجعة التشريعات والأنظمة، ويمكن ان نبدأ به بأي لحظة والمعروف ان لدينا خللا في منظومة الشراكة مع القطاع الخاص وبالتالي تلازم مسارات الإصلاح ضروري. وما حصل في فترة الجائحة كورونا ان البنك المركزي ومؤسسة الضمان الاجتماعي أسهما في تخفيف الأعباء وماعدا ذلك لا يوجد فائض مالي في الدولة.

التكامل الثلاثي ..ماذا بعد؟

فيما يتعلق بمشروع التكامل الثلاثي بين الأردن والعراق ومصر، لا يؤمن الحليقة برفع سقف التوقعات ويرى أن التباحث على أساس التنسيق شيء جيد، لكن لا توجد مساحة للتفاؤل الكبير، مقترحا بان التكامل بدون سوريا ينطوي على خسارة للجميع وان التجارب العربية عموما في مسألة التكامل لا توحي بالثقة، فالأنظمة السياسية مختلفة وبالتالي الآليات الاقتصادية تختلف والموارد كذلك والتفكير القطري هو السائد.

بالنسبة للعراق يرى الحليقة انه مستباح من احتلالين وبالتالي قراره الاقتصادي لا يمكنه ان يكون مستقلا، ومصر لديها مشكلات مع ليبيا وأثيوبيا وطموحها في العراق يرتكز على الطاقة والعمالة، أما الأردن فيواجه ضغوطات متنوعة الأنماط وعليه يمكن التحدث عن مشاريع ومباحثات وتعاون من دون الافراط بالتفاؤل أو إطلاق عبارات قد لا تعكس الواقع.

فطام المساعدات

○ **أخيرا، هل ترى شعار الاعتماد أردنيا على الذات وفطام المساعدات واقعيا؟ ولك مقولة شهيرة بعد كورونا نرغب بتوضيح مقاصدها بعنوان «تحويل المحنة إلى فرصة أو منحة»؟**

● فيما يخص الحديث عن الفطام من المساعدات هو شعار طموح جدا سبق ان رفعته عدة حكومات فيما تضمنته أوراق جلالة الملك النقاشية.

بصراحة الوضع الجيوسياسي للأردن لا يسمح بذلك. وإذا أردنا الاعتماد على الذات فعلا نحتاج لبرنامج يصل إلى 30 عاما في ضوء الموارد الموجودة على ان نلتزم به فعلا وبصفة سنوية ضمن رؤيا وطنية شاملة تؤدي إلى تنويع مصادر الدخل بعيدا عن الاقتراض.

وهنا ثمة بعض الأفكار بطبيعة الحال. فمثلا كنا منارة في قطاع الخدمات وينبغي ان نعود ونعالج الهدر المالي ويمكن ان ننشط في العقبة والسياحة وقطاع الخدمات ومن غير المعقول أننا ندخل المئوية الثانية للدولة بدون قطاع نقل متطور حيث ان سكة الحديد الوحيدة هي تلك العثمانية الآن.

ويفيدنا هنا زيادة إنتاجية الموظف العام وتقوية منظومة الإدارة والاستثمار أكثر في إمكانيات الغاز والنفط والعمل على إجراءات لتطوير البنية التحتية والفوقية واستغلال الامكانات الموجودة بسب الثقل والمكانة الدولية للأردن وجلالة الملك ويمكن ان نذكر مثالا، فقد أعفي السودان مؤخرا من 23 مليار دولار وما زلنا لا نستثمر بطريقة صحيحة ورقة اللاجئين ومكانة الأردن في الخريطة الدبلوماسية الدولية وتلك كلها خطوات متلازمة.

ونعم جائحة كورونا كانت محنة يمكن استثمارها كفرصة.

علينا ان نعرف هنا كأردنيين بأن مشكلات الاستثمار معقدة ومساحة الحراك أمامنا في الصادرات، وليس سرا أننا لا ننتبه كثيرا أو لم ننتبه في الماضي لأفريقيا المجاورة ولا لدول القوقاز أو جمهوريات الاتحاد السوفييتي، فنحن لدينا قطاع طبي واعد وصناعات أدوية يعتد بها ويمكن ان نراهن على توسيع صادرات وإنتاج المستلزمات الطبية بالعديد من أنواعها، وقد كنت أحلم مرة بأن نقيم منطقة كورونا آمنة في وادي رم مثلا، ولدينا فرص سياحة طبية أهملناها وأخرى كانت جيدة في الماضي وتدر دخلا في المجال التعليمي وخدشناها.

ولدينا أيضا ما وصفه رجل أعمال مصري بانه منجم كبير، وهو اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة، فأمريكا تستورد بما قيمته 2 ونصف تريليون دولار، واتفاقيتنا للتجارة الحرة معها ممتازة جدا لكن لا نستثمرها في المكان الصحيح. ماذا لو استطعنا الحصول مثلا على 5 في المئة فقط من الحصة في السوق الأمريكي؟ ماذا لو ركزنا على شركة مثل كي مارت في قطاع الملابس يمكن ان نصدر لها 50 إلى مليون قطعة؟ لدينا أيضا قطاع الإنترنت والخدمات، وما يمكن قوله بإن الفرصة موجودة وكامنة في عمق الأزمة فلدينا أيضا قطاع زراعي ستر عورة الجائحة وما بعدها ويمكننا التركيز على صناعتنا الغذائية والطبية.

المطلوب رصد تلك الفرصة والعمل بجهد وطني للاستثمار فيها.

في الخلاصة وبعد حديث معمق تعرض للكثير من التفاصيل، يلفت الحليقة نظر الجميع إلى ان حرية التعبير والحريات العامة في الدول أصبحت من المعايير الأساسية في توجيه الاستثمارات بالنسبة للعديد من الدول الديمقراطية والشعوب وقطاعات المستثمرين.

حريات

حرية الصحافة في المغرب تحت مجهر المنظمات العالمية والدول الحليفة وأصوات رسمية ترفض الاتهامات

الرباط ـ «القدس العربي»: الطاهر الطويل

والمغرب على مشارف الاستحقاقات الانتخابية التي ستجري في أيلول/ سبتمبر المقبل، ترتفع أصوات بعض الأحزاب والمنظمات مطالبة بانفراج سياسي وحقوقي، وطيّ صفحة التشنجات بين سلطات الرباط والنشطاء الحقوقيين والصحافيين المعروفين بانتقاداتهم الحادة.

ويقصد بالانفراج الكفّ عن مضايقة بعض الصحافيين والنشطاء الحقوقيين ورموز الحراك الاجتماعي، وكذا إيجاد مخرج مشرّف للمتابعات والاعتقال والأحكام القضائية الصادرة في حق عدد من الأسماء التي تعدّت قضاياها الحدود الوطنية، لتتخذ بعدا عالميا، حيث دخل على الخط عدد من المنظمات الدولية ومراكز القرار المؤثرة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، الحليف التقليدي للمغرب.

واللافت للانتباه أنه في حالة الصحافيين الموصوفين بـ«المزعجين» فإنهم لا يتابعون بقضايا ذات صلة بعالم الصحافة والنشر، ولا بالقانون المتعلق بذلك، وإنما بالقانون الجنائي، في إطار ما يُسمّى بـ«الحق العام»، بمعنى أوضح، تريد السلطات أن تؤكد أنهم يتابعون ليس بصفتهم صحافيين، وإنما باعتبارهم من عامة الناس، يرتكبون جرائم أو جنحا في علاقتهم مع غيرهم من المواطنين، مما يستوجب إنزال العقوبات في حقهم، وفق ما يقرره القانون.

لكن هيئات صحافية وحقوقية، ومن ضمنها «لجنة حماية الصحافيين» و«المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان» وغيرهما، ترى أن «تهم الجرائم الجنسية أصبحت أداة أخرى للسلطات لمعاقبة الصحافيين». والأدلة على ذلك متعددة: فالصحافي توفيق بوعشرين (مؤسس صحيفة «أخبار اليوم» المغربية) يقضي عقوبة سجنية مدتها 15 عاما بتهمة «الإتجار بالبشر من خلال استغلال الحاجة والضعف واستعمال السلطة والنفوذ لغرض الاستغلال الجنسي عن طريق الاعتياد والتهديد بالتشهير»؛ والصحافي سليمان الريسوني (رئيس تحرير الصحيفة المذكورة) حُكم عليه أخيرا بخمس سنوات سجنا نافذا بتهمة هتك عرض شاب مثلي؛ كما حُكم من قبل على ابنة أخيه، الصحافية هاجر الريسوني (التي كانت تعمل في الصحيفة نفسها) بالسجن لمدة عام بتهمة ممارسة الجنس خارج إطار الزواج والإجهاض، قبل أن تستفيد من عفو ملكي.

ليس هذا فقط، فالصحافي الاستقصائي عمر الراضي معتقل هو الآخر منذ سنة على ذمة التحقيق، في قضية اتُّهم فيها بالاعتداء الجنسي على زميلة له، بينما يؤكد هو أن المسألة مجرد علاقة جنسية رضائية. كما وُجّهت له تهمة التجسس ضد بلاده، بناءً على اتصالاته مع دبلوماسيين غربيين وعمله في شركة استشارات بريطانية. ووفقًا لتحقيق أجرته هيومن رايتس ووتش «لا يوجد دليل على أن الراضي فعل أي شيء مخالف للقانون، سوى قيامه بعمل صحافي عادي أو عمل خاص بالشركات والاحتفاظ بالاتصال بدبلوماسيين، كما يفعل العديد من الصحافيين والباحثين بشكل روتيني».

وأدلى «المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان» الذي يوجد مقره في سويسرا، بدلوه في الموضوع، حيث أصدر حديثا تقريرًا حول «ملاحقة السلطات المغربية للنشطاء والحقوقيين والصحافيين» تحدث فيه عن «تفاقم الانتهاكات والتجاوزات التي تتسم بها سياسة الدولة تجاه حرية الرأي والتعبير والعمل الصحافي»، مشيرا إلى أن ذلك يتجسد ذلك من خلال استمرار السلطات المغربية في اللجوء إلى القانون الجنائي، عوض قانون الصحافة والنشر، لمتابعة الصحافيين والناشطين في التعبير عن آرائهم وتجريمها، بما في ذلك ما يجري نشره على منصات التواصل الاجتماعي. وذكر أنه في الوقت الراهن تحتجز السلطات وتحاكم ما لا يقلّ عن 21 صحافيا وناشطا مدنيا وسياسيا وحقوقيا وآخرين، متهمين بسبب تعبيرهم عن آرائهم عبر منصات التواصل الاجتماعي مثل يوتيوب وفيس بوك وتويتر وغيرها.

ردود الفعل

وعقب صدور الحكم على الصحافي سليمان الريسوني بالسجن خمس سنوات، توالت ردود الفعل المحلية والدولية، فيما هبّت أطراف رسمية للرد على تلك المواقف، فقد أصدرت «الجمعية المغربية لحقوق الإنسان» بيانا شديد اللهجة انتقدت فيه الحكم، معتبرة المسألة تتعلق بتصفية حساب سياسي مع صحافي حر ومزعج، وجددت مناشدتها له بوقف الإضراب عن الطعام.

أما «النقابة الوطنية للصحافة المغربية» فأمسكت العصا من الوسط، معبّرة في بيان لها عن أسفها «لأن هذه المحاكمة عرفت تأخرا في سريانها في المرحلة الأولى، في حين كان من الضروري تسريع أطوارها لتجاوز التداعيات التي ترتبت عن هذا التأخير» وذكرت النقابة بأنها طالبت منذ البداية بمتابعة الريسوني في حالة سراح، مؤكدة أن حضوره في جلسات هذه المحاكمة كان ضروريا، وكان من الواجب ضمان شروط هذا الحضور من لدن جميع الأطراف، سواء من طرف الجهة القضائية التي كان من مسؤوليتها ضمان شروط هذا الحضور، ومن جهة الطرف الثاني الذي كان مطالبا بالامتثال لظروف المحاكمة.

وأشار البيان إلى أن غياب الريسوني عن الحضور حرمه من العديد من حقوقه القانونية ومن ضمانات المحاكمة العادلة، مشددا على أنه من الضروري، أن تمر هذه المحاكمة في ظروف أحسن، وأجواء مناسبة كفيلة بإجلاء الحقيقة. وقالت النقابة إنها «إذ تعبر عن انشغالها وقلقها إزاء كل ما حدث، فإنها تتطلع إلى تصحيح جميع هذه المعطيات في مرحلة الاستئناف بما يضمن حقوق جميع الأطراف، في إطار محاكمة عادلة تستوفي جميع الضمانات القانونية». كما ناشدت سليمان الريسوني بالتجاوب الإيجابي مع مناشدات العديد من الأطراف بإيقاف الإضراب عن الطعام الذي امتد لفترة أضحت تمثل خطرا على سلامته وعلى حياته.

على المستوى الدولي، كان لافتا للانتباه الموقف الذي عبرت عنه الولايات المتحدة الأمريكية، الحليف التقليدي للمغرب، إذ قالت على لسان المتحدث باسم خارجيتها، نيد برايس، إنها أصيبت بـ«خيبة أمل» بسبب «تقارير حول حكم محكمة بالمغرب على الصحافي سليمان الريسوني بخمس سنوات سجنا». وأضاف المصدر ذاته «نسجل أن السيد الريسوني زعم أن هناك انتهاكات لضمانات المحاكمة العادلة. ونعتقد أن المسار القضائي الذي قاد إلى الحكم عليه يتعارض مع الوعود الأساسية للنظام المغربي حول المحاكمات العادلة للأفراد المتهمين بجرائم، ويتعارض مع وعد دستور 2011 ومع أجندة إصلاح جلالة الملك محمد السادس». وذكر المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة لديها «قلق أيضا حول التأثير السلبي لهذه القضية على حرية التعبير، وحرية التنظيم بالمغرب» وتابع قائلا: «حرية الإعلام تأسيسية لمجتمعات مزدهرة وآمنة، ويجب على الحكومات ضمان أن يمارس الصحافيون بأمان أدوارهم الأساسية دون خوف من الاعتقال بغير موجب قانون، أو من العنف، أو التهديدات». وذكرت الخارجية الأمريكية أنها تتابع هذه القضية «عن قرب» مع «قضايا صحافيين معتقلين آخرين في المغرب، من بينهم عمر الراضي». وسجلت أنه سبق لها أن تطرقت لـ«هذه التخوفات» مع الحكومة المغربية، قبل أن يجمل المتحدث باسمها قائلا: «سنستمر في القيام بذلك».

الموقف المغربي

لم تمر تصريحات المتحدث باسم الخارجية الأمريكية مرور الكرام، إذ تولت جهات رسمية في المغرب الرد عليها، وكان لافتا للانتباه أن أول المعقّبين هو مدير إدارة السجون، محمد صالح التامك، الذي نشر تصريحا أعرب فيه عن قلقه العميق بشأن الموقف الذي اتخذه الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، متمنيا أن يكون «نوتة نشاز» وإلا - كما قال المسؤول المغربي - فإن مجازفته هذه لا تبشر بالخير بالنسبة لمستقبل العلاقات الأمريكية المغربية. وتساءل قائلا: «لماذا كل هذا التكالب على المغرب في الظرفية الراهنة؟ أليس هذا تحيزا صارخا وغير مبرر لشرذمة من المتطرفين الإسلاميين واليساريين همّهم الواحد الأحد هو خلق البلبلة والجلبة، وذلك على حساب الغالبية العظمى الصامتة من المغاربة؟».

الرد الثاني جاء من «المندوبية الوزارية لحقوق الإنسان» إذ أصدرت بيانا قالت فيه إن تصريح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية بشأن اثنين من المشتبه بهم، حُكم على الأول، ابتدائيا، بالسجن لمدة خمس سنوات في قضية حق عام، فيما يوجد الثاني في طور المحاكمة، يستند إلى معلومات «منحازة» صادرة حصريا عن داعمي المتهمين. وأضافت أن «هذه المعلومات حجبت عن عمد وجهة نظر المشتكين ودفاعهم، وذهبت إلى حد إنكار وضعهم كضحية وحقهم المعترف به عالميا في تقديم شكوى». ولاحظت «بذهول» أن تصريح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية يشير فقط إلى مزاعم الشخص المدان، مع التركيز على وضعه المهني، وإلى مزاعم «انتهاكات المعايير المتعلقة بمحاكمة عادلة» في حين أكد بيان النيابة العامة المختصة الصادر في 12 تموز/ يوليو 2021 بوضوح الطابع العادل للمحاكمة المذكورة، وقدم شروحات وتوضيحات عن حقيقة مجريات محاكمة المواطن سليمان الريسوني المتابع من أجل جرائم الحق العام ولا علاقة لها إطلاقا بعمله الصحافي.

وشددت المندوبية على أن «المغرب المتشبث باحترام الحقوق الأساسية لجميع المتقاضين، مهما كان وضعهم، وبالتالي فإن استقلال القضاء، الذي كرسه دستور 2011 والذي أفرزته الإصلاحات الجوهرية التي باشرتها المملكة منذ أكثر من عقدين، هو الضامن لاحترام هذه الحقوق الأساسية». الرد الثالث صدر عن جمعية القضاة المغاربة التي تحمل اسم «الوداية الحسنية للقضاة» تصريح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية حول «العدالة وحرية التجمعات والصحافة» في المغرب، مؤكدة أن استقلالية وسيادة القضاء المغربي خط أحمر لا يجب تجاوزه من طرف أي جهة كانت.

ولفت البيان إلى ما خلفه تصريح الخارجية الأمريكية من «إساءة بالغة لحقيقة المجهودات الجبارة التي ما فتئت تبذلها السلطة القضائية المغربية بكل ثقة وثبات ونجاعة وفعالية من أجل تحقيق الأمن القضائي وتعزيز ثقة المواطنين والمواطنات بعدالة بلادهم، إيمانا منهم بأن العدالة في أي بلد تعتبر عمادا للاستقرار والأمن ورافدا من روافد التنمية ومقياسا حقيقيا للحضارة والديمقراطية».

واعتبرت جمعية القضاة أن التصريح لا يسيء فقط إلى السلطة القضائية المغربية ويمس باستقلاليتها المكفولة لها بمقتضى الدستور والقانون والمواثيق الدولية لاستقلال السلطة القضائية، بل يطال شعور وشرف وكرامة جميع قضاة وقاضيات المملكة المغربية قاطبة وجميع العاملين والمشتغلين بحقل العدالة المغربية. كما يمس التصريح في العمق بثقة المواطنين والمواطنات في عدالة بلادهم، على اعتبار أن استقلالية القضاء ليست امتيازا أو تشريفا للقاضي، بل واجبا عليه وحقا للمواطن. وأكد المصدر نفسه أنه «ليس من المتصور على الإطلاق أن تعلق على قضية من صميم اختصاص قضاء مستقل لدولة أخرى ذات سيادة، مشددة على أن لكل بلد شأن يغنيه، والحقيقة لا ترى من زاوية واحدة».

كتب

الشاعر العراقي رعد فاضل في «مسوّدات عابر عيش»: تجليات العشق والمشاهد المحلية

هاشم شفيق

مال شعراء كثيرون ممن يتعاطون الكتابة مع قصيدة النثر إلى التجريب الغني، المحمول على البنيات السردية، وأنسقتها الحكائية التي تعتمد التدوين القصصي، ذا المساق المشبع بالسرود الدائرية، ذات البعد الكتلوي، المتسم بالقطعة اللغوية، المبنية على شكل كتلة من الكلمات، والمفردات التي توحي بالمدار القصصي، أكثر مما توحي بالبنية الشعرية، وذلك هو ما يميز هذا النوع المتداخل من الكتابة الأفقية، المتوغّلة في متونها، وهوامشها، كنسق شعري ينضاف إلى بقية الأنسقة الشعرية الماثلة، والموجودة، والمستحدثة في قصيدة النثر.

شعراء عرب كثيرون نحوا باتجاه تجارب السرد الشعري، مستخلصين من طلاقته وحريته وطيرانه الشعري تجربتهم الفنية، هذا فضلاً عن إفادة هذا المساق من أشكال وأساليب وتكاوين المفاهيم الأخرى، كالهرمسية والتوغل في عالمها الموحي بالغوامض، العرفانية وطرق تعريجها، واشتغالها على المعارج النورية، في استخلاص الزبدة الإشراقية من هذا العروج، ولدينا كمثال أدونيس في هذا المجال، وكمال أبو ديب وتوفيق صايغ، وظهر ذلك في بعض تجارب سليم بركات، وخزعل الماجدي، وزاهر الجيزاني، وحلمي سالم، ورفعت سلام، على سبيل المثال لا الحصر، فالغنوصية، والصوفية، ومجموعة شبكة دلالاتهما، بمناحيها ورواسبها وتجلياتها، أصبحت نهجاً، ومدار بحث ودرس واستقصاء للعديد من الشعراء العرب، ومن بينهم شاعرنا، ومركز حديثنا في هذا المقال، الموصلي رعد فاضل، في عمله الجديد «مسوّدات عابر عيش».

تحت أفق هذه الرؤية، تنضوي نصوص أو سرود رعد فاضل، وتقع في مجال هذا المسمى من الكتابة الشعرية الحرة المتسمة بالمناجاة والتهدّج، وهي كتابة تراعي التقليد الصوفي، ونهجه الجوّاني المتخم بالأسرار، والمحافظ على معاني الروح وأشواقها، وهي أيضاً كتابة مفتوحة، متناصّة مع السرد المروي، والمشهد الحكائي، الذي يحمل الطابع اليومي للمشهديات، تلك التي يدوّنها الشاعر في مخياله، كنوع من الفنون الشعرية، فنون باتت طليقة، ولا تتقيّد بشكل معيّن، محدّد وثابت، من الحدود والتقاليد الشعرية .

فالشاعر الموصلي هنا، يعطينا ترسيمات ومويتفات شعرية تفصيلية لحياة هو يراها أمامه ماثلة، في بيئته المشرقية، بيئة ذات قسَمات تركية، وإنكليزية وعربية، وفيها إثنيات متعدّدة المشارب، والمنازع والأصول، والموصل كما نعرفها ويعرفها التاريخ، مدينة أنبياء، ومقامات دينية رفيعة، حيث قشلة الترك، والسّرج خانة، والدوّاسة، ينضاف إليها، تاريخ الأنبياء ومراقدهم، كالأنبياء يونس وشيت وهرمز ودانييل، وغيرهم من الأنبياء الذين وجدوا في مائها، وهوائها، وخضرتها، وعيشها المنعّم طيب الإقامة.

في مفتتح الصفحات الأولى من كتاب «مسودات عابر عيش» يُرينا بعين الشاعر الحي، والمدوّن، والشاهد على الخراب، خراب الأحلام والأزمنة، يُرينا معالم مدينته، في تدوينة شعرية تنفتح على مشهد «الجسر الإنكليزي» وعلى فضاء «السّرج خانة» وتمثلاته للسوق العاج بالناس، والطيوب، والفن الذي يتجوّل في الأنحاء ويجوب الزوايا والأماكن القلبية، كسوق الصاغة، والسمّاكين، والعطارين، والحبّالين، وسوق الطيور، وسوق الفخّارين، وسوق الفحّامين، وسوق الحدّادين، وسوق الساعاتيّين، وسوق العتمة.

فعن الجسرِ الإنكليزي يقول: «كان في كل عبور يخيّل إليّ أنّه يفكرُ في أن يلقي بنفسه ومن على كتفيهِ إلى النهر... خذ بيده ويديّ يا أيّها النهرُ».

وعن منطقة «السرج خانة» يقول: «سوق من طبيعة أنوثية طاغية، ملابس داخلية، قمصان نوم شفافة، مشدّات أثداء وأوراك، تنّورات، سراويل جينز وكتان، عطورٌ من كل شكل ولون ونكهة تكاد للطبيعة تخلب لبّها، اكسسوارات، وعلب تجميل كأنها حدائق مصغّرة».

وعن سوق العتمة، وهو خاص بالنساء، أو ترتديهِ النساء عموماً جاء الآتي:

«غالباً ما كانت النساءُ وهنّ يخرجن من سوق العتمة، العَتَمي، هكذا يموصله من المواصلة الأقحاح، وكأنهنّ ينفذن من ثقب في الظلام».

وحين يخرج الشاعر من زمن الأمكنة، إلى زمن البوح والعاطفة، يستريح بين يدي حبيبته، وهو مكّلل بعطاء من يُحب، يستمرعي في سرَحانه معها، أو من دونها كل نغمة ونأمة حبية، مستمرثا في وصاله الانغمار، والتتويج بين يديها، فهو أميرها النبيل، يتقدّم بنبله كما يقول، بينما هي «بخيلة في الضوء، حرّة سخية في الظل»، وحين يكون من دونها، فهو على ما يبدو يخاطب ذاته قائلاً بغيابها: «يطيبُ لي ويريحُ طمأنينتي أن أراها من دوني وحيدة، إلا من خازن أحلامنا وحارس لغزنا الأمين الليل».

وحين يُحين الليل، وهما في حميّا العلاقة، يرتبك حين تهمسه:

«كانت تلبّكه وهي تهمسُ: ليس الآن، فالعالمُ لا يزال على عتبة النوم، بل الآن إذ ليس حولنا سوى ستارة مسدلة على عيني نافذة، سوى سرير يكاد ينعسُ من الملل، سوى مصباح مثل طفل مطيع نوّمته باكراً، سوى باب مغلق بعناية فائقة، سوى وردة تغطّ ملء جفنيها في قدح، سوى شعلة شمعة لها ظل قبلة أو دمعة في الحائط».

وعندما يفي بما أوكل إليه، من مسوّغات الغرام والحب، ينحو نحو العرفانية متشبّثاً بها، كمنجاة ومنقذ من وله الحب، والغرام، والانخطاف العاطفي، ليسرد لنا سيرة الولهانين الواقعين في شرك

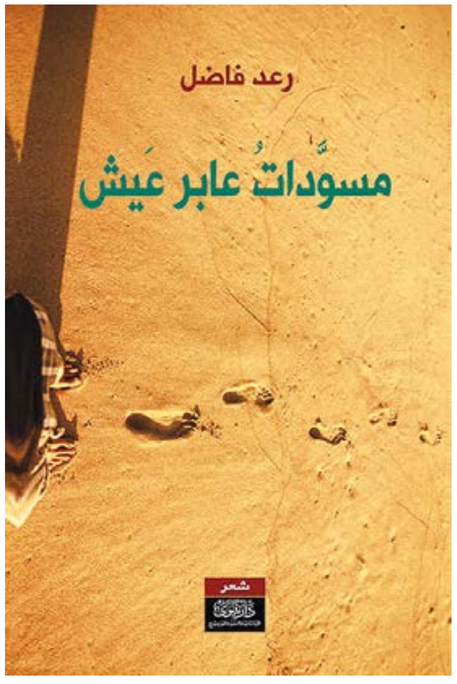

المشيئة، وبعدها الهرمسي، خاضّاً في معاني الوجد والوله الصوفي، والهيام المهيمن على حال العاشق، وهو مسكون بمراسم الحبيب وضوئه المخترق «أعلم صاحب هذه الرسائل والإمضاءات في هذا السوّدات أنك لم تأتِ كما ينبغي على ذكر رأس بلاء القلوبَ وهوانها، أعني الشوق حربة الهوى وصاعقة العشق، ممرغ أنوف الولهانين في تراب الضيم والحاجة والسهر».

ثم يورد الشاعر تضميناً للمتصوف البغدادي أبي يزيد البسطامي، متخذاً قوله داخل سرديته الشعرية هذه المائلة باتجاه باطني، منظوراً عرفانياً، من دعائمه الشوق الذي تحدث عنه المتصوفة البغداديون والعرب كثيراً، فالشوق إذاً كما يرى البسطامي هو «قصبة مملكة المحبين فيها عرش عذاب الفراق منصوبٌ وسيفُ هول الهجران مسلولٌ وغصنُ نرجس الوحدة على كف الأمل».

حسب ذيوع قصيدة التشذير النصّي، والهايكو العربي، وميول بعض الشعراء العرب إلى كتابة هذه النصوص، المكثفة، والداعية إلى قول الكلام الوجيز، في كلمات قليلة، بديلاً من الملاحم الشعرية، تلك التي سادت فترة الستينيات والسبعينيات، نجد الشاعر ينخرط مثله مثل بقية الشعراء العرب، في هذا النوع الوارد من اليابان إلينا، وعبر وسائط الترجمة، لقصيدة مختزلة، تمثل فناً مدروساً، ومرسوماً بدقة فائقة، وله قانونه الشعري الخاص به، وقد ترجم الكثير منه لرواد قصيدة الهايكو اليابانيّ، وأعني الرواد المشهورين كباشو وإيسا، وغيرهما من شعراء هذا الفن البارزين، والذين باتوا معروفين في العربية، ناهيك عن الآخرين من شعراء الهايكو، أولئك الذين تُرجموا في أنطولوجيات شعرية قام بها مترجمون عرب، رفدوا المكتبة العربية بعيون شعر الهايكو اليابانيّ، مما ساهم في توسيع وتجديد وتخليق الحركة الشعرية العربية، وجعلها أكثر غنى، فمنحها طرائق وبدائل وأنساقاً مختلفة، ومغايرة في الوقت عينه، وشاعرنا فاضل يلتقف مثل الشعراء الآخرين، إلى هذا الصنيع الفني، مفيداً من طرائقه التعبيرية، ليصوغ في المآل، شذرته وخزعته الفنية، مستخلصاً الرؤى، ومستصفيها، لصالح رؤياه هو، كشاعر يعرف في النهاية، كيف سيوجّه بوصلته التعبيرية:

«السماءُ بارقة راعدة: تتغرغرُ بالضوء وتشهق بالماء.

الماء: أكرم السخّائين وأنبلهم.

الرّعد: بُحّة في صدر الهواء.

الينابيع والغدران: عيون لا تتوقف عن البكاء ولا تعرف لماذا.

الغابات والأحراش والأكمات والأدغال: عانات كثّات تحت سرّة الطبيعة.

القمر هلالاً: حاجب السماء الوحيد.

الكلمات: نملٌ كل نملة تسعى في الكتابة حاملة على ظهرها مؤونة ما ستعنيه.

الأمواج: هوادج البحر.

النجوم: بصاصو الليل.

الغيمُ: قرّب الطبيعة.

الخيانة: حدبة في ظهر النبل.

السياسة: ربطة فاخرة حول عنق الكذب».

تشيع في كتاب «مسوّدات عابر عيش» القصص، والحكايا، وحتى المقالة، وهي مستنزحة من فن آخر، لكي تتعايش الفنون مع بعضها وتتناص وتختلط، لتضيع بعد ذلك الصيغ والرواسم، وتلغى الحدود بين الفنون، وتغدو النصوص بالتالي حرة تتجول بين الأشكال، بغية أن تتلاحم وتمتزج، لتبلور الكتابة العابرة للأنواع، ولتكون بمعنى ما لها الحرية في ركوب ما تنتقي من فنون القول، وصيغ التعبير، والأشكال الجمالية، والأنسقة اللغوية، والأسلوبية، ولهذا يكتب بصيغة المقال هنا: «سحر الشعر يكمن في التحول والغرابة والدهش، والذهول واللعب في الأعماق بالجواهر، ومعاشرة عرائس البحر والجنيات وتروبض الكواسج وتلقين الدلافين دروساً في الدهاء، سحر الشعر أن يتعلم العالم قراءة طوالع المجهول وفك طلّسماته، من هنا يتموّن الشعر بسحره، ومن هنا لا حدّ نهائياً لأشكاله وأساليبه وطرق تعبيره».

رعد فاضل: «مسوّدات عابر عيش»
دار نينوى، دمشق 2019
150 صفحة.

توم بوير في «بوريس جونسون المقامر»: أجداد رئيس وزراء بريطانيا أتراك وسيادة النخبوية في قيادات بريطانيا

سمير ناصيف

يتواجد في التراث الفكري الغربي عموماً نوعان رئيسيان في كتابة مذكرات المشاهير أحياء كانوا أو أمواتاً.

الأول، هو ما يكتبه صاحب الشأن بنفسه، ويُشمل ما يرغب أن يورده في كتاب مذكراته. الثاني، ما يكتبه اختصاصيون يقومون بأبحاث ودراسات ومقابلات مع المقربين أو مع الخصوم لمن يكتبون عنه ثم ينشرون كتبهم بصرف النظر عما إذا كانت الشخصية المعنية بنتاجهم راضية أو غير راضية.

الكاتب البريطاني توم بوير، متخصص في النوع الثاني من كتابة السيَر والمذكرات، وكتبه عموماً من الأكثر مبيعاً كونها تتضمن معلومات وافرة وفضائح مثيرة ولكنها أيضاً جدية ومفيدة للقارئ في الوقت عينه وخصوصاً لكونه يختار شخصيات هامة ومثيرة للفضول.

كتابه الأخير بعنوان «بوريس جونسون المقامر» ينضّم إلى كتب أخرى من هذا النوع كتبها منذ منتصف القرن الماضي عن شخصيات مثيرة للجدل في ألمانيا النازية وأوروبا ثم في بريطانيا كالناشر روبرت ماكسويل ورجل الأعمال المصري الأصل محمد الفايد وصاحب مؤسسة «فيرجن» ريتشارد برانسون، ورئيسي الحكومة العماليين البريطانيين السابقين غوردون براون وتوني بلير وولي العهد البريطاني الأمير تشارلز وزعيم الحزب العمالي البريطاني السابق جيريمي كوربن. وفي جميع هذه الكتب، يظهر بوير كناقد لاذع للشخصيات التي يكتب عنها، ولكن قساوة نقده تأتي بدرجات متفاوتة.

المقاربة الأساسية في هذا الكتاب عن جونسون ان بوير يعتبره شخصاً لامعاً في ذكائه ومقدراته العقلية منذ صغره، ولكنه متردد في إتخاذ قراراته وانتهازي في تعامله مع المقربين منه وشرس في مواجهة خصومه، حتى ان الكاتب يستشهد بقول لأحد كبار نواب المحافظين من أنصار جونسون بان رئيس الوزراء البريطاني الحالي «ثعلب في ثوب حمل» يظهر للناس بانه صاحب النكتة وغير المكترث ولكن عند الحاجة يهزم خصومه بالضربة القاضية. أما حول ما هي الحاجة لبوريس فكانت وما زالت الوصول للسلطة والقيادة، أكان ذلك في كلية «إيتون» حيث تابع دراسته الثانوية أو في قيادة نقابة الطلاب في جامعة أكسفورد حيث تخصص في دراسته الجامعية، أو في عمله في بريطانيا كصحافي متابع للشؤون الأوروبية، أو كنائب في حزب المحافظين نجح في إقصاء منافسيه والوصول إلى رئاسة الحكومة، وما زال في هذا المنصب.

يعتبر بوير ان بوريس ورث كثيراً من الميزات (والأخطاء) المتواجدة والمستمرة في شخصية والده ستانلي جونسون على الرغم من اختلافهما بالنسبة للانتماء البريطاني إلى المجموعة الأوروبية والاتحاد الأوروبي وتأييدهما للأحزاب البريطانية ومواقفها عموماً.

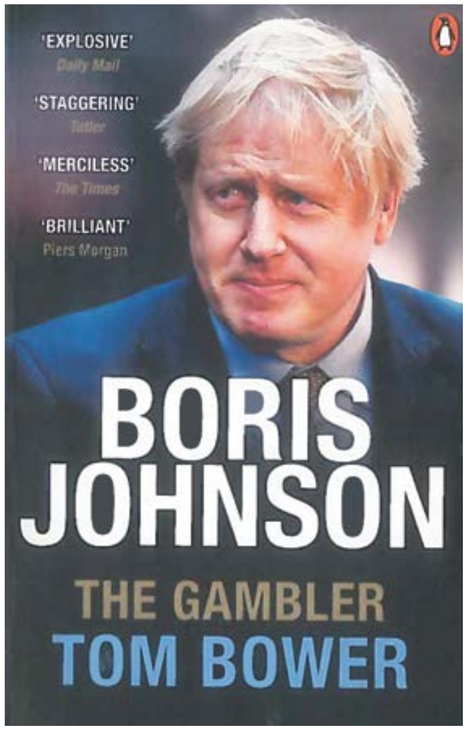

ويبدأ الكتاب بتمهيد يشير فيه الكاتب إلى ان ستانلي جونسون شارك في 19 آب (أغسطس) 2019 في الإحتفال بتنصيب إبنه البكر بوريس زعيماً لحزب المحافظين في مبنى «تشيكرز» (بعد أربعة أسابيع من فوزه) بحجة ان بوريس أقام الاحتفال بمناسبة بلوغ والده التاسعة والسبعين من عمره، ولكن في الواقع كان ستانلي المحب للعظمة يستمتع بقضاء ليلة في ذلك الصرح الرسمي الذي أصبح نجله حامل مفتاحه على الرغم من خلافهما السياسي والشخصي. أي ان ستانلي كان بدوره غير متمسك بالمواقف والخيارات المتحجرة من حيث المبدأ في شتى الشؤون وخصوصاً السياسية منها.

كما ان ستانلي، أقام علاقات مع نساء معجبات بشخصيته خلال زواجه من والدة بوريس (واسمها تشارلوت) مما دفع جونسون الأبن (حسب المؤلف) إلى تكرار ممارسات والده، إذ تزوج بامرأة من عائلة ثرية وهو في أوائل عشريناته، ثم من ثانية بقي متزوجاً بها لخمسة وعشرين عاماً وأنجبت له ثلاثة أولاد، وإسمها مارينا ابنة الصحافي الصديق لبوريس ولوالده، ولكنه أقام علاقة غرامية مع كاري سيموندز خلال زواجه. وكاري ظلت صديقته إلى أن أنجبت منه طفلاً، بعد وصوله إلى منصبه الحالي، فتزوجا ومع ان نية الكاتب تُطرحُ التساؤلات حولها في وصفه لشخصية ستانلي، والد بوريس، وعلاقاته الغرامية والسياسية وإبرازه كشخصية متنقلة من حزب إلى آخر ومن امرأة إلى أخرى، فالخلاصة ان ستانلي، شأنه شأن بوريس، كان، بنظر الكاتب، يسعى إلى المال والمناصب من خلال علاقاته الشخصية والعامة. وهنا يظهر المؤلف منحازاً إلى حد كبير، فلا يُظهر أي صفة إيجابية لستانلي سوى روحه الفكاهية وشخصيته المحبّذة لإلقاء النكات في المناسبات، وهي صفة اكتسبها بوريس من والده أيضاً ولا يجدها الكاتب دائماً مناسبة لرجل سياسة. علماً أن ستانلي ترشح لمناصب نيابية وعمل لفترة في الاستخبارات البريطانية ولكنه كان ينتقل من منصب إلى آخر بسهولة بعد أن يفقد الحماسة لمثل هذه المناصب. ويشعر القارئ وكأن بوير في خلاصة كتابه يقول بان بوريس في المرحلة الحالية هو في حالة شبه يائسة إزاء المصاعب التي تتوالى عليه، وقد يفقد حماسته لمنصب رئاسة الوزراء ويتركه لغيره إذا استمرت أزمة كورونا بفرض خيارات عليه لا يرغب بان يختارها فيما هو يسعى إلى عودة بريطانيا إلى حياتها الطبيعية اقتصادياً واجتماعياً.

غير ان بوير يُخطئ، بالقول إن من يريد ان يفهم بوريس جونسون عليه ان يتعمق في دراسة علاقته بوالده. ولعل الفصول التي يتحدث فيها المؤلف عن قدرة بوريس وشقيقته راشيل وشقيقيه الآخرين على تحمل الصعوبات العائلية والشخصية والتنقل من بلد إلى آخر بسبب وظائف والده وخلافاته ولديهما قد تكون شكلت جانباً إيجابياً ومنحت رئيس الحكومة البريطاني صفة الصمود في وجه الصعوبات في مواجهة كورونا الذي كاد ان يودي بحياته. وهذا جانب لم يركز عليه المؤلف كفاية.

وهناك مقطع في الفصل الأول من المفيد الإشارة إليه وذكره بوريس في أكثر من مناسبة وهو أن جدّه الأكبر من أصل عثماني - تركي وانه كان أحد المعارضين لسياسة القائد العلماني التركي مصطفى كمال أتاتورك.

والمقطع كما ورد في الصفحة الرابعة من الفصل الأول هو التالي: «ان جد والد بوريس كان اسمه علي كمال، وكان صحافياً تركياً شجاعاً معارضاً للدولة العثمانية في أزمانها الفاسدة الأخيرة. وبعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، عام 1918 تم تعيين كمال وزيراً للداخلية، ولكنه كان خصماً لمصطفى كمال اتاتورك، فاستقال وعاد إلى الصحافة وترأس تحرير منشورة معارضة لاتاتورك. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1922 تم اختطافه من قبل خصومه وشنقه بقساوة وتعليقه على شجرة. غير ان ابنه عاش مع جدته البريطانية في بريطانيا، علماً ان الأم كانت تحمل جنسية بريطانية-سويسرية. وكانت قد أنجبت طفلاً لعلي كمال في مستشفى بريطاني في بورنموث وتوفيت بعد انجابه فعاش مع جدته من والدته مارغريت جونسون (المسيحية الانتماء) التي تبنت حفيدها. ومن هناك أصبح اسم الطفل: ويلفرد جوني جونسون. وتوجه ويلفرد في شبابه إلى سويسرا ثم مصر حيث بقي حتى عام 1932. وهناك تزوج بأمرأة إنكليزية اسمها ايرين ويليامز، كان والدها غنياً ووالدتها من عائلة فرنسية من النبلاء تابعة للبارون دي فيفيل وأنجبا ستانلي، والد بوريس» (ص 4 و5). وقد أُطلقَ على بوريس عندما ولد في التاسع عشر من حزيران (يونيو) 1964 في نيويورك اسم اليكسندر بوريس دي فيفيل.

غير ان الأصدقاء في كلية إيتون في بريطانيا أعادوا إطلاق أسم بوريس على رئيس الوزراء البريطاني الحالي، وذلك على الرغم من ان والده كان يسعى إلى إعطاء ابنه أصلاً نبيلاً بسبب اكتراثه بالأصول العريقة والثروة (حسب المؤلف).

لعل هذه التفاصيل ليست شديدة الأهمية للكثيرين من القراء، إلا أنها تلخص احدى سلبيات الحياة الاجتماعية والسياسية في بريطانيا التي تناولها الكاتب والأستاذ الراحل في جامعة ساسكس البريطانية توم توتومور في كتابه «النخب الاجتماعية والمجتمع» الذي كتبه أواخر ستينيات القرن الماضي وهو أن أشخاصاً على شاكلة ستانلي جونسون وابنه بوريس ينجحون في التنقل من منصب هام إلى آخر بشكل رئيسي بسبب أصولهم الاجتماعية وزواجاتهم وإرسال أبنائهم إلى كليات كـ«إيتون» و«هارو» ثم «أكسفورد» و«كيمبردج» وبعد ذلك يصبح الآباء والأبناء رؤساء وزراء ووزراء خارجية يتخذون قرارات مصيرية بشأن سياسات بريطانيا الداخلية والخارجية. وبين هؤلاء مارك سايكس الذي وضع هو وفرنسوا جورج بيكو اتفاقية «سايكس بيكو» بشأن التقسيم الجغرافي لمنطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، وآرثر بلفور وزير الخارجية الذي قدّم للورد روتشيلد «وعد بلفور» على طبق من فضة والذي وعدت فيه بريطانيا بإنشاء دولة صهيونية - إسرائيلية في فلسطين. ثم يرسل هؤلاء أولادهم إلى هذه الكليات والمعاهد النخبوية نفسها ويعيد التاريخ نفسه.

مارك سايكس رسم خريطة الشرق الأوسط أمام وزراء بريطانيين من خريجي هذه الكليات والمعاهد، وتمت الموافقة عليها. ويذكر أنه من السهل دخول الأبناء والأحفاد إلى هذه المدارس والجامعات «المتفوقة» على غيرها والتي تحضّر الأبناء من جيل إلى آخر لتسلم المناصب المصيرية بالنسبة لبريطانيا والعالم كما يقول بوتومور ويؤكده بوير في الكتاب.

ستانلي جونسون، تأكد برغم ميوله الأنانية الشخصية بان ابنه بوريس سيدخل هذه المعاهد النخبوية، وتابع تدرجه فيها وبالتالي أمّن له ان يحظى بمنصب قيادي في بريطانيا.

وكذلك يفعل قياديون أمريكيون بالنسبة لأبنائهم ودخولهم إلى جامعات «هارفرد» و«برينستون» و«إم أي تي». وبين هؤلاء «المختارين» جورج بوش الابن المعروف بانجازاته (الخارقة) والذي تخرج من جامعة هارفرد.

ولعل هذا السرد للوقائع من أهم ما يتميز به كتاب توم بوير، فالقارئ يشعر ومن خلال قراءة فصوله المختلفة بان بوير يفهم هذه القضية الاجتماعية-الإنسانية في المجتمعات الغربية فهماً عميقاً ولعله مر فيها ولذلك يفهمها أكثر من غيره.

الانتفاضات الأخيرة في بريطانيا الشاجبة للتنكيل بالشعب الفلسطيني والاستيلاء على أرضه وللمعاملة السيئة من الدول الغربية الاستعمارية لشعوب آسيا وأفريقيا، تفهم بدورها خطورة النخبوية والعنصرية المتمثلة بقيادات العالم، خصوصاً في العالم الغربي وفي بعض دول العالم الثالث والشرق الأوسط التابعة له، وبأن القضايا الأساسية لن تعالج بجدية وفعالية من قبل قادة يسعون قبل أي شيء للوصول إلى السلطة والبقاء فيها إلى أطول حد ممكن وتكديس الأموال. وفي هذا المجال يطرح كتاب بوير قضية جديرة بالمتابعة.

Tom Bower: "Boris Johnson: The Gambler"
Random House, London, 2020
594 pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

أبعاد وآفاق الدور الأمريكي في سوريا

بايدن وبوتين: ترحيل نقاط الخلاف

ذكّرنا اللقاء الذي تم بين الرئيسين الأمريكي جو بايدن والروسي فلاديمير بوتين في جنيف (16 حزيران/يونيو 2021)، كما ذكّرتنا التصريحات التي سبقته وأعقبته، بتلك اللقاءات التي تمت بين أوباما وبوتين، قبل وبعد التدخل الروسي العسكري المباشر إلى جانب النظام في سوريا (خريف 2015)؛ والتصريحات التي كنا نسمعها قبل وبعد تلك اللقاءات.

فهو لقاء يندرج ضمن سلسلة اللقاءات التفاهمية، مع تحديد وترحيل نقاط التباين والخلاف، ورسم تخوم التواصل والتفاصل، وقواعد التنسيق بناء على طبيعة ومدى صلاحية تلك التفاهمات.

ولكن التجارب مع المواقف الدولية الخاصة بالوضع السوري قد علمتنا أن هذه المواقف قابلة للتحول، والتأويل، والتنصّل، بناء على أولويات الدول المعنية التي تتعامل مع الموضوع السوري بوصفه ملفاً من بين ملفات الصفقات التي تمت، أو ستتم، وفق حسابات تلك الدول. أما معاناة السوريين غير المسبوقة المستمرة منذ عقد من الزمن، فيكون الحديث عنها عادة عند تسويق ما تم الاتفاق حوله في قالب إنساني.

ومن الملاحظ أن الطرفين الأمريكي والروسي يحرصان في الوقت ذاته على تعزيز مواقفهما عبر التفاهم، حتى ولو ضمن الحدود الدنيا مع القوى الدولية والإقليمية القريبة منها.

فقد سبق لقاء بايدن–بوتين كما نعلم لقاؤه مع الحلفاء في الناتو، ومع الدول الأوروبية، ومع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. كما سبقه تواصل مع الدول الإقليمية الأساسية في المنطقة. والروس من جانبهم، فعلوا الأمر ذاته مع شركائهم في محور أستانا/ نور سلطان، وكان اجتماعهم الأخير في نور سلطان (7–8 تموز/يوليو 2021) وأصدروا بياناً تضمن هواجس وأهداف كل الأطراف؛ ولكن اللقاء بحد ذاته يندرج ضمن النقاط التي يحرص الروس على جمعها، لصرفها لاحقاً في سياق الصفقات التي ستكون مع الجانب الأمريكي.

ما يستشف من التعامل الأمريكي مع الملف السوري منذ سنوات عديدة هو أن هناك الاهتمام يتمحور حول هدفين أساسيين: أمن إسرائيل أولاً، وثانياً الاحتفاظ بمنطقة شرقي الفرات كمنطقة نفوذ لدورها في الملف العراقي، وذلك من جهة القرب والتأثير بفعل التداخل السكاني.

بالنسبة إلى الهدف الأول، هناك تفاهم روسي–أمريكي– إسرائيلي عليه، يتمثل في التنسيق الأمني المستمر، وفي تنسيق المواقف ميدانياً. وهذا ما يتجلى بصورة أساسية من خلال التجاهل الروسي للغارات الإسرائيلية الدورية على القواعد والقوات وشحنات الأسلحة الخاصة بإيران، وأذرعها الموجودة على الأرض السورية. كما يتمظهر من خلال الحرص الأمريكي على عدم تسليم الروس كامل الملف السوري، وذلك تحسباً لأي طارئ.

أما بالنسبة إلى الهدف الثاني، فهو مرتبط بتطورات الأوضاع الداخلية في العراق. وفي سياق هذا الهدف، تستخدم هذه المنطقة ورقة تفاوضية للضغط على الجانب الإيراني في انتظار ما ستسفر عنه مباحثات فيينا الخاصة بالملف النووي الإيراني من جهة؛ ومعرفة نتائج الجهود التي تبذل من قبل كل من رئيس وزراء العراق مصطفى الكاظمي، ورئيس الجمهورية العراقية برهم صالح التي ترمي إلى بلوغ انفتاح عربي على العراق، يعيد التوازن إلى المعادلات المختلة بين العراق وإيران نتيجة هيمنة الأخيرة على معظم مفاصل الدول والمجتمع العراقيين؛ وذلك عبر الأذرع العسكرية، وواجهاتها السياسية في البرلمان، وباسمائها المختلفة.

هذا إلى جانب الجهود التي تبذلها عراقياً من أجل ترتيب لقاءات مباشرة أمنية بين الجانبين الإيراني والسعودي، وربما بين إيران والأردن، وذلك بهدف الوصول إلى توافقات معينة مهما كانت متواضعة، حول العديد من ملفات المنطقة.

وبناء على ما تقدم يُعتقد أن الوجود الأمريكي في شرقي الفرات مؤقت عابر، إذا ما سارت التفاهمات الروسية –الأمريكية–الإسرائيلية وفق المتوقع؛ وإذا ما شهد العراق تفاهمات عربية (سعودية، أردنية وربما مصرية) إيرانية، تكون مدخلاً لاستقرار عراقي داخلي نسبي، خاصة بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وهو الانسحاب الذي سيشكل على الأغلب ضغطاً على النظام الإيراني، ويحد من حرية الحركة التي كان يحظى بها بصورة مباشرة، أو من خلال أذرعه العسكرية في كل من اليمن والعراق وسوريا ولبنان.

وهنا يبرز السؤال حول مصير منطقة شرقي الفرات حيث التواجد الأمريكي المعتمد ميدانياً على حزب العمال الكردستاني عبر واجهته «قسد». فعلى الأغلب لن يستمر هذا التواجد طويلاً، وذلك إذا ما تم التفاهم مع الروس على ملفات أخرى، خاصة ملف أوكرانيا وليبيا، وذلك لأهمية الملفين الأخيرين بالنسبة إلى الأوروبيين الذين تحاول ادارة بايدن اعادة الجسور معهم. وهي الجسور التي ألحق بها ترامب أضراراً فادحة، تجسدت في زعزعة الثقة، حتى وصل الأمر بالفرنسيين، وإلى حد ما بالألمان، إلى التفكير في بناء قوة حماية ذاتية أوروبية، وعقد صفقات تفاهمية مع الروس، لا سيما في ميدان الطاقة، تراعي المصالح الأوروبية في المقام الأول.

ولكن قبل هذا الانسحاب الأمريكي من شرقي الفرات، ستكون هناك مساع روسية لبلوغ صيغة من التفاهم مع الأمريكان بطبيعة الحال للدفع بالعلاقات بين حزب الاتحاد الديمقراطي الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني والنظام – وهي العلاقات التي لم تنقطع في يوم من الأيام – نحو مستويات أعلى وأكثر شمولية تمهيداً لاتفاق نهائي يعيد النظام بموجبه السيطرة على المنطقة مقابل الالتزام بجملة من الوعود والإجراءات التي ستعطي انطباعاً زائفاً بأن النظام قد أقرّ بجانب من حقوق المكونات المجتمعية في المنطقة، خاصة الكرد، وربما القبول بصيغة من الإدارة الذاتية الشكلية التي ستكون في نهاية المطاف وجهاً من أوجه الإدارة المحلية الصورية المعمول بها من جانب النظام، بينما تظل القرارات جميعها، وفي سائر الميادين بيد النظام عن طريق أجهزته الأمنية.

ولا نذيع سراً في هذا المجال إذا قلنا إن هناك العديد من الأحزاب الكردية السورية خارج نطاق المجلس الوطني الكردي مستعدة هي الأخرى للقبول بمثل هذه الصيغة، وذلك إذا ما ضمنت أن النظام سيسمح لها بهامش محدود من التحرك، ووعدها الأخير بتلبية جملة مطالب محلية؛ لأنها في الأساس أحزاب مطلبية، لم تطرح نفسها في وقت من الأوقات بوصفها جزءاً من البديل الديمقراطي الذي خرج السوريون من أجله.

ولكن قبل كل ذلك لا بد أن يكون هناك تفاهم روسي أمريكي حول حجم ومستقبل الوجود الإيراني في سوريا. فالأذرع الإيرانية بعد أن أدت دورها في حماية النظام، لن يسمح لها، وفق ما يُستشف من مختلف المؤشرات، أن تتحول إلى قوة دائمة في الحالة السورية؛ لذلك ستكون هناك جهود دولية مكثفة، سرية وعلنية، للحد من النفوذ الإيراني في سوريا، على أن يتولى الروس عملية ملء الفراغ مقابل الالتزام بالتفاهمات مع الجانبين الأمريكي والإسرائيلي.

ومن الواضح أن الإيرانيين يدركون طبيعة هذا التوجه، ويتابعون تطوراته الميدانية، لذلك يلجأون إلى التصعيد العسكري من خلال تكليف أذرعهم المسلحة سواء في العراق أم في سوريا لشن هجمات صاروخية وبالمسيّرات على القواعد الأمريكية في البلدين بهدف الضغط على إدارة بايدن، ودفعها نحو الإنسحاب منهما قبل ترتيب الأوضاع فيهما بشكل يضع حدوداً للهيمنة الإيرانية المؤثرة في سوريا، وشبه المطلقة في العراق.

وتبقى ورقة حزب العمال الكردستاني التي تعد أداة ضغط إيرانية في الوضعين الكردي والتركي. هل ستتعمل الولايات المتحدة في سياق جهودها للحد من نفوذ إيران في كل سوريا والعراق إلى ما يشبه عملية فك الارتباط بين الحزب المعني وإيران بالدفع نحو إعادة إحياء العملية السلمية بين الحزب المذكور وتركيا؛ وهي العملية أو أوقفها المتضررون من الجانبين؟ أم أن الجهود ستتركز بصورة اساسية على عملية فك الارتباط بين الجناح السوري لهذا الحزب، حزب الاتحاد الديمقراطي، وقيادة قنديل المندمجة منذ عقود في المشروع الإيراني؟

أم أن هذه المسألة ستترك للأطراف الإقليمية والمحلية؟ وذلك في سياق منهجية إدارة الأزمة التي يبدو أنها ستكون المعتمدة أمريكياً في المدى المنظور؛ لا سيما في حال عدم التوصل إلى التفاهمات الصعبة مع الجانب الروسي بشأن الملف السوري وبقية الملفات.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

من هم مؤلفو القرآن؟

سعيد يقطين

كل ما قيل قديما، ويكتب حديثا حول القرآن الكريم اضطلع الميتا نص القرآني بالرد عليه، ودحضه بكيفية واضحة. كما أن ما يكتب راهنا ليس سوى إعادة ما قيل بلغات ومصطلحات جديدة، أو ادعاءات اكتشافات تاريخية ـ نقدية حديثة. لا أهتم كثيرا بهذا النوع من الكتابات العربية أو الأجنبية، ولست معنيا بمساجلتها. لقد كتب عن الاستشراق الشيء الكثير، ولم تؤثر الدعاوى القديمة أو الحديثة في التأثير أو التغيير. لكن ذلك لا يمنع من قراءة تلك الكتابات والاطلاع على «جديد» ما تقدمه من كشوفات من باب الفضول المعرفي، أو مواكبة ما يستجد من آراء وسجالات.

استوقفني وأنا أتصفح محرك البحث عنوان رئيسي مثير، وعناوين فرعية صيغت بعناية للفت الانتباه كما هو جار في مختلف المواقع التي تغريك بما تحمله من عناوين لا تجد تحتها ما يتلاءم معها لأغراض تجارية ودنيئة. كان العنوان لشريط فيديو من منصة اليوتيوب. فدخلت إليه، فوجدت عشرات الصفحات التي تسير في اتجاه ما يحمله هذا العنوان: «من كتب القرآن؟ خمسة مسارات سرية لمؤلفي القرآن».

كان الشريط من خمس وأربعين دقيقة بالفرنسية يقدمه عربي، ولعله مغاربي. لا تخلو لغة التعليق من تضخيم مبالغ فيه عن «آخر» ما ألف حول مؤلفي القرآن، ومن خلال أحكام مطلقة حول قيمته العلمية التي يؤكد «الراوي» من خلالها أنه ورغم مرور خمسة عشر عاما على ظهور الكتاب فإنه لم يتعرض للنقد أو النقض مما يدل على أنه يقدم حقيقة لا لبس فيها بحجج دامغة واكتشافات تنبني على مجهود بذله العديد من المستشرقين منذ أكثر من قرن ونصف، وبناء على آلاف الوثائق. أما الكتاب فهو تحت عنوان: «المسيح ونبيه: أصول القرآن» (2005) لصاحبه إدوار ماري كالي. كان عنوان الفيديو كافيا لانغوائي، ومتابعة الشريط، ثم بعد ذلك البحث عن الكتاب بهدف تحميله سدى. لكن ذلك لم يمنع من الحصول على وجادات من خلال مقالات وحوارات مع المؤلف أبانت لي بجلاء أن توجهه لا يختلف عن سابقيه.

انطلق الراوي من كون كتاب إدوار كالي جاء ليكشف، من جهة، بطلان الكتابات الاستشراقية السابقة حول تأليف القرآن سواء تلك التي ادعت نسبته إلى محمد (ص) مع بعض صحابته، أو التي ربطته بالأصول السورية المسيحية، أو قيدته بالعصر العباسي. ويؤكد، من جهة أخرى، تبعا لأعمال مستشرقين آخرين، وهم من بنى كالي على منطلقهم تصوره بالاستناد إلى وثائق جديدة، أن القرآن الأول، وخاصة ما اتصل منه بالسور الطوال، لم يؤلفه المسلمون بل طائفة يهودية مسيحية معارضة لليهودية والمسيحية معا. وتبعا لذلك يتحدث الراوي عما يسميه «القرآن اليهودي ـ الناصري» الذي هو عبارة عن دعوة العرب إلى تحرير القدس «مملكة الله» من البيزنطيين.

يتبين لمن يتابع الشريط إلى نهايته أن ادعاء العلمية وقول الحقيقة النهائية من خلال الدعاية للكتاب يجعله كتابا مختلفا عن كل الدراسات الاستشراقية السابقة، وأنه يقدم فتحا جديدا في تأكيد مؤلفي القرآن، ودحض تصورات المسلمين عنه. لكن السؤال الذي أطرحه بخصوص هذا التوجه هو: لماذا يبذل بعض المسيحيين كل هذا الجهد، ويكرس بعضهم قسطا كبيرا من حياته للبحث في القرآن وتاريخه ونقده؟ هل الهدف هو البحث عن الحقيقة العلمية التاريخية؟ أم دفاعا عن المسيحية؟ أم نقضا للإسلام؟ لا يختلف هذا المسعى عن كل المساعي التي قدمت وبناء على آلاف الوثائق. أما الكتاب فهو تحت عنوان: إبان ظهور الإسلام، لكن متغيراتها تخضع للتطورات التي تفرضها شروط الصراع السياسي، وما اللغة العاطفية والإغرائية الموظفة في الدعاية لهذا النوع من الخطابات ليست سوى تأكيد لتلك الغايات القديمة الجديدة.

لا حظت من خلال ما توفر لدي من مواد تتصل بالكتاب وصاحبه أن المتلقي المتوجه إليه هو: الإنسان المسلم. بمعنى أن المؤلف لا يتوجه به إلى القارئ المسيحي فهو يتبنى الأطروحة التي يدافع عنها المؤلف. ولكنه يرمي من وراء ذلك إلى تشكيك المسلم في معتقداته بذريعة أن التصور الإسلامي حول القرآن الكريم ليس علميا ولا تاريخيا. فما يثبته «العلم» وما يؤكده «التاريخ» يناقض ما يؤمن به المسلمون من أن القرآن كلام الله. إن من وراء هذا القصد محاربة اعتقاد باعتقاد آخر، وما ادعاء الحقيقتين العلمية والتاريخية سوى تغطية على ذلك.

في أحد الحوارات التي تستجلي خصوصية هذا «الاكتشاف» الجديد الذي جاء به إدوار كالي وهو يثمن مجهودات بعض المستشرقين الذين دافعوا عن أطروحة «القرآن اليهودي ـ الناصري» وجدته يكشف التناقض الذي يزخر به القرآن الكريم، وهو يقارن بين آيتين من سورة المائدة تتحدثان عن اليهود والنصارى بلغة لا تخلو من سخرية. تقول الآية الأولى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)». إن هذه الآية تدعو المسلمين، كما يفسر، إلى عدم الثقة في اليهود والنصارى معا وعدم التعامل معهم. لكنه يرى في الآية الأخرى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» (82) تناقضا صارخا: إنها تدعو المسلمين إلى التعامل مع «النصارى» عكس اليهود، ويثبت من وراء ذلك أن القرآن مبني على الكثير من هذه التناقضات. ومن بين التبريرات المقدمة للدفاع عن أطروحة «القرآن اليهودي ـ الناصري»، أن المؤلفين من تلك الطائفة أن النص يدافع عن هؤلاء الناصريين، ويثمن أعمالهم. ولذلك فهو يميز بين المسيحيين والنصارى. لكن المؤلف مع ذلك، وهو يقف على هذا التناقض الصارخ بين الآيتين يساجل ضمنيا، أي في قراءة نقده القرآن، على اعتبار أنه كلام الله، متناسيا أن القرآن الذي يتحدث عنه من تأليف طائفة. وما دام كذلك كما يدعي، فالتناقض من الطبائع البشرية، ولا تستدعي كل تلك اللغة الساخرة. وهذه من بين التناقضات التي يقع فيها من يتحدثون عن القرآن.

علاوة على ذلك فإن ما اعتبره تناقضا جاء وليد وقوفه على «ويل للمصلين»، وفي تتمة الآية ما يناقض ما يدعو إليه نهائيا. إنه وقف عند حدود كلمة «إنا نصارى» في الآية، ولم يتمها: «إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ. يَقُولُونَ: رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ؟ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)». إن في تعابير: منهم، ولا يستكبرون، وإذا سمعوا، ترى أعينهم... كلها دالة على أنهم مختلفون عن النصارى المستكبرين المعاندين. إن القسيسين والرهبان المشار إليهم (منهم)، وهم ليسوا كل القساوسة والرهبان من طبيعة مختلفة. إنهم اتبعوا الحق، وأعلنوا إيمانهم بما جاء به الرسول. ومثال هؤلاء الرهبان نجده مع المستشرقين. فمنهم من لا يستكبرون، ومنهم من لا يمكن أن يُتخذوا أولياء وعلماء.

إن الادعاءات ضد الإسلام في الحقيقة هي ضد المسلمين وضد مصلحتهم في التحرر من الغرب. أما الدين فمظلة لإدامة الهيمنة.

كاتب من المغرب

بلجيكا

سويسرا

فيضانات أوروبا خلفت 153 قتيلا على الأقل

ارتفعت حصيلة ضحايا العواصف والفيضانات في ألمانيا السبت إلى 133 شخصا على الأقل، كما أعلنت الشرطة المحلية في بيان، ما يرفع عدد القتلى في أوروبا إلى 153 شخصا.

وهذه الحصيلة ما زالت أولية، إذ لا يزال العديد من الأشخاص في عداد المفقودين في غرب ألمانيا وبلجيكا ما يثير مخاوف من ازدياد الخسائر البشرية خلال الساعات القليلة المقبلة.

وقالت السلطات الألمانية المحلية «هناك خشية من اكتشاف المزيد من القتلى». وهطلت على ألمانيا وبلجيكا بين 14 و15 تموز/يوليو، أمطار غزيرة غير مسبوقة تسببت في فيضانات مفاجئة ضربت مناطق مأهولة ودمرت العديد من الأحياء.

كما تأثرت هولندا ولوكسمبورغ بالعواصف دون تسجيل أي وفيات حتى الآن. وفي شرق فرنسا، تسببت الأمطار الغزيرة في حدوث اضطرابات في النقل النهري والسكك الحديد في الأيام الأخيرة.

لوكسمبورغ

ألمانيا

أدب وفنون

من الجواهري والسياب إلى لميعة عباس عمارة وسعدي يوسف: في وداع الكِبار

عبد الواحد لؤلؤة

لا أحسب أن كبار السنّ، وحدَهم، هم الذين يعصف بهم الحنين إلى الماضي: الجَميل أو الزاهر أو الذهبي، كل حسبَ هواه. فجميعنا يهرَع بخياله إلى ماضٍ يراه أفضل مما يَجده في حاضرِه إذا ما جاجت جائحةٌ اجتماعيةٌ أو سياسيةٌ أو دينية. وقد يكون الدافع إلى هذه الحالة الذهنية خَبرُ تعيين شخص في مركز حسّاس في المجال العلمي أو الثقافي أو السياسي من دون أن يكون لذلك الشخص مؤهّلات تناسب ذلك المنصب، سوى أنه محسوبٌ على الجهة الفلانية أو العلاّنية. ولم يُسلم من ذلك تعيين شخص قليل الخبرة أو الكفاءة أو عديمها في منصب رئيس الجامعة مثلا. كيف لا يَعصف الحنين بالمرء إلى تذكّر رئيس جامعة مثل الأستاذ الدكتور عبد الجبار عَبد الله، خريج أبرز المعاهد العلمية في أمريكا، وهو «معهد مَساشوستس للتكنولوجيا «والتلميذ المفضّل لدى عبقري الزمان آينشتاين الذي أهداه عند التخرّج قلم حبر نفيس كان يستعمله، وهو مصنوع من حجارة كريمة حمراء قانية، بقي الدكتور عبد الجبار يستعمله معتزّاً به، كما يعتزّ بالرجل وقلمه كلّ من كان يعرف الرجل.

أمّا كيف عصفت جائحةٌ سياسيةٌ واقتلعت هذا الرجل اللاّيتكرّر مثله من منصبه العلمي وقذفت به في السجن فهذه علمُها عند ربّي، لأن الرجل لم يكن لَه أي نشاط سياسي أو حزبي أو تجمّع ديني أو مذهبي. وفي السجن تسلط عليه حارس من الطغامة وانتزع منه ذلك القلم الأثير. ويروى عن الدكتور عبد الجبار أنه قال: الذي آلمني أكثر من السجن هو خسارة ذلك القلم الهديّة من أستاذي عبقري زمانه.

كيف لأي عقل يَستطيع أن يفهم كيف لبلدٍ يُحاول السير على طريق النمو ثم يفرّط بشخص من خيرة أبنائه علماً ومعرفة وخُلقا؟ ألا يُذكّرنا هذا بقول الشاعر الجاهلي:

تبقى الأمـور لأهـل الـرأي ما صَلُحَت
فإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ!!!

سمعتُ مرّةً أحَدَهم يقول: الثورةُ تأكلُ أبناءها! فقلتُ في نفسي: هذا كلامٌ مأفون. ولكني تذكّرتُ لاحقاً رجُلاً عبقريًا آخر، جرى له مثلُ ما جرى لنابغة فيزياء ورياضيات قبله، هو الدكتور جلمي سَماره، الذي جاءنا إلى بغداد مع الطوفان الأول من فلسطين وبدأ التدريس في مجال التخصص النادر، وهو خرّيج جامعة كمبرج: بكالوريوس مزدوج في الرياضيات والفيزياء، ودكتوراه في هذين العلمين النادرين. وأنا أعرف الرجلَ من قريب، وهو لم يكن له أي اهتمام بالسياسة ولا بالتجمّعات والتعصّبات من أي نوع. وسرعان ما اختَطفته من جامعة بغداد شركة نفط العراق وتعيّن مدير الحقول النفطية في كركوك، وهو أول عربي على الإطلاق يتسنّم مثل ذلك المركز الحسّاس. واستمر الرجل مُبدعاً في عمله والجميع مُعجبٌ كيف لشركة نفط عراقية إسماً وبريطانية فعلا تستقطب هذا العربي الفلسطيني اللاجئ، إلاّ لكونه صاحب كفاءات علمية يندر وجودها في غيره. وما لبثت جائحةٌ سياسيةٌ أن عصفت بالبلاد وإذا بهذا العبقري العالِم يودَع في السجن دون تهمة سوى أنه في منصب كبير في شركة أجنبية. لكن الرجل لم يتوقف عنَ التعليقات الساخرة والضحك المستمر. وقد حكى لي في آخر مرة التقيتُ به بعد أن خرج من السجن «لعدم توفر أسباب الإدانة» وقد تلقّفته شركة نفط في الشارقة.

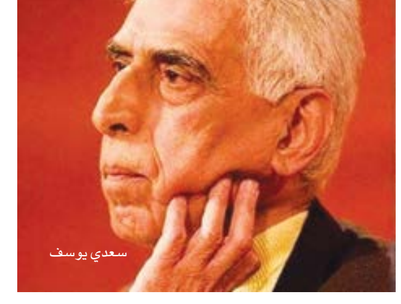
سعدي يوسف

قال أدخلوني إلى غرفة كبيرة حديثة البناء ولم يسمحوا لي باصطحاب أوراق أو أقلام. ولكني وجدتُ باب الغرفة الداخلي لم يُجَفْ طلاؤه بعد، فوجدتُ أرضية الغرفة تمتلئ بعيدان الكبريت المستعملة، فبدأت بالتقاطها ورحتُ أكتب بها على ظهر الباب طريّ الطلاء معادلات رياضية وفيزياوية. وفي اليوم الثاني دخل عليّ اثنان من الحرس واستغربا ما وجداه «منقوشا» على ظهر الباب، فقال أحدُهما للآخر: «هذا لو مخبّل لو ديسوّي سحر». واستمر الحال أربعة أيام حتى أطلقوا سراحي وسرّحوني من الوظيفة!

الآن السؤال الذي لا بد منه: كيف يمكن التعويض عن مثل هؤلاء الأفذاذ الذين هم ثمار عُقود طويلة من التعليم والتخصص، وهو ما لم يعد موجوداً في بلادنا منذ سنين طويلة؟

وفي مجال الثقافة والشعر بخاصة، كيف يمكن لنا أن ننسى شعراءنا الكبار مثل الجواهري وخليفته عبد الرزاق عبد الواحد! لا أحسب أن الزمان سيَجود بمثلهما لأن ظروفنا الثقافية والتعليمية لا تُبشر بظهور مبدعين في الثقافة والشعر. لا أحسب شاعراً قد تغنّى بحُب العراق مثل عبد الرزاق الذي عرَفتُه منذ سنتنا الأولى في الكليّة، وبقيتُ على تواصل معه، وبخاصة في سنوات الشتات، إلى يوم دخوله المستشفى في باريس في8/11/2015 لإجراء عمليةٍ في قلبه المرهَق بحُبّ العراق، وبما عرفتُها في «العالية» حديقة الشعر الغنّاء، يوم تعرّفتُ على عدد من شعراء الدار الذين كانوا المهاجين لحركة الشعر الحديث التي بدأت في العراق وامتدّت إلى بقية الأقطار العربية. لا يقصّر دوّاقة الشعر عن الإشادة بشاعرية لميعة، ولوأن بعض الكتّاب يرى أن شهرة لميعة إنما تعود إلى إعجاب الشاعر الكبير بدر شاكر السيّاب بها. ولكن الواقع أنه لم يكن بين شباب العالية من لم يكن مُعجبا بلميعة. هذه شاعرةٌ قد ازدهرت منذ بداية الستينات واستمرّ تطوّرها وازدهارها في مُغتَربها الاختياري في سان ديبغو في كاليفورنيا. وقد بقيتُ على تواصل معها بالرسائل والهاتف منذ بداية الثمانينات بشكل خاص. وكانت ترسل إليّ إبداعاتها بالفصيحة وبالعامية مما جعلني أفكر كثيراً بأن دانته البكيبري قد طوّر اللاتينية الفصيحة إلى اللاتينية العامية التي صارت تدعى الإيطالية وكتب بها أهم قصيدةٍ في العصور الوسطى وهي «الكوميديا الإلهية». فلماذا نستغرب أن تكتب لميعة شعراً جميلاً بالعامية العربية العراقية؟ وهذا لا يعني للحظة واحدة أن تقوم العامية مقام الفصحى، فعند الشاعرة روائع من نوعين. ومثل «ابن عمتها» بقيت لميعة تغنّي للعراق: «لأنّ العَراقة معنى العراق/ وأن التبَعْدُدَ عِزّاً وجاها».

ولكنّ الموت أفقدَنا شاعرةً فذّة يوم 2021/6/18.

هل يكون غياب سعدي يوسف، الشاعر الذي برز في خمسينات القرن الماضي، آخر أحزان الشعر العراقي الحديث؟ عرفتُ سعدي في العالية كذلك، وقد جاء بعدي بسنتين، ولكنني عرفته شاعراً في قسم اللغة العربية الذي أنجب نازك والسيّاب والبيّاتي وشاذل طاقة، وقبلهم جميعاً الشاعر العربي السوري سليمان أحمد العيسى. والمؤسف أن غالبية من كتب عن سعدي لا يستطيع الفكاك من الإشارة إلى ميوله الاشتراكية، بل الشيوعية في الفكر والثقافة، وكان الشاعرية نتاجٌ عرَضي، وهذا يُجانب الإنصاف. ففي الواقع كان كثيرٌ من شباب المثقفين في خمسينات القرن الماضي في العراق يميلون إلى الفكر الاشتراكي بل الشيوعي، مثل ميل كثير من المثقّفين في العراق إلى النازيّة في أربعينات القرن الماضي، والدافع المُحرك هو الشعور العام بكراهية المستعمر الأوروبي والأمريكي لاحقا، والأمَل أن يكون غيرُه مخلصا من المستعمر الغربي، وهو أمل سُرعان ما بانَ زيفه لاحقاً، فوجدنا شاعراً كبيراً مثل السيّاب قد سارع في الابتعاد عمّا حَسبه سابقاً أملا في الخلاص مما كان العراق يرزح تحته. ومهما يمكن أن يقال عن أفكار سعدي في السياسة فإنه بقي حتى أخريات أيامه يتغنى بحب العراق:

«أهوَ العراق؟ مُباركٌ من قال إني
أعرفُ الطرُقَ التي تُفضي اليه/
مباركٌ من تمتّعَت شفتاه أربعةُ
الحروف: عراقٌ عراقٌ ليسَ سوى
عِراق».

لكن الموت غيّب آخر العناقيد في2021/6/12 وقد نامت نواطيرُ العراق عن ثعالبها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم / إذا جَمَعَتنا يا (زمانُ) المجامِعُ... مع الاعتذار عن هذا التحريف من روح الفرزدق.

الناقد الفني المغربي بوجمعة العوفي: التراجع في جودة العمل الفني سمة مهيمنة عربيا والمغرب جزء من هذه البنية المهلهلة

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

مع كثرة التفاهة في المشهد الفني، وتوالي رحيل جيل أسس للزمن الجميل في المشهد الغنائي والسينمائي والدرامي والمسرحي المغربي والعربي، تتوالى دعوات نقاد الفن إلى إعادة بعض الاعتبار للجودة والإبداعية، من خلال مكافحة الرداءة وعدم تشجيع التفاهة خاصة تلك التي باتت مستشرية في مواقع التواصل الاجتماعي ومنصات أخرى مثل يوتيوب.

«القدس العربي» التقت ناقدا فنيا مغربيا من الأقلام الرصينة التي تحاول جهد استطاعتها تسليط الضوء على كل ما هو جميل وتقويم اعوجاج ما يحتاج إلى ذلك، وطبعا انتقاد كل ما يسيء إلى تراكم الإنتاجات الفنية المغربية والعربية الأصيلة والجيدة والمتميزة.

بوجمعة العوفي الذي يزاوج بين انكبابه على مجال النقد الفني والإبداع في مجال القصيدة، هو من الأصوات الشعرية المغربية المميزة، في حواره مع «القدس العربي» توقف عند الزمن الفني الجميل، وتعويض الجيل الراحل من رواده، كما تحدث عن الجائحة وتداعياتها على المشهد الفني، ولم يغفل تأمل واقع حال المسرح، كما سبر أغوار الأغنية وما تعيشه من تراجع بات هو السمة الأساس لها في وقت غابت فيه الجدية والجودة وسطعت أضواء أخرى لها علاقة بنسب المشاهدة وكثرة «اللايكات».

○ نبدأ من حيث النهاية، نهاية أسماء بارزة في الميدان الفني رحلت عن دنيانا، آخرهم الفنان عبد المنعم الجامعي، أمام هذه الخسارات، نسألك كناقد ومتتبع للمشهد الفني المغربي، هل هناك من يستطيع تعويض مثل هذا الفقدان من الجيل الحالي؟

● بالنسبة لبعض المجالات الفنية، طبعا هناك إحساس أو شبه اعتقاد عام، وخصوصا في مجالات الموسيقى والغناء والسينما العربية، بأن هناك «زمنا فنيا جميلا» قد ولّى واختفى الآن داخل هذه الفنون، وتم تعويضه بإنتاجات وأسماء لم تعد إنتاجاتها الفنية ترقى، بل تستجيب، إلى ذلك الذوق الفني الرفيع الذي كان سائدا في الماضي، بفعل التغيرات المهولة التي عرفتها مجالات وطبيعة الإنتاج الفني والتلقي على حد سواء، بحيث تم تسييد أشكال جديدة من الذوق أو التذوق الفني، تطبعه البساطة والاختزال وسرعة الاستهلاك، بل حتى السطحية والإسفاف والرداءة في غالب الأحيان.

أما مسألة «تعويض» ذلك الجيل السابق والمميز من الفنانين، فالأمر يظل نسبيا في نظري، حتى أننا ربما لا يمكننا الحديث عن «تعويض» بالمعنى الحرفي للكلمة؛ على اعتبار أن جميع الإبداعات والإنجازات والتجارب الجديدة والمعاصرة والآنية، سواء كانت في الفن وغير الفن، لا تقوم بتعويض ما مضى، بل تشكل نوعا من الامتداد والإضافة أو التطور والتجديد لما سبقها من تراكم، بغض النظر عن طبيعة وجودة ونوعية هذه الإبداعات والإنتاجات الجديدة والحالية.

○ خلال الجائحة توالت النداءات المطالبة بفتح المسارح، والآن وبعد قرار إعادة الروح إلى الخشبات، هل سنعيد المشهد نفسه، بمسرح لا إقبال جماهيري عليه، أم أن الأمر يجب أن يخرج من دائرة النخبة الضيقة؟

● الجائحة كانت تجربة مريرة بكل المقاييس عاشتها البشرية بكاملها في آخر المطاف، وقامت الجائحة بإغلاق كوكبنا الأخضر بشكل غير مسبوق، يكاد يكون تاما ونهائيا. وكان الفنانون والمشتغلون بالمهن الفنية وما جاورها من القطاعات ذات الصلة (قطاع الحفلات على سبيل المثال لا الحصر) من أكبر الفئات المتضررة من هذا الإغلاق الذي سببته الجائحة، والمسرح، بطبيعة الحال، هو جزء من هذا المستهلك الفني، ومصدر رزق أيضا للعديد من الناس. لذلك أعتقد بأن الإقبال على المسارح والخشبات لن يتغير كثيرا، بل قد يتضاعف هذا الإقبال على العروض المسرحية، خصوصا وأن الجمهور يحتاج إلى هذا النوع من المتعة الفنية والتنفيس الذي يمنحه العرض المسرحي، كفرجة وكطقس واحتفال في نفس الوقت.

○ في رأيك، أين يكمن مشكل الإبداع المسرحي في المغرب، هل في المبدع أم المتلقي؟

● عرف الإبداع المسرحي في المغرب، في أغلب إنتاجاته، ومنذ سنوات ليست بالقليلة، تراجعا ملحوظا وكبيرا على مستوى الجودة، سواء تعلق الأمر بالنص (التأليف للمسرح) أو العرض (الإخراج المسرحي على وجه الخصوص). إذ يشكو هذا المسرح فعلا (مع بعض الاستثناءات) من غياب مؤلفين مسرحيين موهوبين ومحترفين ومتمكنين من مهنة التأليف المسرحي، مثلما كان الحال عليه فيما يمكن نعتُه بـ «الحقبة الذهبية» للمسرح المغربي، سواء ما كان يُعرف بتجربة «مسرح الهواة» أو بعض التجارب الواعية والمضيئة في المسرح الاحترافي المغربي (تجربة الطيب الصديقي على سبيل المثال). ولو أن المشهد المسرحي المغربي يتوفر الآن على كفاءات وطاقات عالية من الممثلين والتقنيين والسينوغرافيين، إلا أن هذه الطاقات تجد نفسها في الغالب أمام نصوص مسرحية ضعيفة البناء الدرامي ومخرجين بدون رؤى فنية حقيقية، بل حتى عديمي الموهبة أحيانا.

أما بخصوص سؤالكم الهام والإشكالي: أين يكمن مشكل الإبداع المسرحي في المغرب، هل في المبدع أم المتلقي؟ فالمسألة، في نظري، مترابطة ومتشابكة الأسباب. إذ تكاد تكون هذه العلاقة بين الإبداع والتلقي علاقة جدلية بامتياز، إذ يكون التلقي والارتقاء بالذوق الفني شديد الارتباط بما يتم إبداعه وإنتاجه في المشهد المسرحي المغربي. فكلما ارتفعتْ جودة الإبداع الفني ارتقتْ كذلك الذائقة الفنية وأشكال التلقي لهذا الإبداع الفني، والعكس صحيح في ذلك تماما. وهذا ينطبق، بشكل عام، على جميع أشكال التعبير الفني، سواء كان مسرحا أو موسيقى أو سينما أو دراما تلفزيونية أو فنون بصرية أو غيرها من أشكال التعبير الفني.

بالنسبة للغناء ليس الحال أفضل منه بالنسبة للمسرح، كلاهما يعيشان التراجع، الفرق أن الأغنية تعيش تراجع القيمة الفنية والإقبال الجماهيري، بينما المسرح يعيش النقيض تماما.

○ هل من وصفة لمغادرة المنطقة الرمادية وإعطاء الجمهور إبداعا ممتعا ومفيدا وبجودة فنية عالية؟

● التراجع في جودة العمل الفني بشكل عام، هي السمة الطاغية أو المهيمنة الآن على ما يتم إنتاجه في مجالات الموسيقى والمسرح والسينما على مستوى العالم العربي. والمغرب جزء من هذه البنية المهلهلة وضعف الإبداع الفني. وقد ساهم في ذلك «منطق» الربح المادي والتجاري لشركات ومؤسسات الإنتاج الفني في هذه المجالات، وشهدتْ هذه الساحات أو المشاهد غياب الأعمال الفنية الجادة، انطلاقا من رداءة النصوص (سواء بالنسبة لكلمات الأغاني، أو النصوص المسرحية أو القصص والسيناريو المخصص للأفلام والدراما التلفزيونية) وصولا إلى غياب الملحنين والمخرجين الموهوبين مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا الحوار. أصبح المشتغلون بهذه المجالات الفنية يسعون إلى الربح فقط ويتنافسون على الرداءة إن صح القول؟ أما من حيث إمكانية اقتراح أو وجود «وصفة سحرية» قادرة على إخراج هذه الفنون من ضحالتها، فالأمر مرتبط، في نظري، بحجم ونوعية الوعي والذوق الذي ينبغي أن يمتلكه الجمهور والمتلقي ومَن يستهلك هذا المُنتَج الفني، حينها يكون بوسع هذا الجمهور أو المتلقي أن يعمل على رفض كل ما هو ضحل ورديء، ويطالب بمستويات أعمق وأكثر جودة لما يتم تقديمه له كمادة فنية للاستهلاك. أصبحت الأجيال الجديدة من حقوق الإنسان، تتجاوز في شكلها ومضمونها المطالب والحقوق «الخُبْزية»، إلى الحق في جودة المادة الفنية المقدمة له. وهذا حق أساسي أيضا، على الجمهور والمتلقي أن يطالب به وينتزعه في آخر المطاف.

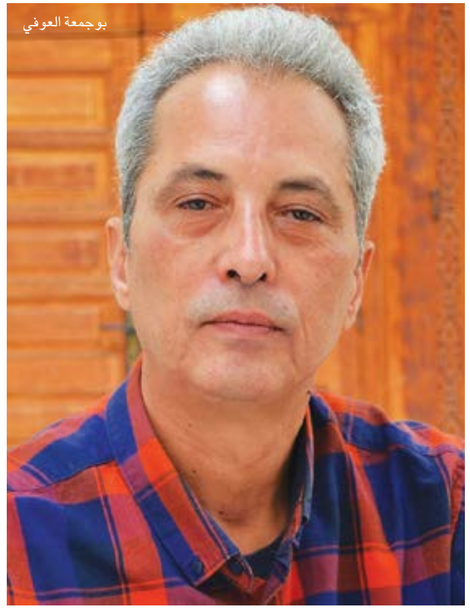
بوجمعة العوفي

○ كثيرا ما يسأل الجمهور، أمام هذا الكم الهائل من التفاهة والرداءة إلى أين نسير، وهو السؤال الذي نطرحه عليك؟

● نسير نحو تسييد الرداءة والتفاهة وتبسيط المُنتَج الفني (شكلا ومحتوى) في الكثير من أنماطه وتمظهراته التعبيرية، يعني أننا نحو اختزال التعبيرات الفنية وتكييفها حسب منطق العولمة وقوانين الاستهلاك الرقمي التي فرضتها التكنولوجيا الحديثة بشكل رهيب. إذ تقلصتْ أيضا لدى المتلقي هذه المساحة من الوقت والصبر لمشاهدة أو الاستماع إلى الأعمال الفنية المغناة في دقائق أو ثوان معدودة. وهذا ما أصبحنا نراه ونلمسه على منصات التواصل الاجتماعي، عليك أن تحكي قصتك في بضع ثوان فقط. هكذا غيرت التكنولوجيا والعوالم الرقمية عادات الإنسان وسلوكاته وأنماط عيشه وتلقيه كذلك لما يُبَث أساسا على هذه المنصات.

○ الفنانون غالبا ما يلقون المسؤولية على عاتق الجمهور الذي يشجع الرداءة، والجمهور من جهته يتهم الفنان بعدم الرقي بإبداعاته لتجسيد همومه ومشاكله اليومية، كيف تبدو لك هذه المعادلة؟

● هذه المعادلة صعبة ومتعددة المقاربات كذلك، لا يمكن الجزم بشكل كلي وقاطع في نصيب أو حجم مسؤولية هذا الطرف او ذاك فيما وصلنا إليه الآن من مستويات غير مسبوقة تتعلق برداءة المُنتَج الفني. المسؤولية متقاسَمة ومشتركة في نظري. والمعادلة ينبغي حلها داخل هذا الوعي المطلوب في صناعة المحتويات الفنية بشكل عام. ففي غياب معاهد ومؤسسات التكوين الفني، وإصرار التلفزيونات العربية ومنصات البث الرقمي على تقديم الإنتاجات والمحتويات الفنية الرديئة، لن نتوقع الوصول إلى حلول ممكنة لهذه المعضلة في المدى القريب، وستظل نفس الاتهامات قائمة ومتبادلة بين من ينتج الفن ومن يستهلكه.

تحقيقات

غزة: النازحون يفقدون الأمل بعد تراجع الاهتمام العربي والدولي بملف إعادة الإعمار

إسماعيل عبدالهادي

انتهت الحرب الإسرائيلية الرابعة على غزة بعد مرور شهرين على التوالي، لكن معاناة آلاف المشردين الذين دمرت طائرات الاحتلال منازلهم لم تنته بعد، فعدم ظهور أي بوادر حول إحراز تقدم ملحوظ في ملف إعادة إعمار غزة في ظل توتر الخلافات بين الأطراف المعنية داخلياً وخارجياً، بدد آمال وتطلعات المواطنين خاصة في ظل فرض إسرائيل مزيداً من التضييق على سكان قطاع غزة، من خلال الاستمرار في إغلاق المعابر ومنع إدخال المساعدات المالية للأسر الفقيرة.

ومنذ توقف الحرب الإسرائيلية على غزة في 21 أيار/مايو الماضي، دخلت كل من حماس ومصر في مشاورات حول ملف إعادة إعمار غزة، بينما فرضت إسرائيل شروطها وتمسكت السلطة بأحقيتها بالإدارة المادية للملف، ولكن جميع التفاهمات وصلت إلى طريق مسدود بسبب عوائق متعددة، تحول دون إمكانية إعادة إعمار غزة قريباً بعد احتدام الصراع بين حماس والسلطة على هذا الملف.

وعكفت إسرائيل بعد ضغوط من الوسطاء المصريين والأمميين على الحكومة الجديدة، على تقديم تسهيلات مؤقتة لسكان قطاع غزة، تمثلت في فتح المعابر الحدودية بين الجانبين وإعادة نقل البريد وتوسيع رقعة الصيد، وجاءت هذه الخطوة بهدف تثبيت وقف إطلاق النار بين الجانبين، فيما لم تشمل التسهيلات الإسرائيلية، السماح بإدخال الأموال المخصصة للمشاريع الإغاثية التي يعتمد عليها نحو ربع سكان القطاع، كذلك لم يتم إدخال المواد الخاصة بإعادة إعمار غزة، إضافة إلى منع دخول 10 آلاف شاحنة محملة بالبضائع إلى غزة.

ولا تبشر الأوضاع القائمة في غزة إلى وجود ما يمهد إلى نية حقيقية من مختلف الأطراف لإتمام ملف الإعمار، لأن الإجماع الأمريكي والإسرائيلي حتى الدولي يرفض تولي حماس ملف الإعمار، ويقدم السلطة كبديل على ذلك وسط رفض قاطع من قبل حماس، ولكن هذا الضغط من قبل الأطراف يجعل موقف حماس ضعيفاً، على اعتبار أن أي اتفاق لن يمر من دون موافقة أمريكية إسرائيلية.

تغيير المعادلة

ووفق خبراء عسكريين إسرائيليين فإن الأوساط السياسية والعسكرية في إسرائيل، تصر على تغيير المعادلة القائمة أمام حماس في غزة، فالموقف الإسرائيلي الآن يتمثل بعدم إدخال أي أموال لإعادة إعمار قطاع غزة إلا من خلال السلطة الفلسطينية، ومن الناحية العملية إلى حين التقدم في قضية الأسرى الإسرائيليين المحتجزين بغزة، فلن يتم الحديث عن إعادة إعمار ولن يتم إدخال أي بضائع لغزة باستثناء بعض المعدات الإنسانية، كما أن السلطة الفلسطينية باتت تدرك بأن إبعادها عن ملف إعمار غزة، سيؤسس لمرحلة جديدة قد تفقد من خلالها ثقة المجتمع الدولي والدول المانحة، لأنها ستفقد بذلك جزءاً من شرعيتها في تمثيل الكل الفلسطيني.

وقال الكاتب والمحلل السياسي سعيد زيداني إن إسرائيل إلى جانب تكريس معاناة المواطنين في قطاع غزة بإلحاقها الدمار والخراب بمنازلهم وممتلكاتهم، قد كرست الإنقسام الفلسطيني مجدداً، بعد أن أشعلت الخلافات بين حماس وفتح حول آلية إدارة ملف إعمار غزة، ونتيجة لذلك بات من الصعب جلب الأموال من الخارج وتوصيلها إلى المتضررين للتخفيف من معاناتهم.

وبين زيداني لـ«القدس العربي»: أن هناك تراجعاً ملحوظاً في الاهتمام الدولي حول ملف إعمار غزة، فبعد مرور أشهر على وقف العدوان لا يوجد شيء على أرض الواقع يوحي بوجود نوايا حقيقية وقريبة للبدء بإعادة إعمار غزة، وهذا زاد من امتعاض المواطنين وأصحاب المصانع الاقتصادية المدمرة والمتوقفة عن العمل.

وأشار إلى أن الأوضاع السياسية الداخلية في قطاع غزة، لا تزال أحد عوامل تراجع إحراز تقدم هذا الملف، فالاشتراطات التي حددتها السلطة بمرور أموال الإعمار عبرها، تعد أبرز الأسباب التي أدت لتعطيل وتأخير ملف الإعمار، وزادت من حدة التراشق والاتهامات بين حماس وفتح.

ولا يستبعد المحلل السياسي أن تواجه غزة معاناة أصعب من التي تعيشها، كون أن المعطيات الحالية ترجح بعودة قريبة للتصعيد مجدداً مع إسرائيل، في ظل عدم وجود رغبة من قبل إسرائيل للتخفيف من معاناة سكان غزة، والسماح بادخال أموال المساعدات المخصصة، في ظل تزايد معاناة الآلاف من الأسر التي دمرت منازلها في الحرب الأخيرة وتنتظر إعمار بيتوها.

مأوى آمن

وتزامناً مع استمرار وضع إسرائيل عقبات أمام أي حلول تخفف من معاناة سكان غزة، باتت تعيش عشرات الأسر من أصحاب المنازل المدمرة في ظروف مأساوية صعبة، فغالبية الأسر لم يحالفها الحظ في الحصول على مأوى آمن كغيرها من العائلات، التي مكنتها ظروفها المالية من استئجار منازل آمنة في ظل غياب أي حلول حول إعادة ترميم منازلهم المدمرة، والخوف يزداد من خطورة تعرض العديد من الأسر التي تسكن فوق ركام منازلها من تعرضها للخطر، نتيجة وجود بقايا من مخلفات الاحتلال لم تنفجر بعد.

ودمر الاحتلال بطائراته خلال العدوان الأخير خمسة أبراج سكنية بشكل كامل، بينما ألحق القصف العنيف أضراراً كبيرة بالعديد من الأبراج الأخرى، كما دمر الاحتلال عددا من البنايات السكنية والتي بلغت 156 بناية وتضم هذه البنايات ما يقرب من 1174 وحدة سكنية، وغالبية سكان هذه البنايات أصبحوا بلا مأوى وتحت أشعة الشمس الحارقة، بعد أن باتوا ضحية الخلافات السياسية القائمة والتي تعيق إيجاد أي حلول قريبة للبدء بإعادة بناء منازلهم، أو حتى تقديم الدعم المالي لهم للحصول على مأوى مؤقت.

وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في غزة إن الوضع في القطاع معقد للغاية بسبب النزاع السياسي القائم، في حين إن الحرب الإسرائيلية الأخيرة على غزة أدت إلى تشريد أكثر من 52 ألف فلسطيني، مشيرا إلى أن نسبة كبيرة من المواطنين نزحوا في الأيام الأولى من العدوان إلى 58 مدرسة تديرها الأمم المتحدة في قطاع غزة، ولكن بعد وقف العدوان أخليت هذه المدارس من النازحين، وغالبية كبيرة منهم يقطنون فوق ركام منازلهم المدمرة، لعدم تمكنهم من إيجاد مأوى بديل.

خيمة صغيرة

لا يكترث المواطنون كثيراً بإعادة بناء منازلهم المدمرة، بقدر ما هم بحاجة إلى مأوى يسكنون فيه مؤقتاً في ظل الحر الشديد وغياب أي حلول قريبة، فالأوضاع الاقتصادية الصعبة في غزة تحرم العديد من المتضررين من إمكانية استئجار منازل من جيوبهم الخاصة، نظراً لارتفاع تكلفة الإيجار الشهري مقارنة بمعدل دخل الأسر، فهذا الأمر يحتاج إلى مساندة من قبل مؤسسات إغاثية ودولية، ولكن المتضررين في أعقاب العدوان فقدوا الدعم

الكافي.

المواطن حاتم الفيراني دمرت طائرات الاحتلال منزله المكون من طابقين، يحاول أن يجمع من ركام منزله بعض الحجارة الكبيرة، ليبني منها قاعدة يقيم عليها خيمة صغيرة يعيش فيها برفقة عائلته المكونة من 9 أفراد، فهذه الأسرة فقدت مأواها الوحيد ولم تجد مكاناً تسكنه، خاصة وأن العائلة تعيش أوضاعا مادية صعبة، ولا يجد رب الأسرة مصدر دخل ثابت يمكنه من استئجار منزل إلى حين البدء بإعمار منزله، حيث أن هذه الخطوة باتت الوحيدة أمام هذه العائلة، بعد أن فقدت الأمل في إعادة بناء منزلها بشكل سريع أو توفير مساعدات مالية كافية لها.

يقول الفيراني (47 عاماً) والذي أقام خيمة لا تكاد تحميه من حر الصيف بجانب منزله المدمر في حي الصبرة وسط مدينة غزة في حديثه لـ«القدس العربي» أن تدمير منزله شكل له كارثة إنسانية، فلا أحد سواء من الحكومة أو الجهات المختصة يقدم مساعدات مالية كافية تمكنه من الحصول على منزل مؤقت، فالأونروا هي الجهة الوحيدة التي قدمت له مبلغ1500 دولار ولرة واحدة فقط، كما أن فقدان أمله بإعادة بناء منزله نتيجة تعثر ملف إعمار غزة، أجبره على البقاء بجانب بيته كحل وحيد أمامه، متخوفاً من قدوم فصل الشتاء وهو على هذا الحال في ظل صعوبة التوافق حول آلية معينة للبدء بالإعمار.

وحمل المواطن الفيراني الحكومة الفلسطينية في غزة، مسؤوليتها في التقاعس عن تقديم الدعم والتعويض المبدئي للمتضررين، سواء من خلال صرف مبالغ بدل إيجار شهري أو توفير شقق سكنية للذين فقدوا حقهم في الحصول على مأوى بسبب ظروفهم الصعبة، إلى حين إحراز تقدم في ملف الإعمار والمباشرة في إعادة بناء المنازل المهدمة.

وتزداد المعاناة أكثر لدى بعض المواطنين المشردين، الذين لديهم فتيات في عمر متقدم إلى جانب وجود حالات مرضية داخل بعض الأسر، ووجودهم داخل الخيام على قارعة الطرق أمام المارة يعد أمراً صعبا، خاصة وأن الفتيات والمرضى بحاجة إلى أجواء معيشية ذات خصوصية عالية، ولكن هذا الحال باتت تعانيه الكثير من العائلات، التي باتت مرغمة ومجبرة على هذا الحال بسبب غياب أي حلول أخرى أمامها.

فالمواطن عاطف ورش أغا (56 عاماً) يعاني وأسرته من ظروف إنسانية قاهرة، ويفتقد لكل أشكال الاستقرار والأمان بعد قصف منزله من قبل مدفعية الاحتلال في منطقة الندى شمال قطاع غزة، يقول لـ«القدس العربي»: «بعد تدمير منزلي في أول أيام العدوان توجهت للمكوث في مدرسة تابعة للأونروا، وعشت ظروفا سيئة داخل المدرسة لعدم تقديم أي دعم خاصة المستلزمات الأساسية من الأكل والشرب، وبعد انتهاء العدوان بأسبوع قامت إدارة الأنروا بإخلاء جميع النازحين من المدرسة، وأقدمت على بناء منزل صغير من الصفيح لا يصلح للعيش الآدمي، فباب البيت لم يغلق بإحكام كما أن القوارض والحشرات أصبحت تعيش معنا في ذات المكان، عدا عن درجة الحرارة العالية التي يعكسها الصفيح على الأسرة، ويحرمها من العيش في ظروف صحية سليمة وآمنة».

وكان وكيل وزارة الأشغال في غزة ناجي سرحان قد ذكر في تصريحات صحافية، أن الحكومة في غزة والجهات المختصة لم تصلها أي مبالغ مالية لإعادة الإعمار من المانحين، وكل ما في الأمر تبرعات من عدة دول عربية لا يكفي توزيعها على جميع المتضررين، لافتاً إلى أن هناك أملا بأن تدخل هذه الأموال قريباً حتى يشرعوا على الفور في إعادة الإعمار.

ووفق وزارة الأشغال العامة والإسكان في غزة، فإن نحو 1800 منزل تم تدميره كان يعيش فيها نحو 63 ألف مواطن، والآن باتوا مشردين دون مأوى ولم يتم إعادة بنائها أو ترميمها بعد الحرب الإسرائيلية على القطاع، بينما بلغ عدد الوحدات السكنية المتضررة بشكل جزئي 16800 وحدة سكنية، ونتيجة لهذا الخراب والدمار اضطر ما يقارب من 50 ألف مواطن للنزوح إلى مراكز الإيواء، وأكثر من 70 ألفا نزحوا إلى خارج هذه المراكز، والخوف يزداد لدى المواطنين من عدم تنفيذ عملية إعادة الإعمار وعرقلة كافة الجهود المبذولة، خاصة وأن الصراع على ملف الإعمار قد يؤدي إلى تأجيله عدة أشهر، وهذا سيزيد معاناة المواطنين في ظل اشتداد الحصار الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة.

ميديا

اعتداءات تستهدف الصحافيين خلال احتجاجات في بيروت

لندن – «القدس العربي»:

تعرض عدد من الصحافيين والمراسلين والمصورين إلى اعتداءات خلال أدائهم عملهم بتغطية الاحتجاجات التي شهدتها العاصمة اللبنانية بيروت الأسبوع الماضي، عندما تقاطر عدد من المحتجين إلى محيط منزل وزير الداخلية محمد فهمي فيما تصدت لهم قوات الأمن وحاولت تفريقهم ومنعهم من التجمهر والاحتجاج.

وتقاطر العشرات من أهالي ضحايا انفجار مرفأ بيروت إلى محيط منزل وزير الداخلية في بيروت للاحتجاج على قراره رفض إعطاء الإذن بملاحقة المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، وهو الاحتجاج الذي سرعان ما تحول إلى اشتباكات، فيما كان الصحافيون والمراسلون في المكان بمقدمة الضحايا الذين تعرضوا لاعتداءات من قبل قوات الأمن، بحسب ما أورد العديد منهم.

وقال تجمع نقابة الصحافة البديلة أن «التعرّض للمدنيّين وأهالي ضحايا انفجار مرفأ بيروت والصحافيّين، بالعنف المفرط، بشكلٍ مباشر أثناء احتجاجهم، انتهاكٌ خطير يُناهض مناقبيّة الأجهزة الأمنيّة والقوانين الدوليّة لحقوق الإنسان».

وأكد التجمع في سلسلة تغريدات على «تويتر» أن «أوامر السلطة السياسيّة وغطاءها لهذه الانتهاكات، ليست إلا إمعاناً صارخاً بضرب مطالب الأهالي وحقّ الضحايا، وحريّة العمل الصحافي بنقل صوت الناس».

وأدان التجمع النقابي هذه الانتهاكات وأكد دعمه المطلق للأهالي والمحتجين والصحافيين.

وأكد العديد من الناشطين على شبكات التواصل الاجتماعي أن عهد الوزير فهمي مليء بالاعتداءات على الصحافيين والناشطين والمعتصمين في مختلف التحركات وسجله حافل بالاستخدام المفرط للقوة مع المدنيين وقمع المتظاهرين وإسكات صوتهم.

ونفذ أهالي ضحايا انفجار مرفأ بيروت تحركاً انضم إليه محتجون وناشطون أمام منزل وزير الداخلية يوم الثلاثاء الماضي، حيث رفعوا صور أولادهم وحملوا النعوش الخشبية الرمزية وكرروا مطالبهم بتراجع وزير الداخلية عن قراره رفض إعطاء الإذن بملاحقة اللواء إبراهيم. يشار إلى أن منظمة «مراسلون بلا حدود» أدرجت لبنان في المرتبة 107 على قائمة مؤشر حريات الصحافة للعام 2021 وهي القائمة التي تضم 180 بلداً، كما أن لبنان بحسب المؤشر لا يزال يُعتبر من بين الأفضل عربياً، حيث يحتل المركز الخامس، إذ لا توجد سوى أربع دول عربية فقط أفضل حالاً من لبنان من حيث واقع الحريات الصحافية.

بايدن: المنصات الاجتماعية تقتل الناس بمعلومات خاطئة عن كورونا

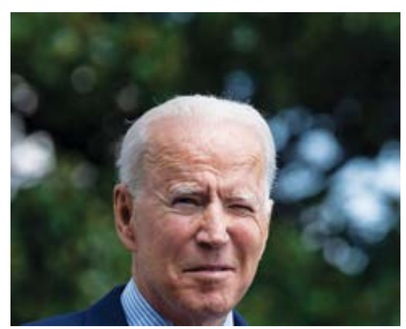

قال الرئيس الأمريكي، جو بايدن، إن وسائل التواصل الاجتماعي «تقتل الناس» من خلال إخفاقها في مراقبة المعلومات المضللة على منصاتها، حول اللقاحات المضادة لفيروس كورونا.

جاء ذلك في تصريحات صحافية أدلى بها بايدن، أمس من البيت الأبيض، حسبما نقلت صحيفة «ذي هيل» الأمريكية.

وأضاف بايدن متحدثا عن منصات التواصل: «إنها تقتل الناس، فالجائحة الوحيدة التي لدينا هي بين غير متلقي اللقاحات (المضادة لكورونا)».

في سياق متصل طالبت المتحدثة باسم البيت الأبيض جين بساكي في مؤتمر صحافي، منصة «فيسبوك» ومواقع التواصل الاجتماعي الأخرى بأن «تكون أكثر حزما في إزالة المنشورات الضارة التي تنشر معلومات مضللة».

في المقابل رد متحدث باسم شركة "فيسبوك" على تصريحات بايدن بالقول: «لن يصرف انتباهنا الاتهامات التي لا تدعمها الحقائق» وفق ما نقل عنه موقع «بيزنس إنسايدر» الأمريكي.

وأضاف المتحدث الذي لم يسمه الموقع: «الحقيقة هي أن أكثر من مليارى شخص شاهدوا معلومات موثوقة حول فيروس كورونا واللقاحات على منصة فيسبوك، وهو أكثر من أي مكان آخر على الإنترنت».

والخميس، حذر الجراح العام للولايات المتحدة فيفيك مورثي، من أن «انتشار المعلومات الخاطئة حول اللقاحات يشكل تهديدا للصحة العامة» وفق الصحيفة.

وتأتي جهود مكافحة المعلومات المضللة في الولايات المتحدة وسط تباطؤ معدل التطعيم في جميع أنحاء البلاد وانتشار السلالة الهندية بين الأمريكيين غير المطعمين؛ مما أسفر عن ارتفاع الإصابات بعد انخفاضها، حسب المصدر ذاته.

وسجلت الولايات المتحدة، حتى الجمعة، إجمالي 34 مليون و917 ألف و514 إصابة، و624 ألف و423 حالة وفاة.

وحتى فجر السبت، بلغ إجمالي إصابات كورونا حول العالم أكثر من 190 مليونا و197 ألفًا، توفي منهم أكثر من 4 ملايين و89 ألفًا، وتعافى ما يزيد على 173 مليونًا و387 ألفًا وفق موقع «وورلد ميتر». (الأناضول)

تحرك في أوساط صحافيي مصر لإطلاق سراح أحد زملائهم

لندن – القدس العربي

بدأ الصحافيون في مصر تحركاً جديداً وواسعاً من أجل إطلاق زميل لهم معتقل احتياطياً منذ أكثر من عامين، أي أنه موقوف دون قرار محكمة ولا إدانة، فيما أنهى مدة الحبس الاحتياطي المسموح بها قانوناً كحد أقصى دون أن يتم إخلاء سبيله، وهو ما يُعتبر انتهاكاً للقوانين المحلية، الأمر الذي دفع زملاءه للتحرك من أجل الضغط لإطلاق سراحه.

وتقدم ثلاثة من أعضاء مجلس نقابة الصحافيين بمذكرة لنقيبهم ضياء رشوان يبلغونه باستمرار حبس الصحافي هشام فؤاد رغم انقضاء مدة حبسه الاحتياطي المسموح بها قانوناً، وهي عامين.

وطالب الأعضاء الثلاثة في مذكرتهم بإبلاغ النيابة العامة رسمياً لمباشرة عملها في متابعة الحالة الصحية للزميل وتقديم ما يلزم من رعاية صحية له.

وتنص المذكرة التي نشرتها بعض وسائل الاعلام وتداولها إعلاميون مصريون على حساباتهم على شبكات التواصل الاجتماعي: «نطالب بمتابعة فورية مع السلطات المختصة لحالة الزميل هشام فؤاد، والذي بدأ إضراباً عن الطعام في محبسه يوم السبت الماضي لتجاوزه عامين من الحبس الاحتياطي، وهي أقصى مدة وفقاً للقانون، وخطورة ذلك على حياته». وطالبوا بـ«إبلاغ النيابة العامة رسمياً لمباشرة شؤونها في متابعة الحالة الصحية للزميل هشام فؤاد وتقديم ما يلزم من رعاية صحية له».

كما طالبو بـ«مخاطبة السيد النائب العام بطلب الإفراج الفوري عن الزميل هشام فؤاد، وكل زميل تجاوز مدة الحبس الاحتياطي المنصوص عليها في القانون».

كما طالبوا بـ«مخاطبة المستشار النائب العام للموافقة على زيارة عاجلة للزميل هشام فؤاد في محبسه، بوفد يرأسه السيد النقيب والموقعون على هذا الطلب ومن يرغب من أعضاء المجلس».

وكان فؤاد قد أعلن بدء إضرابه عن الطعام من أجل المطالبة بالحرية منذ يوم السبت العاشر من تموز/ يوليو الجاري، احتجاجاً على تجاوز فترة حبسه احتياطياً سنتين، بالمخالفة للقانون.

والصحافي هشام فؤاد موقوف على ذمة القضية 930 لسنة 2019، والمعروفة إعلامياً بـ«تحالف الأمل»، حيث أنهى يوم 25 حزيران/ يونيو الماضي مدة عامين كاملين من الحبس الاحتياطي، فيما ترفض أجهزة الأمن منذ ذلك التاريخ إخلاء سبيله.

إلى ذلك، أعلن الكاتب الصحافي والمرشح السابق لمنصب نقيب الصحافيين كارم يحيى بدء اعتصام في مقر النقابة وإضراب عن الطعام تضامناً مع زميله هشام فؤاد. وكتب يحيى عبر حسابه على فيسبوك: «أبدأ اليوم الثلاثاء الاعتصام والإضراب عن الطعام في نقابة الصحافيين (كافيتريا الثامن المكان المفتوح والمتاح) تضامنا مع الزميل الصحافي الأستاذ هشام فؤاد المضرب عن الطعام في سجن ليمان طرة منذ السبت 10 يوليو 2021 احتجاجا على استمرار حبسه احتياطيا والتجديد له مرات عدة بعد انتهاء عامي الحد الأقصى للحبس الاحتياطي في 25 يونيو الماضي».

وأضاف: «أقدمت على هذا الاعتصام والإضراب من أجل حرية هشام والعشرات من زملائي الصحافيين وغيرهم من معتقلي وسجناء الرأي من كافة الاتجاهات». ودعا يحيى زملاءه للتضامن مع الصحافيين في السجون قائلاً إن «تضامنكم مع هشام وإضرابه عن الطعام في مواجهة كل ما يمثله استمرار اعتقاله من ظلم وجور واعتداء على الحقوق والقانون وتضامنكم مع هذا الاعتصام وإضراب الجوع في نقابة الصحافيين المحبوسة أيضا خطوة في اتجاه الحرية».

حملة فلسطينية واسعة للتضامن مع خالدة جرار والمطالبة بإطلاق سراحها

لندن – «القدس العربي»:

أطلق نشطاء فلسطينيون حملة إلكترونية على شبكات التواصل الاجتماعي للتضامن مع الأسيرة خالدة جرار والمطالبة بإطلاق سراحها من سجون الاحتلال الإسرائيلي، وذلك بعد وفاة ابنتها سهى بصورة مفاجئة في رام الله.

وأطلق الفلسطينيون الوسم #الحرية_لخالدة_جرار على شبكات التواصل والذي سرعان ما تصدر قوائم الوسوم الأعلى تداولاً مع تفاعل أعداد كبيرة من الفلسطينيين معه، خاصة مع اتساع رقعة التعاطف مع جرار التي لم يسمح لها الاحتلال بوداع ابنتها وهي التي بقي لها أقل من شهرين لإنهاء محكوميتها في السجون الإسرائيلية.

وخالدة جرار قيادية في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وكانت قوات الاحتلال قد اعتقلتها أكثر من مرة وأصدرت بحقها أوامر منع من السفر وإبعاد، فيما تعتبر واحدة من أبرز نساء فلسطين المناضلات، كما أنها عضوة سابقة في المجلس التشريعي الفلسطيني، وواحدة من أبرز الوجوه النسائية الفلسطينية.

وتوفيت ابنتها سهى البالغة من العمر 31 عاماً بصورة مفاجئة نتيجة نوبة قلبية وهي في منزلها بمدينة رام الله في الضفة الغربية، وهو ما أشعل موجة من التعاطف معها وأعاد قضية المناضلة خالدة جرار إلى واجهة الاهتمام في الشارع الفلسطيني.

وكتب الصحافي الفلسطيني إبراهيم مسلم تغريدة بالانكليزية على «تويتر» يقول فيها: «يرجى التوقيع على هذه العريضة التي تطالب إسرائيل بالإفراج عن القيادية والبرلمانية خالدة جرار، كما يرجى نشر هذه العريضة ومشاركتها على شبكات التواصل.. يجب تمكين جرار من المشاركة في مراسم تشييع ابنتها سهى جرار والتعبير عن حزنها لوفاتها».

وغردت الناشطة والكاتبة لمى خاطر قائلة: «لا نملك ما يمكن قوله في مقام الفجيعة بخبر وفاة الشابة سهى جرار، ابنة الأسيرة ورفيقة القيد خالدة جرار (أم يافا). في اعتقالها الماضي، توفي والدها، وتلقت الخبر في سجنها، ولا ندري اليوم بأي حال ستتلقى، وهي أسيرة، خبر رحيل ابنتها. رحم الله سهى، وأنزل الصبر على قلوب ذويها، وخصوصاً والديها».

أما حسام قمرين فقال: «قدر الفلسطيني أن تتزاحم على أبواب حياته الشدائد والحسرات، وأن تدهمه الفاجعة وهو في قلب الفاجعة، لتتراكم المصائب فوق رأسه عاجزا عن حملها والثبات أمامها– لولا تدخل رحمة الله بإفراغ الصبر على قلوب أصحابها – رحم الله من رحل، وربط على قلب سينفطر لوعة على من رحل».

وكتب أحد المعلقين قائلاً: «رحلت سهى إلى مثواها الأخير ووالدتها تتابع لحظات الوداع الأخيرة لفلذة كبدها عبر شاشة التلفزيون» أما سمر محمد فغردت تقول: «رفضت سلطات الاحتلال طلبين، الأول للإفراج المبكر عن الأسيرة خالدة جرار، والثاني للسماح لها بإلقاء نظرة وداع على ابنتها».

وغرد الناشط المقدسي المعروف محمد الكرد: «إن فقدان طفل مأساة. لكن فقدان ابن أثناء اعتقالك هو مأساة أكبر، لا يمكنني أن أتخيل العذاب. خالدة جرار يجب أن تكون حرة الآن. من فضلك خذ دقيقة للتوقيع على هذه العريضة التي تطالب بالحرية للأسيرة خالدة جرار».

وكتبت سمر الجراح: «قلب سهى لم يستطع تحمل الظلم المستمر الذي تعيشه والدتها وكل الأسرى الفلسطينيين. توقف قلبها ببساطة عن الخفقان».

وغرد رائد الجمل يقول: «أن تكون فلسطينياً يعني الكثير من المعاناة والألم، هذا يعني الشعور بالضياع بين الحين والآخر، ستفتقد خالدة ابنتها حتى في المحاكمات، وستفتقد ابنتها والدتها حتى في جنازتها.. وثمة الكثير من الشعور بالخسارة بسبب الاحتلال غير الإنساني».

يشار إلى أن خالدة جرار أمضت في سجون الاحتلال الإسرائيلي ما مجموعه ثلاث سنوات ونصف، منها 26 شهراً في الاعتقال الإداري، وهي من أبرز المدافعين عن حقوق الحركة الوطنية الأسيرة في سجون الاحتلال، كما أنها نائبة سابقة في المجلس التشريعي الفلسطيني.

علوم وتكنولوجيا

باحثون صينيون يبتكرون ملابس تحتوي على «مكيف هواء» للصيف

لندن – «القدس العربي»:

اخترع باحثون في الصين ملابس تتضمن نسيجاً يحتوي على تكنولوجيا تقوم بتأمين التبريد لمرتديها في الصيف، فيما يقولون إن أهم ما يميزها هو أنها ذات تكلفة منخفضة وتشكل حلاً مهماً للعيش في المناطق الحرة أو مواجهة موجات الحر التي يعاني منها العالم خلال فصل الصيف.

واستند الباحثون في جامعتين صينيتين في ابتكارهم الجديد على خصائص الأشعة تحت الحمراء المنبعثة من جلد الإنسان في نطاق متوسط والتي تُسمى «mid-infrared radiation – MIR».

وتشير مجلة «سينس» المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا إلى أن الباحثين انطلقوا من خبرة زملائهم في جامعة ستانفورد الأمريكية، الذين ابتكروا قبل خمس سنوات نسيجا من دقائق نانوية سمكه 45 ميكرومترا (0.045 ملليمتر) يمكنه تخفيض درجة حرارة الجسم بمقدار 3 درجات مئوية، ولكن متانة هذا النسيج أثارت الشكوك في إمكانية استخدامه.

أما الباحثون الصينيون فقد قرروا ابتكار نسيج أشد سمكا وأكثر متانة، وتمكنوا من ابتكار نسيج من خليط متعدد يحتوي حمض اللاكتيك مع دقائق نانوية من ثاني أكسيد التيتانيوم، سمكه 550 ميكرومترا (0.55 ملليمتر). وهذا النسيج يمتص الأشعة تحت الحمراء المنبعثة من الجسم ويطلقها إلى الوسط المحيط. كما أن هذا النسيج يعكس الأشعة فوق البنفسجية.

ويقول المهندس تاو غوانغ مينغ، أحد المبتكرين: «مع أن هذا النسيج يبدو كقميص عادي، إلا أنه من الناحية البصرية مرآة».

وقد أظهرت اختبارات هذا النسيج، أنه يخفض الحرارة بمقدار خمس درجات مئوية.

وبالطبع تابع علماء جامعة ستانفورد الأمريكية نجاحات زملائهم الصينيين، وقرروا اختبار النسيج الصيني بأنفسهم، وما إذا كان يخفض الحرارة أثناء المشي أيضا. ويقول المهندس الصيني ما: «يمكننا إنتاج النسيج الجديد بكميات كبيرة. وهذا يعني أن أي شخص يمكنه الحصول على قميص منه بسعر قميص من القماش العادي».

تقنية جديدة قد تؤدي إلى حصار «كورونا» ومنع انتشاره

لندن – «القدس العربي»:

توصل العلماء إلى ابتكار تقنية جديدة من شأنها أن تؤدي إلى حصار فيروس كورونا ومنع انتشاره بين الخلايا البشرية، ما قد يُبشر بنهاية قريبة للفيروس بواسطة هذه التقنية وليس عبر تلقيح الناس ومحاربته بالوسائل التقليدية المعروفة طبياً.

واستخدم العلماء تقنية تحرير الجينات التي تحمل اسم «كريسبر» لمنع انتقال فيروس كورونا المستجد، وسجلوا نجاحاً في منع انتقال الخلايا البشرية المصابة، وفقا لدراسة جديدة قد تمهد الطريق لعلاجات جديدة لفيروس «كوفيد–19».

وقال باحثون في أستراليا إن الأداة كانت فعالة ضد انتقال الفيروس في الاختبارات المعملية، مضيفين أنهم يأملون في بدء التجارب على الحيوانات قريبا.

وأظهرت تقنية «كريسبر» التي تسمح للعلماء بتغيير تسلسل الحمض النووي وتعديل وظيفة الجينات، بالفعل نتائج واعدة في القضاء على الترميز الجيني الذي يحرك تطور سرطان الأطفال.

واستخدم الفريق في الدراسة إنزيماً يُسمى «CRISPR-Cas13b» والذي يرتبط بتسلسلات الحمض النووي الريبوزي ذات الصلة على فيروس كورونا الجديد ويؤدي إلى تدهور الجينوم الذي يحتاجه للتكاثر داخل الخلايا البشرية.

وقالت الكاتبة الرئيسية شارون لوين، من معهد بيتر دوهرتي الأسترالي للعدوى والمناعة إن الفريق صمم أداة «كريسبر» للتعرف على فيروس كورونا المستجد.

وأضافت: «بمجرد التعرف على الفيروس، يتم تنشيط إنزيم كريسبر ويقطع الفيروس. لقد استهدفنا عدة أجزاء من الفيروس، أجزاء مستقرة جدا ولا تتغير وأجزاء شديدة التغير، وعملنا جميعا بشكل جيد للغاية في تقطيع الفيروس».

ونجحت هذه التقنية أيضا في إيقاف التكاثر الفيروسي في عينات من «المتغيرات المثيرة للقلق» مثل ألفا.

وعلى الرغم من وجود العديد من لقاحات «كوفيد–19» في السوق بالفعل، ما تزال خيارات العلاج المتاحة نادرة نسبيا وفعالة جزئيا فقط. وأشارت لوين إلى أن استخدام تقنية «كريسبر» في الطب على نطاق واسع ربما تكون على بعد «سنوات، وليس شهورا». لكنها أصرت على أن الأداة يمكن أن تظل مفيدة في معالجة «كوفيد–19».

وقالت لوين: «ما زلنا بحاجة إلى علاجات أفضل للأشخاص الذين يدخلون المستشفى بسبب كوفيد–19. خياراتنا الحالية هنا محدودة وفي أحسن الأحوال تقلل من خطر الموت بنسبة 30 في المئة».

وأوضحت أن نهج «الاختبار والعلاج لن يكون ممكنا إلا إذا كان لدينا مضاد فيروسات رخيص ويأخذ عن طريق الفم وغير سام. وهذا ما نأمل أن نحققه يوما ما باستخدام أسلوب المقص الجيني هذا (تقنية كريسبر)».

وقال المؤلف المشارك في الدراسة، محمد فريح، من مركز بيتر ماكالوم للسرطان، إن هناك فائدة أخرى للدراسة تتمثل في إمكانية تطبيق التقنية على أمراض فيروسية أخرى.

وتابع: «على عكس الأدوية التقليدية المضادة للفيروسات، تكمن قوة هذه الأداة في مرونة تصميمها وقدرتها على التكيف، ما يجعلها دواء مناسبا ضد العديد من الفيروسات المسببة للأمراض بما في ذلك الإنفلونزا والإيبولا وربما فيروس نقص المناعة البشرية».

يشار إلى أن التقنية تثير جدلا واسعا في المجتمع العلمي، حيث أنه رغم إمكانية استخدامها بشكل مفيد في المجال الطبي، يقول المنتقدون إن التجارب التي تعتمد هذه التقنية يمكن استغلالها في محاولة تعديل الصفات الوراثية للإنسان وهو ما يسبب مخاوف أخلاقية وأمنية.

«غوغل» توفر أدوات جديدة لنقل الملفات والصور

لندن – «القدس العربي»:

طرحت شركة «غوغل» الأمريكية أدوات جديدة لتطبيق «درايف» الخاص بها لإصدار سطح المكتب لمزامنة ونقل الملفات والصور.

وأوضح تقرير منشور عبر موقع «إنغادجيت» التقني المتخصص، أن أدوات غوغل الجديدة ستكون متوافقة مع نظامي تشغيل «ويندوز» و«ماك» لأجهزة سطح المكتب المختلفة.

وغيرت كذلك غوغل اسم التطبيق ليصبح اسمه «باك آب أند ساينك» بدلا من غوغل درايف أو درايف فايل ستريم.

ويجمع التطبيق الجديد بين أفضل أجزاء النسخ الاحتياطي والمزامنة في تطبيقي غوغل السابقين، حيث يمكنه تحميل ومزامنة الصور ومقاطع الفيديو عبر صور غوغل وكذلك عبر غوغل درايف، سواء عبر التخزين السحابي أو في سعة التخزين الداخلية للجهاز.

وسيكون المستخدم قادراً على نسخ ملفات درايف على جهاز الكمبيوتر الخاص به، مع نسخ الملفات المخزنة محليًا للوصول بشكل أسرع.

على صعيد آخر، فرضت هيئة مكافحة الاحتكار في فرنسا غرامة قدرها حوالي 600 مليون دولار على «غوغل» مانحة الشركة شهرين لتقديم مقترحات حول كيفية الدفع للناشرين مقابل محتواهم أو مواجهة المزيد من العقوبات.

وقالت الهيئة التنظيمية في بيان إن «غوغل» تجاهلت العديد من الأوامر المتعلقة بمفاوضات شركة التكنولوجيا مع ناشري الأخبار الفرنسيين.

وقد تم تغريم «غوغل» 500 مليون يورو أي 592 مليون دولار بسبب فشلها في الامتثال. وإذا لم تقدم شركة البحث العملاقة عروض تعويض للناشرين في غضون الشهرين المقبلين، فستواجه عقوبات إضافية تصل إلى 900 ألف يورو، أي 1.1 مليون دولار يومياً.

وقالت رئيسة وكالة مكافحة الاحتكار إيزابيل دي سيلفا إنه «عندما تفرض الجهة التنظيمية التزامات على شركة ما، يجب أن تمتثل للقانون بدقة، وركّزنا ونصّا. وفي هذه الحالة، لم يكن هذا هو الحال للأسف».

وفشلت «غوغل» في الامتثال من خلال عدم التصرف «بحسن نية» في مفاوضاتها مع وكالات الأنباء والناشرين، ورفضت إجراء مناقشة محددة حول الدفع مقابل محتوى إخباري عبر الإنترنت، وفقًا لما ذكرته دي سيلفا.

وقالت «غوغل» في بيان إنها «محبطة للغاية» من القرار، حيث قال متحدث باسم الشركة في بيان: «لقد تصرفنا بحسن نية طوال العملية. الغرامة تتجاهل جهودنا للتوصل إلى اتفاق، وحقيقة كيفية عمل الأخبار على منصتنا».

وقالت «غوغل» إن لديها اتفاقية إطارية مع تحالف الصحافة الإخبارية العامة، الذي يمثل وسائل الإعلام الفرنسية. كما أن لديها اتفاقيات مع بعض الصحف الرائدة مثل «لو موند» و«لو فيغارو».

ساعة مبتكرة تُحدد قوة جهاز المناعة ومخاطر الأمراض

لندن – «القدس العربي»:

تمكن باحثون أمريكيون من تطوير ساعة تعتمد تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وتستطيع تحديد قوة جهاز المناعة في جسم الإنسان والتنبؤ بمخاطر الأمراض التي تواجهه بما في ذلك خطورة الإصابة بفيروس كورونا وما إذا كان سيؤدي بالشخص إلى أعراض صعبة ومن ثم إلى الموت أم لا.

ويمكن لساعة «الشيخوخة الالتهابية» أن تتنبأ بمدى قوة نظام المناعة لديك ومتى تصبح ضعيفاً من خلال تحليل دمك وفقا لطوريها.

ويمكن للجهاز الذي يعمل بالذكاء الاصطناعي تشخيص الأمراض التي تهدد الحياة قبل سنوات من بدء ظهور أي أعراض، ما يسمح بالعلاج المبكر وتحسين الشفاء.

ويمكن للنظام أيضا تحديد مستويات الضعف في سن الشيخوخة قبل سبع سنوات، كما يقول باحثون من معهد باك لأبحاث الشيخوخة في نوفاتو بولاية كاليفورنيا.

وحلل الفريق الأمريكي عينات دم من 1001 فرد تتراوح أعمارهم بين ثمانية إلى 96 عاما، كجزء من مشروع يسمى «1000Immunomes» لإنشاء نتيجة تنبؤ.

ويقول علماء من كلية الطب بجامعة ستانفورد، والذين عملوا أيضا على تطويرها، إنها أكثر دقة لأنها تعتمد على البروتينات المنقولة بالدم والتي تسبب الالتهاب المزمن.

ويقول معدو الدراسة إن النظام يكتشف ما يُسمى «iAge» أو عمرك المناعي، بناء على البروتينات الموجودة في دمك والتي ترتبط بالشيخوخة والضعف.

ويتيح الكشف المبكر عن أي مرض مزمن أو يهدد الحياة وقتا لإجراء أي تغييرات في نمط الحياة أو إعطاء الدواء قبل حدوث أي ضرر دائم.

وقال كبير الباحثين البروفيسور ديفيد فورمان من معهد باك إن التقويم قد يخبرنا بأننا بعمر عام واحد، ولكن ليس كل البشر يشيخون بيولوجيا بالمعدل نفسه.

وأضاف: «ترى هذا في العيادة – بعض كبار السن معرضون بشدة للأمراض، في حين أن البعض الآخر يمثل صورة صحية».

وترجع هذه الظاهرة إلى المعدلات المختلفة التي يتدهور فيها جهاز المناعة لدى الناس، وتصبح أقل فاعلية مع تقدمنا في السن وتؤدي إلى الالتهاب. وعندما تصبح أقل فعالية، فإنها تغذي تلف الأعضاء والظروف التي تهدد الحياة – بما في ذلك أمراض القلب والأوعية الدموية والسرطان والخرف.

والآن، طُوّر مقياس يقيس العملية لأول مرة من قبل معهد باك وباحثين من ستانفورد، مبنيا على مستويات فكرة أن الخلايا المناعية والبروتينات تتقلب طوال الحياة.

وقال البروفيسور فورمان إن الساعة تفتح الباب أمام علاج الأمراض – أو على الأقل تفاديها من خلال التدخل المبكر.

واكتشف فريق البحث أن أولئك الذين لديهم عمر أكبر أظهروا أنماطا من الالتهاب الجهازي في وقت مبكر، مضيفا أنهم كانوا أيضا عرضة لمشاكل صحية متعددة طويلة الأجل بما في ذلك انخفاض المناعة وأمراض القلب والأوعية الدموية والضعف.

وكان أقوى المتنبئين عبارة عن مجموعة من حوالي 50 بروتينا تسمى السيتوكينات، والتي مكّنت دماغ الذكاء الاصطناعي من توليد نتيجة التهابية.

وتتبعت الاستجابة المناعية للشخص – واحتمال الإصابة بأي من مجموعة متنوعة من الأمراض المرتبطة بالشيخوخة.

وعندما قام الباحثون بتقييم اللياقة البدنية لحوالي 30 عاما لمن هم فوق 65 عاما بعد سبع سنوات، أثبت «iAge» تفوقه على العمر الزمني في التنبؤ بالضعف.

وقاموا بقياس سرعة المشاركين في النهوض من الكرسي والمشي لمسافة ثابتة، وقدرتهم على العيش بشكل مستقل.

وأكدت النتائج من خلال بيانات من دراسة فرامنغهام، التي تتبعت صحة الناس من مدينة ماساتشوستس منذ عام 1948.

وارتبطت مستويات السيتوكينات بشكل كبير بمعدلات الوفيات من جميع الأمراض، وساهم أحد السيتوكينات، المعروف باسم «CXCL9» أكثر من أي نوع آخر في «iAge».

ويُفرز السيتوكين من قبل خلايا مناعية معينة لجذب الآخرين إلى موقع الإصابة، ثم يرتفع بعد بلوغ الأشخاص سن الستين.

ووجد أنه مرتبط بشدة بتصلب الشرايين والنوبات القلبية والسكتات الدماغية، كما يوجد أيضا في الخلايا البطانية التي تبطن جدران الأوعية الدموية.

وترتبط الشيخوخة بزيادة كبيرة في CXCL9 – ما يقلل من القدرة على تكوين شبكات الأوعية الدموية الدقيقة التي تتمدد وتتقلص.

وفي التجارب المعملية على الخلايا البشرية والأنسجة المأخوذة من الفئران، أدى خفض المستويات إلى استعادة وظيفة الخلايا البطانية الشابة.

ويشير إلى أن CXCL9 يساهم بشكل مباشر في الخلل الوظيفي ويمنعه من محاربة أمراض القلب والأوعية الدموية، وفقا لفورمان.

وتكشف قدرة الساعة الالتهابية للشيخوخة على اكتشاف الشيخوخة القلبية الوعائية المتسارعة دون السريرية، أن تأثيرها السريري محتمل.

ويمكن استخدام «iAge» لتتبع خطر إصابة شخص ما بأمراض مزمنة متعددة من خلال تقييم الضرر الفسيولوجي التراكمي لجهاز المناعة.

شاحن بطارية خارق يولد الكهرباء من الجسم ويحولها إلى الهاتف

لندن – «القدس العربي»:

تمكن فريق بحثي من تطوير جهاز شحن للهواتف قابل للارتداء ولا يحتاج إلى الكهرباء، وهو ما يُمكن أن يعطي لمحة عن مستقبل عمليات الشحن ومستقبل الطاقة التي سيكون من الممكن تأمينها من خلال جسم الإنسان.

وبحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» فإن الجهاز الجديد الذي يمكنه شحن الهواتف والأجهزة يمكن ارتداؤه ويلتف حول إصبع الشخص حيث يقوم بحصد العرق أثناء النوم ومن ثم يقوم بتحويله إلى كهرباء يمكن استخدامها في تشغيل الأجهزة التي يحتاجها الإنسان.

ولا يخزن النموذج الأولي للجهاز سوى القليل من الطاقة في الوقت الحالي، ويستغرق حوالي ثلاثة أسابيع من عملية التوليد المستمر للطاقة من أجل تشغيل الهاتف الذكي، لكن المطورين من جامعة كاليفورنيا يأملون في زيادة السعة في المستقبل، ويأكدون بأن هذا ليس سوى نموذج أولي.

ووجد الباحثون أن ارتداء هذا الشاحن لمدة عشر ساعات من شأنه أن يولد طاقة كافية للحفاظ على تشغيل الساعة لمدة 24 ساعة، أو حوالي 400 ملي جول، وهذا فقط من طرف إصبع واحد، فيما يقول الباحثون إن أجهزة الربط الموجودة في بقية أطراف الأصابع ستولد طاقة أكثر بعشر مرات.

وتتطلب معظم الأجهزة القابلة للارتداء المنتجة للطاقة من مرتديها تمريناً مكثفاً أو الاعتماد على مصادر خارجية مثل ضوء الشمس أو التغيرات الكبيرة في درجة الحرارة.

وأوضح الفريق أن الشريط الجديد يستخدم نظاماً سلبياً لتوليد الكهرباء من الرطوبة في أطراف أصابعك، حتى لو كنت نائماً أو جالساً أو ساكناً تماماً، وذلك لأن أطراف الأصابع هي الجزء الأكثر تعرقاً في الجسم، لذلك يفضل مادة الإسفنج الذكية يمكن جمعها ومعالجتها بواسطة الموصلات.

وتنتج آلة حصاد الطاقة كميات صغيرة من الكهرباء عندما يضغط مرتديها لأسفل أو يبدأ في التعرق أو من النقر بإصبع خفيف. ويقوم بذلك عن طريق تحويل الأنشطة مثل الكتابة أو الرسائل النصية أو العزف على البيانو إلى رسوم إضافية لذا فإن إرسال تغريدة يمكن أن يشغّل هاتفك.

وقال لو بين، المؤلف المشارك وطالب الدكتوراه: «على عكس الأجهزة القابلة للارتداء التي تعمل بالعرق، لا يتطلب هذا الجهاز أي تمرين، ولا يحتاج إلى مدخلات جسدية من مرتديه حتى يكون مفيداً».

وأضاف: «هذا العمل هو خطوة للأمام لجعل الأجهزة القابلة للارتداء أكثر عملية وملاءمة ومتاحة للأشخاص العاديين».

ووفقاً للباحثين، تمتلك أطراف الأصابع واحدة من أعلى تركيزات الغدد العرقية في الجسم، حيث ينتج كل إصبع ما بين 100 و1000 مرة من العرق أكثر من معظم المناطق الأخرى.

وقال بين: «السبب الذي يجعلنا نشعر بالتعرق في أجزاء أخرى من الجسم هو أن تلك البقع ليست جيدة التهوية. على النقيض من ذلك، فإن أطراف الأصابع معرضة دائماً للهواء، لذلك يتبخر العرق عند خروجه لذا بدلاً من تركه يتبخر، نستخدم أجهزتنا لتجميع هذا العرق، ويمكنه توليد كمية كبيرة من الطاقة».

لكن الباحثين يؤكدون إن جمع العرق من هذه المساحة الصغيرة وتحويله إلى كهرباء كان تحدياً يتطلب مواد وهندسة خاصة، بحسب ما نقلت «دايلي ميل».

وتقول الصحيفة إن الجهاز مزود بموصلات كهربائية – أو أقطاب كهربائية مصنوعة من رغوة كربونية تمتص عرق الأصابع، ثم تؤدي الإنزيمات الموجودة على الأقطاب الكهربائية إلى تفاعل كيميائي بين جزيئات العرق لتوليد الكهرباء.

وبحسب الصحيفة فإن رقاقة صغيرة تحت الأقطاب الكهربائية مصنوعة من «مادة كهرضغطية» تولد أيضاً الطاقة عند الضغط عليها، مع تخزين الطاقة في مكثف صغير وتفريغها إلى أجهزة أخرى عند الحاجة.

وقال بين: «حجم الجهاز جوالي سنتيمتر مربع واحد. كما أن مادته مرنة أيضاً، لذلك لا داعي للقلق بشأن كونه شديد الصلابة أو الشعور بالغرابة. يمكنك ارتدائه بشكل مريح لفترة طويلة من الزمن».

ولاختبار الجهاز طُلب من أحد المتطوعين أداء مهام مختلفة أثناء ارتدائه على أصابعه بما في ذلك الكتابة والاستماع وحتى النوم.

وخلال 10 ساعات من النوم جمع الجهاز ما يقرب من 400 ملليوض من الطاقة، وهو ما يكفي لتشغيل ساعة يد إلكترونية لمدة 24 ساعة.

ومن ساعة واحدة من الكتابة غير الرسمية والنقر على الماوس جمع الجهاز ما يقرب من 30 ملليغول، دون أي جهد يتجاوز النشاط العادي.

ويشكل هذا الابتكار الجديد مؤشراً على مستقبل عمليات توليد الطاقة للأجهزة القابلة للارتداء والهواتف المحمولة، كما أن هذا الابتكار من شأنه القضاء على مشكلة نفاد البطاريات التي يعاني منها مستخدموا الهواتف المحمولة، وهي المشكلة التي تبذل شركات التكنولوجيا جهوداً كبيرة من أجل تجاوزها.

اقتصاد

عقب تسليم تقرير المراجعة الدولية لحسابات المصرفين المتوازيين
هل يقترب توحيد مصرف ليبيا المركزي؟

طرابلس ـ «القدس العربي»:
نسرين سليمان

يعتبر مصرف ليبيا المركزي من أهم الأصرح الاقتصادية التي تقوم عليها الدولة بأكملها، حيث يتولى إدارة أموال الدولة فضلا عن سياستها النقدية وأسعار الصرف ودخول وخروج العملة الصعبة والمحلية إلى البلاد، إضافة لإدارة الاحتياطي العام للنقد الأجنبي.

إلا أن الانقسام الذي ضرب هذه المؤسسة أثر وبطريقة مباشرة على اقتصاد ليبيا بشكل كامل، فحتى هذه اللحظة تمتلك ليبيا مصرفين متوازيين أحدهما في البيضاء في شرق البلاد والآخر في طرابلس عاصمة ليبيا والذي يعتبر الشرعي والرئيسي. انقسام المصرف تزامن مع الانقسام الذي شهدته الدولة منذ عام 2014 وخلق توازيا في القرارات، وتضخما في الدين العام للدولة، فضلا عن عدد من المشاكل الأخرى المتمثلة في زيادة حجم الدين العام، وقيام المصرف الموازي بطباعة كمية كبيرة من العملة ما أدى إلى تخفيض قيمة العملة المحلية وزيادة حجم الكتلة النقدية. ورغم توحيد معظم مؤسسات الدولة ظل مصرف ليبيا المركزي منقسما لحساسيته ولكونه يخدم أطرافا سياسية وعسكرية قائمة حتى هذه اللحظة وقد فشلت محاولات توحيده المتمثلة في تغيير متقلدي المناصب السيادية ومحاولة اتخاذ مجموعة قرارات من خلاله مجتمعا، ولم تصل هذه المؤسسة إلى التوحيد الفعلي.

آمال تتصاعد

مؤخرا تصاعدت الآمال بأقتراب توحيد المصرف المركزي، عقب تسلم كل من محافظ المصرف المركزي طرابلس الصديق الكبير ونائبه والذي عين على رأس المصرف في البيضاء لتقرير المراجعة الدولية الذي وضعته وأكملته شركة ديلويت .حيث أنهت الشركة مراجعة حسابات مصرف ليبيا المركزي بشقيه في طرابلس والبيضاء تحت إشراف بعثة الأمم المتحدة، وكان أهم ما كشفه تقرير الشركة أن احتياطيات النقد الأجنبي في ليبيا لم تنخفض منذ كانون الأول/ديسمبر 2014 سوى بنسبة 8 في المئة.

وأحال المبعوث الخاص للأمين العام ورئيس بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، يان كوبيش، رسمياً التقارير النهائية الخاصة بالمراجعة المالية الدولية إلى المجلس الرئاسي ورئيسي فرعي مصرف ليبيا المركزي.

وبغض النظر عن ما احتواه التقرير إلا ان مراسم تسليم واستلام شهدت ولأول مرة منذ سنوات إجراء عمليا يمثل توحيدا لمصرف ليبيا المركزي بعد انقسام دام لسنوات، حيث التقى من خلاله طرفا النزاع، وهم محافظ المصرفين المتوازيين شرقا وغربا واحتفلوا بإصدار التقرير الذي وضعت عليه الآمال ليكون بداية لتوزيع الثروة بالتساوي، والذي كان جزءا من مطالب المواطنين.

وجاء إعداد هذا التقرير بعد طلب من المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني سابقا وتفويض مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

وقالت بعثة الأمم المتحدة أنها سعت من خلال هذه المراجعة إلى تهيئة الظروف وتقديم توصيات تهدف إلى توحيد مصرف ليبيا المركزي وبالتالي تعزيز ثقة الشعب وتحقيق شفافية ونزاهة القطاع المصرفي.

وتولت البعثة تيسير هذه العملية التي شملت استكمال اختصاصات عملية المراجعة مع فرعي المصرف وبهدف ضمان استقلالية العملية وتطبيق أفضل الممارسات، تولى مكتب الأمم المتحدة لخدمات المشاريع إدارة عملية الشراء التي أسفرت عن اختيار شركة ديلويت كمراجع مستقل للحسابات.

وقالت البعثة إن «النتيجة الرئيسية لعملية المراجعة خلصت إلى أن توحيد المصرف لم يعد أمراً موصى به فحسب، بل بات مطلوباً. إذ إن انقسام المصرف يتسبب في تعقيد إمكانية الحصول على النقد الأجنبي، وعرقلة الإصلاح النقدي فضلا عن تقويضه لنزاهة المصارف التجارية والرقابة عليها وقد أسهم هذا الانقسام، مقروناً بعدم وجود ميزانية موحدة، في تراكم الديون على كل من المصرفين لتمويل الحكومات السابقة المتعاقبة».

إيجابيات تذكر

وقد حمل التقرير في طياته عددا من الإيجابيات رغم عدم قيام البعثة أو الحكومة أو المصرف بنشره علنا، إلا أن البعثة قامت بنشر بعض النقاط الإيجابية والسلبية داعية المصرفين إلى الدخول في نقاشات جدية للتوحيد.

أول الإيجابيات وأبرزها هو أن ليبيا ليس لديها دين أجنبي وأن التراكمات الماضية لاحتياطيات العملات الأجنبية من خلال مبيعات النفط قد تمت حمايتها إلى حد كبير، ولم تنخفض احتياطيات النقد الأجنبي في ليبيا منذ كانون الأول/ديسمبر 2014 سوى بنسبة 8 في المئة.

كما أن انخفاض الاحتياطي بنسبة 8 في المئة لا يرجع إلا إلى سحب 15 مليار دينار اضطرارا من الحافظة المجنبة في عام 2016 للتخفيف من الخسائر الناجمة عن انخفاض إنتاج النفط. والحافظة المجنبة هي حافظة للأصول يحتفظ بها مصرف ليبيا المركزي في طرابلس للاستخدام في الحالات «الخاصة أو الطارئة» وقد أسهم الحد من الإنفاق والحصول على العملة الأجنبية في المقام الأول في حماية الاحتياطيات الوطنية.

سلبيات

عدد من السلبيات المعروفة حملها هذا التقرير أولها ازدياد إجمالي كمية العملة المتداولة بشكل كبير في الفترة ما بين شهري أيلول/سبتمبر 2014 وحزيران/ يونيو 2020 وهي الفترة التي يغطيها التقرير، بسبب لجوء فرع مصرف ليبيا المركزي إلى طباعة الدينار الليبي.

فوفقا لتقرير خبراء للأمم المتحدة الذي أرسل إلى مجلس الأمن الدولي في كانون الأول/ ديسمبر 2019 سلمت شركة غوزناك الروسية بين عامي 2016 و2018 البنك المركزي الموازي في البيضاء بشرق ليبيا أوراقا نقدية ليبية تعادل قيمتها 7.11 مليارات دولار.

وقال التقرير أن عمليات إغلاق الحقول النفطية بشكل متكرر وتسهيلات السحب على المكشوف واقتران ذلك بعمليات طباعة الدينار بشكل سريع قد تسببت في ضغط على سعر الصرف، مما أدى في النهاية إلى خفض قيمة الدينار الليبي مقابل الدولار الأميركي بأكثر من 300 في المئة بدءاً من 3 كانون الثاني/يناير 2021.

ومن النتائج الأخرى التي خلص إليها التقرير أن ليبيا ما تزال تعتمد اعتماداً كلياً تقريباً على مبيعات النفط كمصدر أساسي لإيراداتها، فخلال الفترة المشمولة بالتقرير بلغ متوسط الدخل من مبيعات المحروقات 84 في المئة من إجمالي الإيرادات العامة، بينما بقيت الإيرادات المحصلة من الضرائب والجمارك محدودة.

كما أن فرض رسوم على العملات الأجنبية بنسبة 183 في المئة منذ شهر أيلول/سبتمبر 2018 كان مصدراً مؤقتاً للإيرادات وتم تعليق هذا الإجراء إلى أجل غير مسمى في كانون الثاني/يناير 2021 نظراً لتخفيض قيمة العملة.

أما فيما يتعلق بالنفقات، فإن عائدات ليبيا من العملات الأجنبية، والتي تأتي بشكل شبه حصري من مبيعات النفط، تُستخدم بشكل رئيسي لتسهيل التمويلات التجارية لمؤسسات القطاعين العام والخاص.

كما استخدمت هذه الإيرادات في صرف التمويلات عبر برامج معينة مثل منحة أرباب الأسر. ويُسلط التقرير الضوء على فرص إصلاح عملية إصدار الاعتمادات المصرفية وتحسينها.

وقالت البعثة أنه وبتسليم التقرير تنتهي عملية مراجعة الحسابات المالية لفرعي مصرف ليبيا المركزي، والتي تزود كلا الفرعين بالمعلومات والإرشاد اللازم للشروع في عملية توحيد هذه المؤسسة، مضيفة أن التقرير يقدم سلسلة من التوصيات لاستعادة نزاهة مصرف ليبيا المركزي وتعزيز مستوى شفافيته، بما في ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر، اعتماد معايير دولية لإعداد التقارير المالية وتقييم أثر تخفيض قيمة الدينار الليبي، إلى جانب تأسيس إدارة فعالة وإرساء ضوابط رقابية داخلية. وتعرب بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا عن استعدادها لمواصلة دعم عملية توحيد هذه المؤسسة.

انتقادات

العديد من المتتبعين للمشهد انتقدوا عدم قيام البعثة أو الحكومة أو المصرف بنشر التقرير علنا خاصة وأنه يخص مؤسسة تدير أموال كافة الليبيين، مشيرين إلى حق الشعب في معرفة أين ذهبت أمواله، وأين تدفقت طوال تلك الفترة، خاصة مع استمرار وجود ذات الأشخاص في نفس المناصب.

التقرير انتقد من نواح أخرى أيضا ومنها عدم وجود آليات عملية لا لتوحيد مصرف ليبيا المركزي والقضاء على الانقسام المؤسساتي في الدولة، ولا لآلية تسديد الدين العام الذي تضاعف بشكل كبير خاص من جهة المصرف المركزي بالبيضاء.

ويرى مختصون أن الحكومة تشترك في الإثم مع المصرف كونها لم تضع آلية معينة ضمن مشروعها لسداد الدين العام المتراكم والذي جعل المصرف يضطر مرغما لتعديل سعر الصرف لمضاعفة الإيرادات ومحاولة مجاراته.

كما أن المطالبة بالتوحيد في حد ذاتها لاقت اعتراضا وامتعاضا واسعا نظرا لانتظار المواطنين انتهاء عملية تغيير متقلدي المناصب السيادية الأمر الذي سيمثل توحيدا فعليا للمصرف دون الحاجة إلى استدعاء وجوه قديمة ساهمت في تمطيط أمد الأزمة وحصلت على عداوات لا بأس بها من المواطنين.

إلا أن مجلسي النواب والدولة، أوصلوا فكرة باستحالة التوافق على قضية المناصب السيادية فكل بات يعمل مفردا رغم أن بنود الاتفاق السياسي واضحة وصريحة وتجمعهم في إطار واحد ومهام واحدة.

وحتى لو توافق المجلسان على تغيير متقلدي هذه المناصب الا أن ذهاب منصب محافظ مصرف ليبيا المركزي إلى الشرق الليبي يثير مخاوف من توجه الأموال وتدفقها لدعم الأنشطة الحربية بقيادة اللواء المتقاعد خليفة حفتر كونه يسطو ويسيطر على كافة تدفقات الأموال في الشرق الليبي .

مشاكل اقتصادية عديدة ظلت تعاني منها ليبيا مع تأخر توحيد هذه المؤسسة أولها وأهمها مشكلة المقاصة حيث ومع الانقسام انفصلت المنظومة المصرفية بين شرق ليبيا وغربها، وأغلقت المقاصة بينهما ما جعل التعاملات المالية تتوقف بين الشرق والغرب من سنوات عديدة .

ورغم عقد مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي للعديد من الاجتماعات بهدف وضع حلول للأزمات الاقتصادية التي أرهقت الدولة إلا أن مشكلة المقاصة ظلت دون حلول وكانت موضع خلاف بين المركزيين، بل وأشارت المصادر أن محافظ المصرف المركزي بطرابلس رفض فتح المقاصة خوفا من استخدام الأموال في دعم حفتر مجددا .

كما أن القيود المفروضة على الحصول على العملة الصعبة وهيمنة السوق السوداء الموازي على سعر صرف الدولار، وصعوبة اتخاذ قرار بتخفيضه يرتبط بشكل كلي بتأخر توحيد المؤسسة المصرفية كونها المسؤولة عن اتخاذ تدابير بناءة للحد من هذه المشاكل .

كما أن ثقة المواطنين بالمصارف باتت شبه معدومة بسبب غياب السيولة غالبا ونقصها في أوقات عديدة ما جعل أبرز الضروريات ارجاع الثقة بين المواطنين والمصارف من خلال توفير السيولة بشكل سلس وبلا قيود، وتعزيز أنظمة الدفع الإلكتروني للقضاء على التضخم وللكتلة النقدية ولتقوية القوة الشرائية للدينار الليبي عقب سنوات من استقراره عند القاع .

وبمقارنة الفترة الاقتصادية الحالية بما سبقها من فترات نجد أن انتعاشا بدأ ينهض بالمؤشر الاقتصادي للدولة منذ اعتماد الإصلاحات الاقتصادية عام 2017 وانتهاء بتعديل سعر الصرف خلال العام الجاري، إلا أن هذه الانتعاشة تحتاج إلى مؤسسات قوية وموحدة وسيادية بمعنى الكلمة تستطيع أن تدعمها وتسير بها إلى خط الاستقرار النهائي السابق.

بغداد تهدد بتدويل
قطع إيران مياه الأنهار عن العراق

بغداد ـ «القدس العربي»:

موقف لافت لحكومة بغداد، الخاضعة لأحزاب وقوى موالية لإيران، عندما أعلنت أنها قد تلجأ إلى المجتمع الدولي لاستعادة حقوقها المائية من إيران التي قطعت الأنهار عن العراق وتسببت بكارثة كبيرة، كما ترفض التفاوض حول تقاسم المياه بين البلدين.

فقد هدّد وزير الموارد المائية العراقي، مهدي رشيد الحمداني، السبت الماضي، بالتوجه إلى المجتمع الدولي من أجل الحصول على حقوق بلده المائية من إيران، مؤكداً أنه ليس هناك «أي بوادر إيجابية» من الجانب الإيراني حيال أزمة المياه وتقاسم الضرر الإقليمي. وقال الحمداني، في مؤتمر صحافي، إنّ «الجانب الإيراني لم يبد أي تجاوب معنا وما زال يقطع المياه عن أنهر سيروان والكارون والكرخة والوند، ما سبب أضراراً جسيمة لسكان ديالى التي تعتمد بشكل مباشر على المياه الآتية من إيران».

وأكد الوزير العراقي أنه «في حال إصرار إيران على عدم التعاون مع العراق حيال الأزمة المائية وفق المواثيق الدولية، سنضطر للجوء إلى الأمم المتحدة لاستحصال حقوقنا من الروافد والجداول المشتركة مع إيران» كاشفا أنّ «الجانب الإيراني رفض عقد اجتماع كان مقرراً في منتصف حزيران/يونيو الماضي وتم تأجيله، ووعدونا بعقد اجتماع بعد الانتخابات إلا أن ذلك لم يتحقق».

وكان الرئيس العراقي برهم صالح، أعلن تضرّر سبعة ملايين عراقي من نحو 40 مليوناً، من «الجفاف والنزوح الاضطراري» بسبب نقص المياه. وقال في كلمة بمناسبة اليوم العالمي للبيئة «ملف المياه يستوجب حوارا صريحا وبناء بين العراق وتركيا وإيران وسوريا يستند على مبدأ عدم الإضرار بأي طرف، وتحمل المسؤولية المشتركة».

وبسبب حجم الكارثة البيئية في العراق، فقد حذرت منظمات دولية من النتائج السلبية على الحياة في البلد.

فقد أعلن «برنامج الأمم المتحدة للبيئة» أن العراق يفقد حاليا نحو 25 ألف هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة سنويا، معظمها في الجنوب، كما يزداد التصحر بسبب قلة المياه. وفيما كشفت لجنة الزراعة والمياه البرلمانية العراقية أن تقريرا صدر عن الأمم المتحدة يؤكد فقدان العراق لـ 100 ألف دونم سنويا من أراضيه بسبب التصحر، فإن تقريرا صادرا عن المنظمة الدولية للهجرة التابعة للأمم المتحدة العام الماضي، أكد أن مستويات المياه في نهري دجلة والفرات تتناقص «بمعدل غير مسبوق» مما قد يؤدي إلى تهجير قسري لمجتمعات بأكملها.

تداعيات كارثية لقطع الأنهار

مع بدء موسم الصيف في العراق، بدأت أزمة عطش ونقص مياه حقيقية تعصف بالبلاد، لتزيد من عمق معاناته وأزماته، نتيجة قيام إيران بقطع العشرات من الأنهار عن العراق، من دون تنسيق مع بغداد.

وذكرت حكومة إقليم كردستان العراق في وقت سابق أن إيران «غيرت مجرى نهر الكارون بالكامل وأقامت ثلاثة سدود كبيرة على نهر الكرخة بعدما كان هذان النهران يمثلان مصدرين رئيسيين لمياه الإقليم والعراق ككل». فيما كشفت المصادر المحلية في الإقليم إن إيران تتعمد منذ سنوات حجب مياه نهر الزاب الصغير الذي يدخل أراضي إقليم كردستان العراق، بعد ان أقامت سدوداً ضخمة داخل أراضيها، وحوّلت مجرى مياه النهر، إضافة إلى انخفاض منسوب المياه بشكل كبير في نهر سيروان وسد دربندخان.

أما في محافظة ديالى المجاورة لإيران، فقد كشف النائب فرات التميمي، إن «الإيرادات المائية المتدفقة من الأنهر الحدودية القادمة من إيران انخفضت بنسبة 70 في المئة خلال الأيام الماضية» مشيرا إلى إن «حوض نهر ديالى من أكثر المناطق تضررا، ويقطنها حوالي مليون نسمة» ودعا النائب إلى «أهمية تكثيف المساعي من أجل تفادي أزمة جفاف حادة تضرب مناطق واسعة في ديالى خلال الصيف ، والسعي إلى إطلاق ايرادات مائية من خلال الأنهر الحدودية خاصة سيروان الذي يمتد إلى سد دربندخان ومنه عبر نهر ديالى إلى بحيرة حمرين التي تشكل الخزين الاستراتيجي للمياه في ديالى».

وبدوره حذر مدير ناحية مندلي في ديالى مازن الخزاعي من ان «أكثر من 20 قرية في حوض الندا (شرق بعقوبة) تعاني منذ أسابيع من عطش حاد وسط مخاوف جدية من نزوح جماعي هو الأكبر في تاريخ ديالى».

ولا يخفى ان لقطع المياه بهذا الشكل الكبير عن العراق، العديد من النتائج السلبية الجانبية والخسائر الاقتصادية والاجتماعية، أبرزها تزايد الهجرة من الريف إلى المدن وانخفاض المساحات الزراعية، وارتفاع نسبة التلوث والتصحر، وانخفاض الثروة السمكية والحيوانية.

اعتراف إيراني بقطع المياه

وقد أصبح واضحا ان قطع إيران لمياه الأنهار عن العراق يتم وفق خطة حكومية بدأت منذ عام 2003 حيث أقدمت السلطات الإيرانية على قطع المياه عن أكثر من 42 رافدا وجدولا موسميا كانت تغذي الأنهار والأهوار في العراق، أهمها أنهار الكرخة والكارون والطيب والوند، والزاب الصغير، وسيروان وآخرها نهر هوشياري الذي يغذي محافظة السليمانية.

وفي هذا السياق أقر معاون وزير الزراعة الإيراني علي مراد أكبري، إنه «سيتم قطع حوالي 7 مليارات متر مكعب صوب الحدود الغربية والشمالية الغربية العراقية بأمر من المرشد الأعلى، وتخصيص مبلغ 8 مليارات دولار لوزارات الطاقة والزراعة للتحكم بحركة المياه» حسب وكالة «تسنيم» الإيرانية. وأضاف المسؤول الإيراني أن هذه الكميات من المياه ستستخدم في 3 مشاريع رئيسية في البلاد، في خوزستان (الأحواز) وإيلام.

وكان الرئيس الإيراني السابق حسن روحاني، افتتح مؤخرا، عددا من المشاريع المائية على الحدود مع العراق. ففي محافظة إيلام الحدودية، قام بتدشين سد «كنجان». فيما قال محمد الحاج رسولي، أمين عام إدارة المصادر المائية، إن «عدد السدود التي افتتحت في محافظة إيلام في السنوات الثماني الماضية كان 4 سدود، وسد كنجان هو المشروع الخامس» وهو أحد روافد نهر دجلة في العراق.

وتمثل الموارد المائية القادمة من إيران 35 في المئة من إجمالي الإيرادات السنوية في العراق، وقبل العقدين الأخيرين كانت تلك الموارد تجري برمتها إلى العراق من دون عوائق، لكن إنشاء سدود ومنشآت كبيرة على صدور تلك الأنهار غيّر من وضعها الطبيعي.

ورغم ادعاء إيران بحاجتها للمياه، إلا ان وزير الموارد المائية العراقي، مهدي رشيد الحمداني، أعلن «إن إيران ما زالت تقطع بعض التدفقات ما تسبب بانخفاض غير مسبوق بالإيرادات المائية، أما تركيا فالإيرادات المائية تأتي على وفق معدلاتها».

ومن المؤكد ان الضغوط الشعبية والسياسية والتبعات الاقتصادية الكارثية لقطع الأنهار عن العراق، هو الذي شجع حكومة بغداد، على الإعلان لأول مرة عن مسؤولية إيران عن هذه الكارثة، مع القناعة ان قطع إيران للمياه عن العراق الذي بدأ بعد الاحتلال الإمريكي للعراق عام 2003 هو قرار ذو أبعاد سياسية واقتصادية، استغل ضعف حكومة بغداد ونفوذ أصدقاء وحلفاء إيران في العراق الذين يتقاضون عن المطالبة بحقوق العراق وفق معاهدات تقاسم المياه الدولية. إلا ان استمرار التعنت الإيراني وانتهاك حقوق العراق المائية، أديا إلى تصاعد الدعوات من القوى الشعبية والسياسية لحكومة بغداد بضرورة تدويل القضية إضافة إلى استعمال الورقة الاقتصادية والتجارية للضغط على الجانب الإيراني، لا سيما أن حجم التبادل التجاري بين البلدين بلغ نحو عشرة مليارات دولار العام الماضي. علما ان إيران لم تجروء على قطع الأنهار عن العراق حتى خلال الحرب العراقية الإيرانية (1980 – 1988).

كشف في مؤتمر صحافي، أن إيران تريد ربط ملف المياه باتفاقية الجزائر، بين بغداد وطهران الموقعة عام 1975 التي تتضمن بروتوكولا خاصا بالمياه. موضحاً، أن وزارته حاولت فصل ملف المياه عن اتفاقية الجزائر، التي تتضمن «تفاصيل سياسية» إلا أن «إيران تصر على هذا الموضوع» حسب قوله.

ويذكر ان الاتفاقيات والمعاهدات الدولية حول تقاسم مياه الأنهار بين الدول تشدد على عدم جواز تغيير أو تحويل مجرى النهر الذي يعبر بصورة طبيعية من أراضي دولة إلى أراضي دولة أخرى عبر منشآت بغرض التحويل أو التغيير بدون أخذ موافقة الدول المشاركة في النهر.

تعاون تركي

وفي الوقت الذي تقوم فيه إيران بإجراءات أحادية لقطع مياه الأنهار عن العراق من دون التفاوض مع حكومتها، فإن هناك تعاونا عراقيا تركيا واتصالات مشتركة متواصلة لحل أزمة نقص المياه.

فقد أعلنت وزارة الموارد المائية العراقية موافقة البرلمان التركي على مذكرة التفاهم الموقعة في عام 2009 و 2014 والتي تلزم تركيا فيها بإطلاق حصة عادلة ومنصفة للعراق من نهري دجلة والفرات، وكذلك جاء إعلان الرئيس التركي رجب اردوغان بضرورة تقاسم المياه مع دول المصب.

وبدوره بحث وزير الموارد المائية مهدي رشيد الحمداني مع المبعوث الخاص لرئيس الوزراء التركي فيصل أوروغلو حسم «مواضيع المياه المشتركة بين البلدين» مؤكدا على «أهمية تقاسم الضرر بين الدول المشتركة في مياه نهري دجلة والفرات لتجاوز أزمة شح المياه».

وضمن التفاهمات لحل الأزمة، يتبادل العراق وتركيا زيارات الوفود المختصة بهذا المجال، كما تم تأسيس مركز بحثي مشترك عراقي تركي مقره في بغداد حول قضية المياه، يكون هدفه تبادل الخبرات والاستشارات بين الطرفين و«هذا بحد ذاته يمثل تطورا إيجابيا في طريق التعامل مع الجانب التركي» حسب وزارة الموارد المائية. كما عرض العراق على تركيا إمكانية مساهمة شركاتها في تنفيذ مشروع سد مكحول.

وكان وزير الموارد المائية في العراق، مهدي الحمداني، أعلن «إن إيران ما زالت تقطع بعض التدفقات ما تسبب بانخفاض غير مسبوق بالإيرادات المائية، أما تركيا فالإيرادات المائية تأتي على وفق معدلاتها».

ومن المؤكد ان الضغوط الشعبية والسياسية والتبعات الاقتصادية الكارثية لقطع الأنهار عن العراق، هو الذي شجع حكومة بغداد، على الإعلان لأول مرة عن مسؤولية إيران عن هذه الكارثة، مع القناعة ان قطع إيران للمياه عن العراق الذي بدأ بعد الاحتلال الإمريكي للعراق عام 2003 هو قرار ذو أبعاد سياسية واقتصادية، استغل ضعف حكومة بغداد ونفوذ أصدقاء وحلفاء إيران في العراق الذين يتقاضون عن المطالبة بحقوق العراق وفق معاهدات تقاسم المياه الدولية. إلا ان استمرار التعنت الإيراني وانتهاك حقوق العراق المائية، أديا إلى تصاعد الدعوات من القوى الشعبية والسياسية لحكومة بغداد بضرورة تدويل القضية إضافة إلى استعمال الورقة الاقتصادية والتجارية للضغط على الجانب الإيراني، لا سيما أن حجم التبادل التجاري بين البلدين بلغ نحو عشرة مليارات دولار العام الماضي. علما ان إيران لم تجروء على قطع الأنهار عن العراق حتى خلال الحرب العراقية الإيرانية (1980 – 1988).

الميادين السورية: مدينة تاريخية اشتهرت بالحروب منذ الأزل

حسام محمد

عند الوقوف أمام عراقة محافظة دير الزور، عاصمة الشرق السوري، لا بد للرحال أن تحط عند أسوار الميادين. تلك المدينة التاريخية التي يظهر من اسمها كم عاصرت من معارك وحقب تاريخية، وتنوع في الجهات التي سيطرت عليها ما بين مرحلة وأخرى.

وعلى الرغم من عدم العثور على الدافع الواضح لتسمية الميادين بهذا الاسم، إلا أن غالبية المراجع التاريخية اتفقت على أن التسمية جاءت من ميادين القتال، حيث شهدت المدينة العديد من المعارك خلال العصور السابقة في ساحاتها، ولما تحمله قلعة الرحبة الواقعة في جنوبها من أهمية جغرافية وعسكرية وكذلك اقتصادية.

جغرافيا وتاريخ

تقع مدينة الميادين، على الضفة اليمنى لنهر الفرات وتبعد عن مدينة دير الزور 40 كم باتجاه الشرق، حيث تتموضع فوق تل أثري كان اسمه الرحبة، أنشأها في الأصل مالك بن طوق التغلبي في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكانت تعرف برحبة مالك بن طوق، كذلك بالرحبة.

في عام 157م تعرّضت المدينة وفق تقرير لـ «نور سوريا» لزلزال دفع السكان للإقامة فوق الحافة الصخرية حيث توجد قلعة الرحبة، لتبنى المدينة الحالية على أنقاض تل العلوة الأثري.

في حين أن الحفريات كشفت عن منشآت مبنية بالحجارة والآجر، وعلى بقايا السور الذي كان يحيطها، وعلى لقى أثرية من العصر العباسي، ومشيّدات من العصرين الأيوبي والمملوكي.

فقلعة الرحبة الواقعة جنوبي مدينة الميادين، يعود تاريخها وفق ما قاله الإعلامي محمد الحمادي لـ«لقدس العربي» وهو ابن المدينة، لما قبل الميلاد، حيث تعاقبت عدة قوى في السيطرة عليها من العهد الآرامي فالآشوري ثم الإسلامي أخيراً.

حيث عين نور الدين الرحبة على الفرات وحصن على العاصي لأسد الدين شيركوه بن أحمد بن شادي الدويني عم صلاح الدين الأيوبي عام 559هـ – 1164 م.

وقد عهد صلاح الدين بحكم الرحبة إلى قائد يدعى يوسف بن الملاح، بحسب أرشيف موقع «عريق» وابتنى شيركوه الرحبة الجديدة على بعد ثلاثة أميال من رحبة طوق بن مالك.

وقد ظلت الرحبة الجديدة في حكم أسرة شيركوه قرنا من الزمان، وغدت في عهد هذه الأسرة محطة مهمة للقوافل بين الشام والعراق. ونصب بيبرس واليًا على الرحبة عام 663هـ – 1264 م.

الأمير الأول والصرح العظيم

في الجهة الجنوبية من مدينة الميادين، تتواجد قلعة تاريخية، تعرف باسم رحبة مالك بن طوق، ولأن سكان المنطقة عزّ عليهم أن يُنسى ذكر الرحبة وذكر مالك بن طوق، أطلقوا على قلعة آشورية قديمة فيها اسم رحبة مالك بن طوق، وهو أميرها العربي الأول، وشاع الاسمان مقترنان، إلى يومنا.

أما رحبة مالك بن طوق، بحسب الباحث رشيد حوراني، فهي المدينة التي قامت على أنقاض بيت رحوب، الإمارة الآرامية القوية المزدهرة بسبب خصوبة أرضها وموقعها الاستراتيجي، التي سيطر عليها الآشوريون مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وأقاموا قربها قلعةً يحيط بها خندق.

إلا أن المدينة تهدمت جراء غزوات الإسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد، وبقيت كذلك حتى عيّنَ الخليفة العباسي المأمون مالك بن طوق العتابي التغلبي والياً على الجزيرة الفراتية، فأعجبه موقعها على الطريق الواصل بين العراق والشام، المشرف على بادية الشام وبادية السماوة.

وكذلك على بادية الجزيرة الفراتية، حيث كانت منازل بني تغلب آن ذاك، وقام بإعادة إعمار المدينة وترميم وتدعيم قلعتها، وعَرَفت منذ عهده ازدهاراً كبيراً، وكتبَ الشعراء فيه وفيها القصائد، ومنهم أبو تمام وكلثوم بن عمر التغلبي.

إلا أن عهد الازدهار هذا، انتهى بحروب ومعارك متعددة، وانتقلت السيطرة عليها بين عدة إمارات وسلطنات في عهود تصدع الخلافة العباسية، فحكمها تباعاً الحمدانيون والقرامطة والفاطميون والزنكيون، والأيوبيون، والسلاجقة، والمماليك.

الحضور العثماني

الميادين، خضعت كسائر بلاد الشام للسلطنة العثمانية، وفي كل تلك المراحل كانت السهول الخصبة المحيطة بها محطاً للجيوش ومعسكرات للمقاتلين، وفي كثير منها كان السكان يعتصمون في القلعة القديمة المجاورة طلباً للأمن.

منذ أن سيطر العثمانيون على وادي الفرات، أدركوا أهمية موقع الرحبة فعينوا وفق الباحث، حاميات عسكرية بمراسيم سلطانية، واعتصم سكانها في القلعة عقوداً.

لكنهم بدأوا منذ منتصف القرن التاسع عشر بالنزول تدريجياً بسبب استتباب الأمن، ولأنها ضاقت عليهم وأصبح صعبا تأمين مياه كافية للسكان فيها.

كما أحدث العثمانيون سنجق دير الزور عام 1868 وأُتبعت الرحبة وقلعتها لقضاء العشارة التابع له، وكانت العشارة وقتها أكبر من الرحبة، وسكانها أكثر عدداً ويسكنون في بيوت خلافاً لأبناء الرحبة الذين يقيم معظمهم في قلعتها.

تنظيم إداري

شجّعَ التنظيم العثماني الإداري المزيد من سكان الرحبة على مغادرة القلعة، وبناء المساكن في موقع المدينة القديم، فاستخدموا حجارة الأبنية القديمة المتداعية وحجارة السور حتى ضاعت معالم المدينة القديمة تقريباً.

كما أنهم استخدموا بحسب تقرير مفصل لموقع «الجمهورية» جزءاً من حجارة القلعة نفسها، وذلك لصعوبة الحصول على أحجار مناسبة للبناء في تلك المنطقة، في حين أطلق العرب على موقع الرحبة القديمة شمال القلعة اسم الموانين، بسبب المآذن الشاهقة الباقية من عصر عمرانها وازدهارها.

ثم انقلبت الواو ياءً، وحملت هذا الاسم عندما أُعيد إعمارها وسكنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولاحقاً دُونت في سجلات الدولة السورية الناشئة باسم الميادين لصعوبة لفظ الذال، إلا أن الديريين كانوا لا يزالون ينطقون اسمها بالذال.

وكبرت الميادين واتسعت، وقصدها أبناء عشائر أخرى من سائر حواضر الفرات في العراق والشام، وسكنوا فيها إلى جانب أبنائها المؤسسين النازلين من القلعة، والمعروفين حتى اليوم باسم الكلاعيين باللهجة المحلية، أي القلعيين، النازلين من القلعة.

كسر حاجز الخوف

كسرت الميادين، جدار الخوف والصمت وفق روايات من أبناء المدينة في يوم الخميس الموافق للرابع والعشرين من آذار/مارس عام 2011 وقاموا بمظاهرة في سوق المدينة المقبي القديم، وذلك لأسباب عديدة أهمها التهميش الاجتماعي والاقتصادي.

في حين لعب النظام السوري على الحالة العشائرية وتغذيتها لاستمرار حكمه، والابتعاد عن المواطنة، حيث يقرب منه العشائر الكبيرة، وبالتالي ينعدم أي دور للصغيرة منها.

كما أن البدء باستثمار حقل العمر النفطي أواسط الثمانينيات في القرن الماضي الذي يقع على بعد نحو 15 كم شمال شرق المدينة، عمل على تلويث البيئة ولم يكن له أي عائد اقتصادي على المدينة وأبناءها.

قوى عسكرية

رئيس تحرير صحيفة «الشرق نيوز» فراس علاوي، قال لـ «القدس العربي»: «مدينة الميادين شاركت في الثورة السورية منذ بدايتها، ومع تراكم السنوات، تناوبت عدة جهات عسكرية محلية وإقليمية وكذلك دولية في السيطرة عليها.

ففي الوقت الراهن، تخضع المدينة لسيطرة قوات النظام السوري والميليشيات الإيرانية، كما تتواجد فيها قوات وخبراء من الجيش الروسي. قبل ذلك وقعت الميادين تحت سيطرة تنظيم الدولة داعش، بعد أن كانت تحت نفوذ تنظيم جبهة النصرة، في حين أن الجيش السوري الحر، هو أول الجهات التي حررت المدينة من قبضة جيش الأسد بعد معركة شهيرة خاضها الحر في الشهر الأخير من عام 2012».

المدينة وفق علاوي شاركت بقوة في أحداث الثورة السورية، سواء على الصعيد السلمي أو عسكريا، وقبل الثورة، كانت الميادين مشهورة في محافظة دير الزور بقوتها الاقتصادية والتجارية، بالإضافة لثراء أهلها.

امتيازات لوجستية

تنبع أهميتها العسكرية من توسطها للطريق بين مدينة دير الزور ومدينة البوكمال، حيث يعتبر موقعها، وفق ما قاله الباحث رشيد حوراني لـ «القدس العربي» من أسباب تنازع السيطرة عليها طويلاً. كما أن جسر الميادين الموجود فيها، والذي يصل ضفتي نهر الفرات من الميادين إلى بلدة ذيبان المقابلة يعطي امتيازات لوجستية وعسكرية مهمة.

عنف الأسد وطمع إيراني

يتحمل النظام السوري مسؤولية الدمار الذي حل بالمدينة في الدرجة الأولى، فهو من واجه المظاهرات السلمية بالعنف المفرط، ويشاركه المسؤولية إيران وميليشياتها التي لا تزال تحاول تغيير طابع المدينة وهويتها من خلال نشرها للتشيع، وسيطرتها عليها.

حيث فتحت طهران، مكتبا لنشر التشيع فيها، كما فتحت معهد «النور الساطع» في مدينة الميادين لدعوة الناس للتشيّع، مقابل المال.

وتعمل على إرسال أبناء مدينة دير الزور ومنهم أبناء الميادين لاتباع دورات عسكرية ودينية وتعليمهم اللغة الفارسية.

كما افتتحت المركز الثقافي الإيراني، الواقع بالقرب من جامع الفتح مدينة الميادين، والذي تأسس منتصف العام 2018 بإشراف من الحرس الثوري للترويج لمشروع إيران في المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية لطريق (طهران– بغداد– بيروت– دمشق). كما أنشأت ضمن ما يمكن تسميته استراتيجية المزارات «مزار عين علي» في المدينة ونشرت حوله مقرات ميليشياتها.

إهمال وقصف وتنقيب

قلعة الرحبة لم تحظ خلال سنوات حكم النظام السوري عليها بأي اهتمام، على الرغم من أهميتها التاريخية العريقة، واقتصرت اهتمامات دمشق ببعض البعثات الأجنبية التي أخذت تنقب في القلعة ومحيطها ما بين فينة وأخرى.

وفي عهد سيطرة الجيش السوري الحر على المدينة، واشتداد المعارك مع قوات النظام السوري، قامت قوات الأخير، والتي كانت تتخذ من مستودعات الكهرباء القريبة من قلعة الرحبة مسافة 4 كم مقار عسكرية لها، باستهداف القلعة بقذائف المدفعية والهاون، ما ألحق بأسوارها أضراراً كبيرة بداية منذ شهر الشهر السابع من عام 2012 وحتى انسحاب المدفعية في آواخر ذات العام.

وإبان احتلال المدينة من قبل تنظيم «الدولة» بحسب ما أورده الإعلامي السوري محمد حمادي في تصريحات لـ«القدس العربي» بدأ بعمليات التنقيب والحفر داخل وبمحيط القلعة بحثا عن الآثار، كون التنظيم كان ينقب بعدد من المناطق شرقي دير الزور بحثاً عن الآثار كمصدر تمويل.

قبيل خروج التنظيم من المدينة أثناء الحملة العسكرية الأخيرة للنظام السوري في نهاية عام 2017 بعدة أشهر، كان التنظيم يقوم بحفر أنفاق تحت مدينة الميادين وصولاً لقلعة الرحبة.

ولكن تقدم قوات النظام السوري مدعومة بالطيران الروسي والميليشيات الإيرانية أوقفت عمليات الحفر، حيث كانت غالبية من يمر من الأهالي بالقرب من القلعة يسمعون أصوات آلات الحفر داخل القلعة.

في الوقت الراهن، يعاني الأهالي المتواجدين داخل المدينة ومحيطها من أوضاع إنسانية صعبة للغاية، جراء تردي الأوضاع الاقتصادية في عموم سوريا، في حين تقوم الميليشيات الإيرانية بالتنقيب داخل القلعة، كما تستخدمها كمستودعات للأسلحة والصواريخ.

إحصائيات مؤلمة

ففي إحصائيات حصلت عليها «القدس العربي» لعدد الضحايا الذين قدمتهم مدينة الميادين خلال عقد من عمر الثورة السورية، أظهرت الأرقام، توثيق مقتل 370 مدنيا من أبناء المدينة، في حين أن عدد المعتقلين في سجون النظام السوري بلغ بحسب ما أورده محمد الحمادي لـ القدس العربي» بما يقارب 130 معتقلا.

فيما بلغت أعداد المهجرين خلال الحملة العسكرية الأخيرة للنظام السوري نهاية عام 2017 ما يقارب 70 ألف نسمة توزعوا ما بين مناطق سيطرة قوات سورية الديمقراطية «قسد» شمال وشرق سوريا، وبين مناطق سيطرة المعارضة «الجيش الوطني السوري» شمال وغرب سوريا وفي دول الشتات من تركيا إلى أوروبا.

عبث إيراني

في أواخر العام الماضي، نشر موقع تلفزيون سوريا، تقريرا تحدث فيه نقلا عن مصادر خاصة، عن قيام الميليشيات الإيرانية التي تنشط حاليا في مدينة الميادين ومحيطها بتغيير أسماء شوارع المدينة، إذ قامت تلك الميليشيات بتغيير اسم شارع أنس بن مالك إلى شارع الإمام الخميني.

كما غيرت اسم شارع الجيش إلى شارع الإمام العباس نسبة إلى ميليشيا لواء العباس التابع لها والموجود في المدينة، في حين عمد الحرس الثوري الإيراني بأوامر من أحد قادته حج عسكر بتغيير اسم شارع أبو غروب إلى شارع الشهيد قاسم سليماني، وشارع ساقية الري إلى شارع فاطميون.

كما نشرت الميليشيات الإيرانية وفق ذات المصدر، أعلامها السوداء والحمراء، حاملة اسم «يا حسين» «يا زينب» «يا فاطمة» إضافة إلى صور قتلى الميليشيات الإيرانية كقاسم سليماني على مآذن المساجد ومفترق الطرق الرئيسية والأماكن الأساسية.

نخب ومفكرون

بُنيت أول مدرسة للتعليم الابتدائي في الميادين عام 1905 ووصل عدد المدارس فيها أواخر القرن العشرين إلى خمس مدارس ابتدائية، وثانويتين واحدة للذكور وأخرى للإناث، ومدرسة اعدادية واحدة للذكور وثانوية صناعية.

في حين أن أقدم شهادة جامعية فيها كانت في الحقوق حصل عليها أحمد مصطفى الوكاع عام 1946 ميلادي، وفق الوثائقيات المكتوبة لموقع التاريخ السوري المعاصر، فيما تعد السيدة لبيبة حسني الدخيل من أوائل الفتيات اللواتي دخلن حقل التعليم في محافظة دير الزور.

كما برز من أبناء مدينة الميادين عدد من رجال الفكر، منهم: محمود مشوح، الشاعر عبد الجبار الرحبي، محمود الرحبي، صبحي النايف، جمعة مطر، عبود السلمان، عفيف ساير جمال حمادي، حسين دحيان، أما الكتاب مثل: وليد مشوح، عبد الغني الرحبي، هيثم حقي ومأمون ضويحي.

زارها الرئيس القوتلي

يعتبر الرئيس شكري القوتلي، أول رئيس سوري يزور مدن الجزيرة والفرات بعد استقلال سوريا، حيث توجه توجه الرئيس في صباح يوم السبت الثالث من تشرين الأول/اكتوبر عام 1945 إلى قضاء الميادين.

واشترك الأهالي جميعا في استقباله استقبالا حافلاً وألقيت الخطب، فيما طلب الرئيس القوتلي من أبناء المدينة، أن يكونوا متضامنين تحت لواء الوطن والعلم السوري. بحسب معلومات نشرها موقع «التاريخ السوري المعاصر» عن الزيارة.

رياضة

كأس أمم أوروبا

من قاع الحضيض إلى العرش... كيف فعلها مانشيني مع إيطاليا؟

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

المنتخب الايطالي توج بطلاً

لا جديد يُذكر ولا قديم يعاد، استعصت كرة القدم على وطنها ومهدها الأول، وبنفس الكابوس المعتاد منذ كأس العالم 1990، بهزيمة بطعم العلقم أمام المنتخب الإيطالي، في المباراة النهائية لكأس الأمم الأوروبية 2020، التي جمعتهما في أعرق ملاعب الدنيا «ويمبلي» في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، وانتهى وقتها الأصلي والإضافي بالتعادل الإيجابي بهدف لمثله، قبل أن تتخلى ركلات الترجيح، كالعادة، عن الإنكليز، لتبقى الأميرة الأوروبية في قبضة أبناء الجنوب للنسخة الخامسة توالياً بعد معجزة اليونان وسيطرة الجيران الأيبيريين إسبانيا والبرتغال في الفترة بين عامي 2008 و2016، من دون احتساب الجزء الجنوبي لفرنسا بطلة النسخة الأولى في القرن الجديد.

الوسيم المظلوم

احتاج النجم اللامع في جنة كرة القدم كلاعب في أواخر الثمانينات وبداية حقبة التسعينات، سنوات وسنوات، لتنصفه المركولة المجنونة، كواحد من «عظماء إيطاليا» في كل العصور، كما وصفته شبكة «فور فور تو» بعد التتويج باليورو، كيف لا والحديث عن ضحية جبابرة الكرة الحديثة في وطنه، بدأت بالاكتفاء بمشاهدة روبرتو باجيو وباقي الرفقاء من على مقاعد البدلاء في مونديال البيتزا، من دون أن يحصل على دقيقة لعب واحدة، رغم أنه كان واحدا من ألمع وأشهر نجوم الدوري الايطالي الأقوى عالميا آنذاك، والدليل على ذلك مساهمته الكبيرة في فوز سامبدوريا بأول وآخر اسكوديتو في تاريخه، ثم قيادته لنهائي دوري أبطال أوروبا بعد عامين من صدمة كأس العالم 1990، والمفارقة أنه كان قد خسر اللقاء الأهم في حياته بقذيفة مدرب برشلونة الحالي رونالد كومان في ملعب «ويمبلي»، وهو نفس الملعب الذي كان شاهدا على إقالته من تدريب مانشستر سيتي عام 2013 بعد الهزيمة في نهائي كأس الاتحاد الإنكليزي أمام ويغان بهدف بن واتسون الشهير.

بوجه عام، انتهت مسيرته الاحترافية من دون أن يحصل على رتبة «الأساطير الخالدة» في السيريا آ، بصورة لا تعكس أناقته وإبداعه بالقدم اليسرى، ولا حتى التوقعات بشأن مستقبله. والأصعب من ذلك، طاردته الشكوك في جودته وجيناته كمدرب، إما بالتقليل من إنجازاته مع أنديته السابقة، أو باختراع حجج من الخيال لتهميش تأثيره، على غرار الطفرة التي أحدثها مع الإنتر، بقيادته للفوز بأول كالتشيو بعد غياب دام 17 عاما، فيما اعتبره المنتقدين والمشككين، نتيجة لفضيحة القرن «الكالتشيوبولي» بابعاد منافسيه الرئيسيين ميلان ويوفنتوس. أما على أرض الواقع، فكان حجر أساس المشروع الذي بلغ ذروته مع جوزيه مورينيو في عام الثلاثية التاريخية «الدوري الإيطالي والكوبا المحلية ودوري الأبطال»، وبالمثل بُخس جهده في بلاد الضباب، بزعم أنه استفاد من تمويل الإدارة الإماراتية السخي لمشروع مانشستر سيتي، من دون النظر إلى بصمته، التي تجلت في تغير عقلية النادي بصورة فاقت حتى أحلام ملاك النادي، بوضعه على قدم المساواة مع العمالقة التاريخيين والمتمرسين على احتكار الألقاب الإنكليزية، وفعلها في زمن قياسي، بتحويل النجوم الباحثة عن المال، إلى كيان أشبه بالحلم لنجوم الصف الأول، أو بالأحرى شخصية البطل التي تسلمها مانويل بيلغريني وبيب غواردیولا جاهزة على طبق من فضة، بحصول الفريق على أول لقب منذ 35 عاما وأول بريميرليغ منذ 44 عاما والعودة إلى البطولات الأوروبية طوال نفس الفترة، بالإضافة إلى إرث كرة القدم الجميلة والجرأة على الكبار، منذ سداسية مانشستر يونايتد في قلب «أولد ترافورد» قبل اعتزال شيخ المدربين سير أليكس فيرغسون.

من الحضيض إلى العرش

تسلم مانشيني ورفيق الدرب المتعافي من مرض خبيث جانلوكا فيالي، منتخباً مفككاً بعد قرابة العام من كارثة الفشل في التأهل لكأس العالم 2018، وكان ذلك في مايو/آيار لنفس العام، حيث كانت المعنويات ومستوى التوقعات تحت خط الصفر بسنين ضوئية، للانطباع المأساوي الذي تركه المدرب السابق جان بييرو فينتورا عن الأزوري، كمنتخب وصل إلى قاع الحضيض الكروي، وبلا ملامح واضحة بعد اعتزال جيجي بوفون وجُل المحاربين القدامى. وأسوأ من هذا وذاك، كان الاعتقاد السائد قبل وصول أيقونة سامبدوريا، أن إيطاليا تخلفت عن ركب الدول التي تملك جيوشا من المواهب المستقبلية، وكما لم تنصفه «صاحبة الجلالة» والرأي العالمي بعد ظهور بصمته على منتخب بلاده، بالتحويل الكبير في أسلوب اللعب ونمط اللاعبين تحت قيادته، بدأ اليورو بصفته سابع أو ثامن المرشحين للفوز باللقب، لصعوبة المقارنة من حيث خط الأسماء والمواهب بين فرنسا أو البرتغال أو بلجيكا وبين أغلب القوام الإيطالي، بخلاف التفاوت الكبير في النجومية والشهرة بين أساطير أسياد الدفاع الذين قادوا الوطن إلى المجد سواء في كأس العالم أو اليورو. صحيح إنسينيي وكيزيا رائعان، لكن بالمقارنة بأبناء جلدتهم المتوجين بالألقاب في الماضي بداية من جيجي ريفا وساندرو مازولا عام 1968، وباولو روسي وبيرنو كونتي في 1982، وفرانشيكو توتي واليساندرو ديل بييرو ولوكا تواني في 2006، كان من الصعب توقع حدوث هذا «التسونامي»، الذي أسفر في النهاية عن أفضل حصيلة تهديفية في تاريخ إيطاليا في بطولة مجمعة، برصيد 13 هدفا.

وهذا يُحسب في المقام الأول للرجل الذي انتشل وطنه من براثن الضياع، وفي غضون ثلاث سنوات صنع المجد بالجلوس على عرش القارة، بتطويع الأدوات المتاحة، بطريقة جعلت جُل اللاعبين يظهرون بصورة ومستوى أفضل من مستواهم من أنديتهم، متسلحا بخبرته العريضة في استخدام مزيج الخبرة والشباب، ليصنع هذه الكيمياء والوحدة والتماسك بين اللاعبين، التي تجلت في تطبيق ما يُعرف «السهل الممتنع» داخل المستطيل الأخضر، كأننا نشاهد أحد فرق الدوريات الكبرى، وليس منتخبا تم اختياره قبل البطولة بأقل من أسبوعين، والمثير للإعجاب بحق، أن مانشيني ورجاله، أظهروا وأثبتوا أنهم فريق مرن بطريقة لا تصدق، كما قدموا درسا في فنون الدفاع للأجيال القادمة أمام إسبانيا في معركة نصف النهائي، التي خرج منها المنتخب الإيطالي بنسبة استحواذ 30%. وفي المباراة التالية النهائية، حاصروا الإنكليز في أغلب الفترات، سواء في الوقت الأصلي أو في الأشواط الإضافية، والدليل على ذلك وصول نسبة الاستحواذ إلى 65%، تأكيدا أن إيطاليا مانشيني يصعب الدفاع أمامها ويصعب كذلك الاحتفاظ بالكرة أمامها.

وجزء كبير من هذا يرجع إلى أساتذة الدفاع كيليني وبونوتشي، اللذين قدما عصارة خبرتهما وأفضل نسخهم على الإطلاق، ما انعكس بشكل إيجابي على حامي العرين جيجي دونارورما وسبينازولا قبل إصابته وباقي المدافعين، فيما كان ماركو فيراتي وجورجينيو في أفضل حالهما في الوسط، ونفس الأمر ينطبق على مفاجأة اليورو فريديريكو كيزيا وشريكه رقم 9 الوهمي إنسينيي وباقي التوليفة السحرية التي جمعها المانشيو من جنة الكرة، لتستعيد إيطاليا سمعتها، التي تضررت بعد الغياب عن المونديال الأخير، بفوز مستحق باليورو الثاني تاريخيا، وسادس الألقاب المرموقة بعد الرباعية المونديالية. ويمكن القول، أن التفوق التكتيكي والأفضلية الواضحة على الأسود الثلاثة، قبل اللجوء إلى ركلات الترجيح، التي ابتسمت لممثل الجنوب، جاء تتويجا للعمل المميز الذي يقوم به صاحب البدلة الرمادية الشيك منذ وصوله إلى سُدّة المنتخب، وتدعمه لغة الأرقام، بتسجيل أطول سلسلة من دون هزيمة لمنتخبه منذ الوقوف عند حاجز الـ30 مباراة في الفترة بين عامي 1935 و1939، بواقع 34 مباراة على التوالي لم يعرف خلالها طعم الخسارة، بل خرج منها بـ87 هدفا، في المقابل اهتزت الشباك 11 مرة فقط، وهذا يلخص نتائج ثورة مانشيني مع إيطاليا، وأسباب تحول المنتخب من فريق تخطى مرحلة التحطيم النفسي والذهني، إلى بطل القارة عن جدارة واستحقاق، بشهادة المنافس قبل المؤيد.

ماذا بعد؟

بالنسبة للمنتخب الإيطالي، الذي فرض نفسه على الموضوع، فالتحدي المقبل، سيكون محاكاة نفس الصورة المرعبة، عندما يحين موعد السفر إلى العاصمة القطرية الدوحة في نوفمبر/ تشرين الثاني 2022، لخوض أول نهائي كأس العالم، منذ الخروج المبكر من نهائيات مونديال البرازيل 2014، وسبقها خروج غير لائق آخر من مراحل دور المجموعات في كأس العالم في جنوب أفريقيا 2010، ما يعني أن أسياد الدفاع، سيكونون بحاجة لإعادة تصحيح الصورة السلبية عن بلادهم، منذ الوصول إلى هرم اللعبة في وطن الغريم الألماني في عام 2010، وبطبيعة الحال، إذا واصل التطور وهذا النسق التصاعدي، الذي جعله على بعد مباراة واحدة، لمعادلة الرقم القياسي المسجل باسم البرازيل وإسبانيا، كأكثر منتخبين في العالم تجنبا للهزائم الدولية، بإجمالي 35 مباراة توالياً، فعلى أقل تقدير، لن يكرر ما حدث في آخر مونديالين. أما الطرف الخاسر في النهائي، المنتخب الإنكليزي، سيحتاج أولا إلى تجاوز صدمة خسارة اليورو بلعنة ركلات الترجيح، خاصة الثلاثي الشاب بوكايو ساكا وماركوس راشفورد وجادون سانشو، الذين جانبهم التوفيق في تنفيذ ركلات الترجيح أمام الاخطبوط دوناروما، وهذه ستكون مهمة المدرب غاريث ساوثغيت الأولى في فترة التصفيات المؤهلة لكأس العالم، ليواصل استكمال المشروع الذي وضع حجر أساسه بعد انتكاسة «يورو 2016»، وبدأ يجني ثماره في روسيا، بالوصول إلى المربع الذهبي لكأس العالم للمرة الأولى منذ نسخة إيطاليا 1990. ثم أثبت جديته بتحقيق ما عجز عنه الأجداد والآباء، بالحصول على تأشيرة اللعب في نهائي كأس الأمم الأوروبية، بفريق أغلب قوامه من الشباب. وبعد عام ونصف العام من الآن، تحديدا مع إطلاق صافرة بداية أول مونديال في الشرق الأوسط، سيكون معدل أعمارهم جميعا 25 عاما، وبالتبعية سيكون الكثير منهم أكثر خبرة ونضجا في التعامل مع المباريات الفاصلة، وقبلهم ساوثغيت نفسه، الذي يحتاج فقط الموازنة بين عقله البشري وساعاته السويسرية الفائقة، التي يعتمد عليها في استعراض التشكيلات والمعلومات والأهداف وغيرها من الإحصائيات الدقيقة، على الأقل ليتفادى خديعة اختيارات ركلات الترجيح، التي لم تنبهه إلى الفارق الكبير بين نجاح ساكا في تنفيذ ركلات الجزاء في التدريبات ومع آرسنال في مباريات من وراء أبواب مغلقة، وبين تنفيذها أمام أكثر من 60 ألف متفرج في الاستاد المكتظ بالجماهير، وملايين خلفهم في المنازل يعيشون حلم معانقة أول لقب يورو في التاريخ، إلى جانب مراجعة ما فعله مانشيني، باستخدام الموارد البشرية كما ينبغي، بعد التجاهل الغريب لأبرز الأسماء التي سطعت طوال الموسم، وعلى رأسهم مبدع أستون فيلا جاك غريليش، وهداف مانشستر يونايتد ماركوس راشفورد وجناح مانشستر سيتي فل فودن وصانع ألعاب بوروسيا دورتموند وهدف عمالقة البريميرليغ جادون سانشو، وربما لو أحسن المدرب الإنكليزي استغلال المواهب والطاقات المتفجرة في القائمة، لظهر بصورة أكثر حدة وشراسة مما كان عليها في اليورو، خاصة بعد التخلص من روتين مباريات دور المجموعات، والأهم كان سيجد حلولا واقعية لمجاراة الاكتساح الإيطالي، بعد التفريط الغريب في هدية السماء إلى الأرض، بالحصول على هدف الأسبقية في أول ثلاث دقائق من موقعة «ويمبلي»، ثم بترك الكرة لمانشيني ولفريقه ليمرحان بها، ويفعلوا كل شيء في كرة القدم، باستثناء ومضات إنكليزية على فترات متباعدة. على أي حال، الأمر سيبقى متوقفا على ساوثغيت نفسه، ليتعلم من الأخطاء التي تسببت في ابتعاده عن الألقاب، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من ملامسة منصات التتويج في آخر مشاركتين قارتين، أو يكرر نفس الأخطاء، وبالتبعية ستدخل إنكلترا العقد السادس بلا بطولة منذ حمل كأس العالم في الزمن الجميل عام 1966، هذا ما ستجيب عنه الأيام والمباريات المقبلة. مبروك لعشاق إيطاليا وما أكثرهم، وحظ أوفر للحصان الجامح الإنكليزي الذي توقف أمام البطل.

المدرب مانشيني (يسار) مع القائد كيليني

مدرب انكلترا ساوثغيت يواسي لاعبيه

الإرادة الفلسطينية انتصرت

لندن – «القدس العربي»:
جواد صيدم

هكذا وبتظافر الجهود سقطت محاولات الفريق العنصري الإسرائيلي بيتار القدس استجلاب اهتمام نادي برشلونة، واستغلال عوز النادي الكتالوني للمال ليستضيفه النادي الصهيوني مقابل حفنة من الدولارات.

ولعل هذا الانتصار لم يأتِ وليد الاحتجاج الفلسطيني فحسب، وإنما نتاج حراك متكامل لمناصري فلسطين الكثر ممن رفضوا إعطاء النادي صك الغفران بعدما أوغل في عنصريته.

بيتار القدس الجاثم على أرض فلسطين المحتلة، شكل لبرشلونة محطة مغرية للمنازلة، ليس فقط لكون مدرب برشلونة رونالد كومان هو شقيق إرويـن مـدرب الفريق العنصري، ولا لكون المباراة غُلفت بشعارات وهمية تسويقية كالسلام والإنسانية، بل أيضاً لما سيدفع مقابلها من مال تروجيي غير مسبوق. هذا المال جعل برشلونة يتخلى عن اللعب مع فياريال الفائز بالدوري الأوروبي في الموعد ذاته على أرض القدس المحتلة، مقابل المباراة المزعمة مع الفريق العنصري الأول في العالم.

بيتار القدس استقدم ذات يوم لاعبين من البوسنة والشيشان، فلم يصمدا أمام حجم التحريض وهتافات الكراهية والحقد، وما تعرضاه من مشجعي النادي، فقررا الرحيل إلى غير رجعة. وهو الفريق ذاته الذي فكّر أحد المستثمرين العرب أمام نشوة التطبيع، لا أن يستثمر في فريق هلال القدس مثلاً، بل في بيتار القدس العنصري، ليلفظه جمهور النادي، ويشتمونه ويستهزئون بماله، إلى أن وصلت وقاحة هذا الجمهور للتعرض للنبي الكريم محمد عليه أحسن الصلاة والتسليم، ويتنمرون أكثر فأكثر على العرب وثقافتهم.

وعليه تسابق اتحاد الكرة الفلسطيني ومعه جيش من المحبين لبرشلونة والحريصين عليه للدفع باتجاه التضحية بهذه المباراة، ليس فقط مراعاة لموقف مشجعي النادي الكتالوني في معظم دول العالم الحر، والالتزام بقرارات الفيفا، وقرارات الشرعية الدولية التي اعتبرت القدس محتلة، بل أيضاً انتصار لمئات الأطفال والنساء الذين سحقتهم قذائف إسرائيل وصواريخها في حروبها واجتياحاتها في غزة والضفة.

وبرشلونة يتفادى مرتع العنصرية!

لكن توجه برشلونة للأراضي المحتلة ليست خطوة مستغربة، فالنادي الكتالوني يحمل لقب الأعلى مديونية بين أندية العالم، وهو بحاجة ماسّة لضخ المال بأي وسيلة، إذ ما زالت إدارة النادي الجديدة تحاول معالجة كوارث الحالة الاقتصادية المستعصية التي خلفتها الإدارة السابقة وجائحة كورونا. فبعدما خفضت راتب نجمها الأول ميسي لأكثر من النصف في عقده الجديد، ورواتب معظم النجوم وبيع عدد من اللاعبين، توجه النادي إلى إقامة موسمه التحضيري في الدول التي توفر العائد المادي الأكبر. فكان الكيان الصهيوني من السبّاقين في دفع المال الأوفر لتنظيم العديد من المشاريع للنادي الكتالوني في الأراضي المحتلة، بُغية استخدام كرة القدم واسم النادي لتبيض صورته السوداء أمام العالم.

كانت البداية بإعلان برشلونة عن إقامة معرض تعريفي عن النادي في مستوطنة حولون جنوب تل أبيب في منتصف الشهر الجاري. تبع ذلك الإعلان عن مباراة «كلاسيكو الأساطير» بين أساطير برشلونة وريال مدريد في ملعب «بلومفيلد» في تل أبيب بتاريخ 20 الجاري. وكانت النهاية في نية إقامة مباراة ودية مع بيتار في القدس والتي ألغيت تحت الضغط الجماهيري الفلسطيني قبل الإعلان الرسمي عنها. ورغم إلغاء المباراة بشكلٍ رسمي، إلا أن الأخبار تتحدث عن استمرار المفاوضات بين رئيس النادي الكتالوني خوان لابورتا مع المنسقين من الاحتلال للخروج بالحل الأمثل للطرفين. إذ يمكن إقامة المباراة في تل أبيب مع نادٍ ليس اسرائيلياً على سبيل المثال. لكن مهما كانت صيغة الاتفاق أو الحل الجديد، فالأعذار ستبقى مرفوضةً رفضاً قاطعاً. فالجائحة طغت بعواقبها على الجميع، والديونية العالية تراقق جميع الأندية العالمية. فالتعاطي مع الاحتلال وشعارك الأول هو أكثر من مجرد نادٍ هو خيانة لذاتك ولهويتك التي تراقق مشجعيك. إذ لطالما عرفنا أن مدرسة وأكاديمية برشلونة «لاماسيا» والتي أنجبت ثلةً من أعظم لاعبي التاريخ كميسي وتشافي وإنييستا، تعلم الأخلاق والاحترام والإنسانية قبل لمس الكرة، وهو ما رأيناه طيلة مسيرة هؤلاء الأساطير. فمن يغلف نفسه بهوية الإنسانية ويعلمها في مناهجه يجب ألّا يخالف مبادئه ويتعامل مع احتلال غاشم يقتل ويأسر ويصيب أطفالاً أبرياء يوماً تلو الآخر. لكن العالم اليوم مرٌ بطبعه، فالمال يحرق أكبر مبدأ وأكبر هوية. والمؤسف أن الجهود التي بذلت لم تتمكن من إقناع برشلونة بإلغاء المعرض وكلاسيكو الأساطير والمباراة الودية بشكلٍ نهائي، إذ يبدو المردود المادي عالياً جداً، لدرجة أن إدارة برشلونة نسيت مبادئها والملايين من جماهيرها التي تعارض هذا القرار.

لكن لا بد من الثناء على الجهود الجبارة التي بذلت لقتل فكرة إقامة برشلونة مباراة ودية مع النادي الذي يفخر بعنصريته الأعلى بالعالم، آملين بضخ كامل الجهود لقطع علاقة النادي بالكيان المحتل قطعاً تاماً. فإن أقيمت المباراة على أراضي العاصمة الفلسطينية المحتلة ومع هذا النادي بالذات، ستشكل صاعقة غير مسبوقة على الساحة الرياضية العالمية، ولكانت حركةً في قمة السذاجة من النادي الكتالوني، إذ كان سيحظى بالمال الذي يريده لفترة وجيزة، لكنه سيخرج من قلوب الملايين من الجماهير التي رافقت هوية وشعارات النادي الوهمية والكاذبة.

هل ينتحر برشلونة ماديا بالابقاء على ميسي!

اتفق برشلونة مع نجمه ليونيل ميسي على البقاء معه لخمس سنوات، في ظل معاناة غير مسبوقة لحل أزماته المادية، وهو يدرك انه لو بدأ منافسات الدوري غداً لن يكون بامكانه تسجيل جوهرته الأرجنتينية لانه سيتعدى حده الأقصى في المصاريف على الرواتب وبالتالي سيكسر قانون العدل المادي المشدد الذي وضعه الاتحاد الاسباني لمنع الاندية من الافلاس.

ورغم موافقة ميسي على القبول بأقل من نصف ما كان يتقاضاه في عقده السابق المقدر بـ72 مليون يورو صافياً سنوياً، الا ان تأثيرها سيكون محدودا في تقليص حجم الديون المهولة للنادي والمقدرة بمليار و200 مليون يورو، ولهذا يصارع الرئيس خوان لابورتا لتقليص ما أمكن من جبل الديون، مع اعادة جدولتها وهيكلتها، كي يتمكن من تسجيل ميسي «الحر» بعد انتهاء عقده في نهاية الشهر الماضي، بعدما تلقى تحذيرات جدية وصارمة من رئيس رابطة الليغا خافير تيباس بان على برشلونة تقليص المصاريف وحجم الرواتب بصورة كبيرة، ليس فقط كي يتمكن من تسجيل ميسي كلاعب، بل أيضا كي يستطيع تسجيل الصفقات الجديدة أغويرو وديبالي وغارسيا، واذا أخفق برشلونة في توفير وتقليص 100 مليون يورو، فلن يشارك هؤلاء في الموسم الجديد، بل سيتعين أيضاً اطلاق سراح عدد من النجوم الحاليين من اصحاب الرواتب العالية مثل غريزمان.

ميسي الذي قال في يوم من الأيام انه لا يمانع باللعب مجاناً لبرشلونة، لديه أيضاً ارتباطاته وأعماله وشركاته الخاصة، التي تحتاج إلى مداخيل مرتبطة بما يحصل عليه من البارسا، فالتصريحات العاطفية تصبح عادة كلمات عابرة غير قابلة للتطبيق العملي، فبعد 20 عاماً في الفريق الذي حقق معه 34 بطولة، فانه يبقى لاعباً حراً إلى اليوم، حتى لو مضى على اتفاق التجديد، وإلى حين التسجيل الرسمي في رابطة الدوري.

ميسي يدرك انه يريد البقاء، وعائلته ايضا تريد البقاء، ورحيل الرئيس السابق بارتومبو وقدوم لابورتا سمح بكسر الجليد، خصوصاً مع الوعد بتشكيل فريق واعد قوي من حوله، بوجود فاتي وبيدري ودي يونغ. لكن كل ناد في اسبانيا أعطي السقف المسموح في الصرف خلال الموسم الجديد، ويجدد في مطلع العام، والحد الاقصى للانفاق يحسب بقيمة مداخيل النادي منقوصا منها المصاريف والانفاق والديون، فبرشلونة أعطي سقفاً بـ671 مليون يورو لمطلع موسم 2019–2020، وهو الاعلى بين فرق الليغا بفضل مداخيله التي لامست مليار يورو، لكن بحلول يناير الماضي، خفض السقف إلى 347 مليون يورو، بسبب تقليص المداخيل بفعل أزمة كورونا، وقبل بدء الموسم الجديد، يتردد ان هذا السقف قلص أكثر ليصل إلى 200 مليون يورو كحد أقصى. لتبرز معاناة برشلونة المادية، التي وصلت إلى حد كارثة مهددة للكيان، كون النادي دائماً انفق ودفع رواتب ضمن حدود سقفه الاعلى، ولم يترك أي هامش للتعافي، وبالتالي هو يعاني أكثر من نظرائه كريال مدريد، خصوصاً انه خسر 350 مليون يورو من مداخيل حضور الجماهير والسياح.

عقد ميسي الاخير فاق 500 مليون يورو باحتساب المكافآت والتجديد والراتب الاساسي، وهو رقم خيالي، لكن باحتساب الراتب الصافي البالغ 72 مليون يورو الموسم الماضي، فانه مثل 20% من مجموع السقف الاعلى وهو 347 مليوناً، وحتى لو قلص الراتب إلى النصف في العقد الجديد فانه سيمثل 18% من السقف الاعلى الجديد وهو 200 مليون يورو، هذا كله سيتركه النادي يبحث عن تقليص 100 مليون لتسجيله، وهذا قبل التفكير حتى في تسجيل أغويرو وديبالي الذي طلب منه تقليص راتبه 30% بعد 3 أسابيع من ضمه، ورابطة الدوري تشدد على هذا القانون، ونجحت في منع خيتافي من تسجيل لاعبه بيدرو ليون في 2014 لانه تخطى حده المسموح، وأمضى اللاعب 5 شهور بدون لعب.

لابورتا يعمل على حلول عدة، بينها استدانة 525 مليون يورو لاعادة جدولة بعض الديون ودفع مستحقات عاجلة، بينها أقساط ضم لاعبين سابقين، ككوتينيو من ليفربول، وأيضا لدفع رواتب متأخرة لبعض اللاعبين، ونجح في بيع فونتي وتوديبو والينيا وفيريو ليجمع نحو 35 مليوناً، وتخلص من راتب ترينكاو باعارته. ورغم ذلك فان برشلونة قلص 15 مليونا من مجموع الرواتب فقط، ومثلما قال تيباس فان كل 4 يورو يدخلها ويوفرها برشلونة بامكانه انفاق يورو واحد منها، وكمثال اذا كلفت العقود الجديدة مثل ميسي وأغويرو ما مجموعه 50 مليونا في الرواتب، فانه على برشلونة تقليص وتوفير 200 مليون يورو. ولهذا يلح لابورتا على رحيل غريزمان صاحب الراتب الاعلى حاليا، ومبادلته بساؤول، ويبحث عن «تطفيش» بيانيتش واوماتيتي وكوتينيو وديمبيلي (المصاب) وبريثويت، او سينتقل إلى الخطة التالية لبيع تيرشتيغن دي يونغ ولانغليه، واقناع الرموز بيكيه والبا وبوسكيتس بمزيد من التخفيض في رواتبهم، فقط ليصل إلى جزء من الحلول لكارثة ادارة بارتوميو.

هل ينتحر برشلونة باعادة ضمه ميسي؟ ربما لا، لكن في ظل الظروف الحالية، فانه عليه التضحية بالكثير من أجل الابقاء على الجوهرة التي تدخل ثلث مداخيل النادي من الرعاة والاعلانات والحضور الجماهيري، بل ميسي هو سبب ابقاء الليغا دورياً مرغوباً وذا قيمة في حقوق البث، بل خزينة الدولة تحتاج ماله الذي يدفعه على شكل ضرائب، والمساوية لمجموع الضرائب التي يدفعها 180 الف اسباني سنوياً.

لكن تيباس لن يتساهل على الاطلاق مع بقاء ميسي في الليغا، وهو يدرك ان الطليان اعتقدوا انهم بضم رونالدو سترتفع قيمة حقوق الكالشيو، لكن في الواقع خسروا 200 مليون يورو من حقوق البث العالمية، وانخفضت المداخيل المحلية 10%، ولهذا لن يغامر بالسماح للعاطمة ان تحكم بل للعقل الحكيم ان يقول كلمته.

@khaldounElcheik

منظمو أولمبياد طوكيو يواجهون معضلة الرسائل السياسية للرياضيين!

لندن – «القدس العربي»:

لسنوات استرشدت اللجنة الاولمبية الدولية بالقاعدة رقم 50 من ميثاقها، والتي تنصّ على أنه لا يُسمح «بأي نوع من التظاهرات أو البروباغندا السياسية أو الدينية أو العرقية» في المواقع أو المنشآت الأولمبية. ومع ذلك، تعرّض هذا المبدأ «للانتهاك» خلال اضطرابات عام 2020 وبات يَنظر إليه النقاد على أنه مفهومٌ عفا عليه الزمن من حقبة ماضية، حيث أظهر الرياضيون في جميع أنحاء العالم دعمهم لحركة «بلاك لايفز ماتر» (حياة السود مهمة).

وبعد مرور 53 عاما على الرسالة الاحتجاجية التي وجّهها الأمريكيان تومي سميث وجون كارلوس على منصة التتويج في أولمبياد مكسيكو، يستعد جيلٌ جديدٌ من الرياضيين الناشطين لتصدّر العناوين للأهداف ذاتها في ألعاب طوكيو. وواجه العداءان الأمريكيان عقوبة قصوى بسبب تحية «القبضة بالقفازات السوداء» في دورة العام 1968، وطُردا من الألعاب وعادا إلى الوطن حيث اتُّهما بالسلوك المخزي على نطاق واسع. لكن بعدما تغيّرت المواقف اتجاه سميث وكارلوس مع مرور الوقت، حيث يُحتفل الآن بالثنائي كبطلين منهاضَين من أجل الحقوق المدنية، لا تزال اللجنة الأولمبية الدولية تعارض أي نوع من الاحتجاج على منصات التتويج. يعني ذلك أن الرياضيين الأمريكيين العازمين على استخدام منصاتهم للفت الانتباه إلى الظلم العنصري الذي عاد إلى الواجهة بشكل لافت في أعقاب مقتل جورج فلويد العام الماضي، هم في مسار تصادمي مع القيّمين على الأولمبياد.

في الولايات المتحدة، أجبرت الاحتجاجات المناهضة للعنصرية اللجنة الأولمبية والبارالمبية الأمريكية على اتخاذ منعطف درامي. وفي 2019، وجّهت اللجنة توبيخا لرامية المطرقة غوين بيري والمبارز رايس إمبودين بسبب المظاهر الاحتجاجية على منصة التتويج خلال ألعاب القارة الأمريكية في العاصمة البيروفية ليما، محذّرة من أن عقوبات أكثر قساوة في انتظار الرياضيين الذين يقومون بذلك في الألعاب الأولمبية. لكن المشهد تغيّر في أعقاب مقتل فلويد، حيث راجعت اللجنة قواعدها وباتت تسمح بالاحتجاجات مثل الركوع على ركبة أو رفع القبضة المشدودة على المنصة. وفي حين أن تغيير القاعدة ينطبق فقط على المنافسات المحلية، أوضحت اللجنة الأولمبية الأمريكية أنها لن تعاقب الرياضيين الذين يحتجون في ألعاب طوكيو التي تنطلق الجمعة المقبل. وقالت المديرة التنفيذية للجنة سارة هيرشلاند: «من الأهمية القول بشكل لا لبس فيه إن حقوق الإنسان ليست سياسية، ويجب عدم الخلط بين الدعوات السلمية للإنصاف والمساواة من جهة والتظاهرات الانقسامية من جهة أخرى». وتؤكد بيري التي عوقبت من اللجنة الامريكية في 2019 أنها لن تتردد في الاحتجاج في حال فازت بميدالية في طوكيو.

وقامت اللاعبة البالغة 32 عاما بوقفة احتجاجية خلال التجارب الأمريكية في سياقات المضمار والميدان الشهر الماضي في ولاية أوريغون، عندما أدارت ظهرها للعلم الأمريكي عند عزف النشيد الوطني خلال حفل توزيع الميداليات. وقالت بيري بعد تأهلها إلى طوكيو: «عندما أصل إلى هناك سأفكّر بما سأقوم به. ما عليّ فعله هو التحدث باسم مجتمعي، تمثيل مجتمعي ومساعدة مجتمعي، لأنه أهم بكثير من الرياضة».

ومع ذلك، رفضت اللجنة الأولمبية الدولية صرف النظر عن القاعدة 50. في حين أن الإرشادات المحدّثة الصادرة في 2 تموز/يوليو تسمح للرياضيين الاحتجاج بشكل سلمي قبل المنافسات، لا يزال أي نوع من التظاهرات على المنصة ممنوعا. لكن ما هو غير واضح حتى الآن هي العقوبة التي سيواجهونها. وتنص قواعد اللجنة الأولمبية الدولية المحدّثة على أن العواقب التأديبية ستكون «متناسبة مع مستوى الزعزعة ودرجة المخالفة التي لا تتوافق مع القيم الأولمبية».

وترى «غلوبل أثليت» وهي منظمة غير هادفة للربح تدافع عن الرياضيين في جميع أنحاء العالم والتي كانت دائمًا معارضة للقاعدة 50، أن تهويل اللجنة الأولمبية الدولية قد يكون أكبر من فعلها عندما يتعلق الأمر بمعاقبة الرياضيين. وقال روب كولر المدير العام للمنظمة: «سأتفاجأ كثيرا في حال عاقبت اللجنة الدولية أي شخص يركع على ركبة واحدة أو يرفع قبضته على منصة التتويج. إذ إن رد الفعل العنيف من المجتمع سيكون هائلا، سيواجهون بعض الأمور التي لا يمكنهم التعافي منها أبدا». وتابع: «تتحدث اللجنة الأولمبية الدولية عن هذا النهج العقابي القاسي، قُم بذلك وستكون خارج الألعاب. لكنها عقوبة تعسفية. لا توجد قواعد حقيقية بشأن ما سيحدث إذا فعلتَ ذلك». ويؤكد: «اللجنة الأولمبية الدولية ليست محايدة سياسيا، كيف تتوقع شيئا مختلفا من الرياضيين ولكنك تتوقعه من نفسك؟»، مضيفًا ان رئيس اللجنة «توماس باخ يلتقي الرؤساء عندما يزور البلدان الاجنبية. لماذا تلتقي الرؤساء؟ لأنها (اللجنة) منظمة سياسية». ويختم: «عليك أن تسمح للرياضيين باتباع نفس النهج الذي تملكه، وإذا كانت لديك وجهة نظر بشأن شيء ما، فيجب أن تكون قادرا على التعبير عنه.»

آمال قطر الذهبية معقودة على أحلام برشم الأولمبية!

على غرار ما عاناه جلّ الرياضيين المشاركين في الأولمبياد، واجه القطريون صعوبات جمة في التحضيرات جراء الظروف التي فرضتها جائحة كورونا، خلافا إلى التأجيل الذي أربك برامج الإعداد وتغيير الوجهة للمعسكرات في ظل الاجراءات التي اتخذتها الحكومة اليابانية والتي قللت من فرص تواجد اللاعبين في طوكيو قبيل انطلاق الحدث الكبير.

ومع ذلك يحمل معتز برشم الآمال القطرية في تحقيق أول ميدالية ذهبية في التاريخ عندما يسجّل ظهوره الثالث في دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو. ويقتصر الحضور القطري في الدورة، على خمسة عشر رياضياً، بلغ 13 منهم المنافسات عبر المسابقات التأهيلية، فيما يظهر إثنان ببطاقتي دعوة. ويشارك الوفد الذي يغيب عنه الرامي ناصر العطية حامل برونزية السكيت في لندن 2012، في سبع رياضات هي التجديف والسباحة والرماية ورفع الأثقال والطائرة الشاطئية والجودو والعاب القوى، بعدد متواضع مقارنة ببعثة قوامها 34 لاعبا شاركوا في النسخة السابقة التي جرت في ريو البرازيلية عام 2016.

وإذا كانت الأنظار شاخصة على ألعاب القوى، فمرد ذلك إلى بطل الوثب العالي برشم (30 عاما) المتوّج بالبرونزية في لندن عام 2012 قبل أن يظفر بالفضية في ريو 2016 محققا أفضل انجاز قطري. «طموحي هو الذهب في طوكيو»، هكذا عبر معتز عن آماله عشية تحقيقه المركز الثاني في ثاني جولات الدوري الماسي في الدوحة بأيار/مايو الماضي، معتبرا أن «ارتفاع 2.30م يُعدّ أمرا جيدا مع انطلاقة التحضير المباشر». وأكّد صاحب ثاني أعلى وثبة في التاريخ (2.43م) والتي تقل بسنتيمترين فقط عن الكوبي خافيير سوتومايور حامل الرقم القياسي العالمي «البرنامج المعد قبل الأولمبياد يعتبر مثالياً». وشارك برشم الذي حافظ في موندیال الدوحة 2019 على لقبه بطلاً للعالم في لندن 2017 للمرة الأولى، في البطولة التحضيرية التي أقامها الاتحاد الدولي في طوكيو التي يقيم فيها معسكرا اعتباراً من 15 تموز/يوليو حتى موعد بدء المنافسات يوم 30 منه.

وفي أم الألعاب أيضا، يعوّل القطريون على العداء عبدالرحمن سامبا صاحب برونزية بطولة العالم (2019) لترك بصمة في دورة طوكيو والتي بلغها بعدما توج بطلا لسباق 400م حواجز في لقاء شنغهاي الصيني (الجولة الثانية للدوري الماسي 2019). أما العداء فيمي أوغونودي (30 عاما)، فسيكون أمام تحد صعب في سباق 100م وهو المتوج بطلا لجولة الدوري الماسي في الدوحة (10.00 ثوان) وبطل آسيا أربع مرات. ويشارك رامي المطرقة أشرف الصيفي للمرة الثانية توالياً، بفضل تصنيفه العالمي حيث يحتل المركز الـ19. وانضم إلى ركب التأهلين عبدالرحمن حسن (24 عاما) الذي بلغ سباق 1500م عبر تحدي نيرثا الذي أقيم بمدينة ملقة الإسبانية، إلى جانب مصعب آدم (26 عاما) في ذات الاختصاص. وحجز أبو بكر حيدر (25 عاما) مكانه في مسابقة 800م عبر جولة الدوري الماسي، فيما تشارك بشاير المنوري (24 عاما) في سباق 100م ببطاقة دعوة. وفُجع الوسط الرياضي القطري بوفاة العداء عبدالإله هارون، حامل برونزية 400م في موندیال 2017، عن 24 عاما اثر حادث سير في الدوحة. وكان هارون العائد من الإصابة، يمني النفس بالتأهل إلى الأولمبياد، بيد أنه فشل في حجز مقعده رغم النجاحات الكبيرة التي حققها سابقا. وتحظى مشاركة تالا أبوجبارة (28 عاما) في التجديف بحفاوة كبيرة، باعتبارها أول لاعبة تضمن الظهور في الأولمبياد عبر بطولة تأهيلية، بعدما ظل التواجد النسوي يقتصر على بطاقات الدعوة، حيث حجزت مقعدها عبر بطولة آسيا التي أقيمت في الكويت في أيار/مايو .وثمة آمال معقودة على منتخب الطائرة الشاطئية لتحقيق انجاز، خصوصا أن الثنائي أحمد تيجان وشريف يونس حققا تصنيفاً متقدماً، بالوصول إلى المركز الخامس حسب الاتحاد الدولي. ويشارك أيوب الادريسي (26 عاما) في منافسات الجودو لوزن 66 كلغ متأهلا حسب التصنيف، بالإضافة إلى الربّاع فارس حسونة (23 عاما) لوزن 96 كلغ في رفع الأثقال، فيما تأهل الرامي محمد الرميحي (32 عاما) عبر البطولة الآسيوية في الدوحة، أما السباح عبدالعزيز العبيدلي (20 عاما) فيشارك ببطاقة دعوة. وتملك قطر في تاريخ مشاركاتها في الأولمبياد فضية وأربع برونزيات. إلى جانب ميداليتي برشم، وأحرز بطل الرالیات ناصر العطية برونزية السكيت في الرماية ضمن نسخة لندن 2012، والربّاع أسعد سيف برونزية وزن 105 كلغ في سيدني 2000، والعداء محمد سليمان برونزية 1500م في برشلونة 1992.

مجتمع

غرائب طقوس العيد في أفريقيا والصراع مع كورونا من أجل الاحتفال به

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

عيد الأضحية هو العيد الكبير، وأصله رؤيا إبراهيم الخليل بذبح ولده إسماعيل وقبول إسماعيل لأمر الرب ثم فداء إسماعيل بذبح عظيم؛ إنه عاشر ذي الحجة حيث يكمل الحجاج الوقوف بعرفة ويتحللون من الإحرام التحلل الأصغر ويبدأون معركتهم مع الشيطان برمي الجمرات في منى.

يحتفل بعيد الأضحية في مثل هذا اليوم من كل عام، وتذبح الأضاحي على غرار ما فعل أبو التوحيد إبراهيم عليه السلام.

وإذا كان المسلمون قد احتفلوا بالعيد الكبير في ماضي السنوات وهم مرتاحون، فإنهم يخوضون هذا العام للسنة الثانية معركة كبرى مع كورونا المتوطن والمتقلب والذي تمنعهم إجراءاته الاحترازية من التمتع بالعيد بالطعم الذي ألفوه؛ فعيد الأضحية هذا العام يصادف رابع موجة لجائحة كورونا المنتشر تحت مسميات «ألفا» و«دلتا» وربما تحت مسميات متسلسلة أخرى.

وحتى العيد الكبير وطقوسه المتوارثة منذ القدم، ضربها الفيروس اللعين؛ فلا معايدات هذا العام ولا تجمعات استجمامية، وأسعار الخرفان لم تعد كما كانت، فقد أغلاها الفيروس، ولولا أنها من الفرائض لما ضحى أي موريتاني في هذه السنة الشهباء.

رغم وباء كورونا، فلا محيد في المجتمع الموريتاني الذي تعيش أسره خارج مداخيلها، عن شراء أفخم الثياب وأسمن الخراف بمناسبة العيد الكبير، ولا مناص من مواجهة الأسعار الباهظة في أسواق ينعكس عليها تضخم مزمن.

أما الموظفون الموريتانيون، وهم غالبية أصحاب الدخول المنتظمة، فحدث ولا حرج عن معاناتهم، كما أكد ذلك محمد سالم ولد سيدي، وهو معلم مدرسة ابتدائية في تصريح أدلى به لـ «القدس العربي» حيث قال: «في موريتانيا، الحد الأدنى للراتب لا يتجاوز 4000 أوقية (حوالي 120 دولارا) ومعلم المدرسة الابتدائية راتبه لا يكفي لإعاشة عياله مدة عشرة أيام، فماذا هو فاعل وقد انضافت لذلك الملابس والأضاحي؟».

لا تقتصر ضغوط العيد على جانب الأضاحي، بل إنها تشمل جانباً آخر هو توفير الملابس الجديدة الراقية لجميع أفراد الأسرة، وهكذا يكون على رب الأسرة أن يعمل لإرضاء أم العيال ولإرضاء الأبناء ولتوفير كبش الأضحية ولو تطلب الأمر أن يبيع نفسه.

ويرجع تجار الأغنام في العاصمة نواكشوط ارتفاع أثمان الخرفان إلى عوامل كثيرة أخرى، أهمها أن تجار المواشي يفضلون عرض أغنامهم في أسواق السنغال المجاورة حيث يبيعونها بأثمان غالية وبعملة الإفرنك الأفريقي القوية مقابل العملة الموريتانية.

ويفضل السنغاليون خراف موريتانيا لكونها أضخم من خرفان السنغال الصغيرة وهم يبذلون الغالي والنفيس للحصول عليها، فقد طلبت السنغال من موريتانيا تزويدها بأكثر من 300 ألف خروف لتأمين طلبات مواطنيها الذين يعتبرون الأضحية واجباً مقدساً مع أنها مجرد سنة مؤكدة، ومع أنها كذلك مربوطة بقدرة صاحبها على تحمل ثمنها.

وينص المذهب المالكي، وهو المذهب الفقهي السائد في المغرب العربي وغرب أفريقيا، ذبح الأضحية من جميع أصناف المواشي المباحة؛ والمجزئ حسب الفقهاء هو من الإبل، ما أكمل خمس سنوات، ودخل في السّادسة ومن البقر والماعز ما أكمل سنتين ودخل في الثّالثة، ومن الضأن ما استكمل سنة.

وتتفاوت أسعار الخرفان المجزية في الأضحية بين 7000 أوقية (200 دولار) و10.000 أوقية (280 دولارا) أما الخرفان التي تولى المنمون تربيتها بالتعليف المنزلي والتي تستكمل الشروط الفقهية فسعرها لا يقل عن 150.000 أوقية (416 دولاراً).

وإذا كان الموريتانيون يشترون أضاحيهم قبل العيد بيوم أو يومين فإن من السنغاليين من يشترون خروفاً صغيراً ويتولون على مدار السنة تربيته بعناية والسهر على تسمينه وربطه داخل المنزل إلى يوم العيد.

ويسود الاعتقاد بأن الكبش المربوط بالمنزل يحفظ أفراد الأسرة من العين لأن سموم عيون الزائرين سيمتصها الخروف عند دخول أي منهم إلى المنزل.

ومن أغرب العادات الأفريقية في عيد الأضحية أن بعض المضحين لا يأكلون يوم العيد سوى المصارين والكروش، أما بقية اللحم فيمنع أكله قبل اليوم التالي للعيد، ولهؤلاء في هذه العادة تجارب كثيرة منها أن الاقتصار على أكل المصارين يوم العيد يورث طول العمر وصحة البدن.

هكذا ستكون أجواء عيد الأضحية في موريتانيا والسنغال، وهكذا يختلط الدين في هذه المناسبة، بالطقوس والتجارب العجيبة والعادات الغريبة، وهكذا يفرض فيروس كورونا على الجميع إرادته وقانونه ونواميسه.

أمام هذا الواقع المرير يردد الجميع مع أحمد بن الحسين المتنبي قوله «عيد بأية حال عدت يا عيد؛ بل وقوله أيضا «فَلَيتَ دونَك (أيها العيد) بيداً دونَهَا بيدٌ».

سلطة الدجاج

المكوّنات

كوبان من صدر الدجاج، مسلوق ومقطع مكعبات ملعقة صغيرة برش الليمون نصف ملعقة صغيرة أوريغانو مجفف 6 أكواب خس مفروم خشن 2 حبة خيار مفروم كوب طماطم كرزية مقطعة أنصاف حبة فلفل أصفر مفروم 3 أعود بصل أخضر مفروم نصف كوب جبن فيتا مقطع قطع صغيرة ربع كوب زيتون أسود مقطع شرائح

الصلصة: نصف كوب صلصة السلطة بالخل الجاهزة

طريقة التحضير

نخلط الدجاج وربع كوب من صلصة الخل ونقشر الليمون والأوريغانو في وعاء ونتركه جانباً. في وعاء التقديم الواسع نضع الخس وباقي كمية صلصة الخل.

نضيف الخيار والطماطم والفلفل الأصفر والبصل المفروم.

نضيف الدجاج مع خليط الصلصة ونقلب الخليط.

نوزع جبن الفيتا والزيتون على وجه الطبق ونقدمه.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الليمون

تتميز ثمار الحامض أو الليمون بخصائص طبية كثيرة وتأتي معظم فوائد الحامض من محتواه الغني بالعديد من العناصر الهامة والتي يعتبر أبرزها فيتامين ج، إذ أن هذه الثمار تحتوي على العديد من العناصر الضرورية، مثل: مجموعة فيتامينات ب، والبوتاسيوم، والمغنيسيوم، والزنك.

ويساعد تناول عصير الليمون على مكافحة أمراض القلب والشرايين، وذلك بسبب غناه بمادة البوتاسيوم الهامة لصحة جهاز الدوران. إذ يقوم البوتاسيوم بضبط مستويات ضغط الدم وتحفيز الجسم على الاسترخاء بدنيًا وعقليًا، كما أن فيتامين ج المتواجد في الحامض يساعد على الحفاظ على صحة القلب.

ويحتوي الليمون على حمض الستريك بتراكيز تفوق الأنواع الأخرى من الحمضيات، مثل: الكريب فروت، والبرتقال، وهذا الحمض يساعد على منع تكون حصى الكلى وتبلورها.

وتساعد ثمار الحامض الصفراء على علاج المشاكل التنفسية المختلفة، بما في ذلك صعوبات التنفس ونوبات الربو المزعجة، وذلك بسبب غناه بفيتامين ج الهام لصحة المناعة والجهاز التنفسي.

كما أن الحامض هو أحد العلاجات الطبيعية الهامة لالتهابات الحلق وذلك بسبب خصائصه المضادة للبكتيريا.

إن تناول أطعمة غنية بفيتامين ج مع الأطعمة الغنية بالحديد يساعد على تحسين امتصاص الحديد من هذه الأطعمة وتحسين قدرة الجسم على الاستفادة منه.

لذا فإن استعمال الحامض باعتدال أثناء إعداد الطعام يساعد على مكافحة فقر الدم.

وللليمون أهمية استثنائية في فصل الصيف حين يشتد الحر. فهو يحمل أسرار جمال البشرة وعلاجها.

وحسب تقرير صحي بصحيفة «ذي انديبندنت» البريطانية فإن الليمون يعد من ثمار الصيف المفيد جدا للجسم، في ظل ارتفاع درجة الحرارة. تعتبر حماية البشرة واحدة من أهم المميزات التي يمنحها الليمون.

ويقترح موقع «هيلث تيبس» خمس طرق لاستخدام الليمون للعناية بالبشرة:

–ترطيب البشرة: يمكن صنع «جل» للاستحمام وذلك من خلال خلط الليمون مع ماء جوز الهند. إذ سيساعد ماء جوز الهند في ترطيب البشرة، بينما سيعمل الليمون على تنظيفها وتلميعها.

–مستحضر تونر من الخيار والليمون: طريقة فعالة لمحاربة حب الشباب وتوهج الجلد. ويتكون المستحضر من الماء البارد والليمون وشرائح الخيار إضافة إلى شرائح الليمون.

وأثناء الاستخدام يوضع المستحضر على قطعة قطن تمرر على المنطقة المراد تنظيفها. وأضاف الموقع، أنه من المفضل استخدام هذا المستحضر لمدة أسبوع على الأقل.

–للشعر: يساعد الليمون في العناية بالشعر، إذ يساهم في نعومة الشعر وإضافة لمعان عليه. وتكمن طريقة الاستخدام في وضع كمية من الليمون على الشعر ومن ثم عرضه تحت أشعة الشمس. وعند تعرضه للشمس، يساعد الليمون على تنعيم الشعر وإعطاءه بريقا ذهبيا.

وللخروج بنتيجة إيجابية يجب استخدام هذه الطريقة مرة واحدة على الأقل في الأسبوع.

–لصحة الأظافر: لطالما عانت بعض النساء من كسر أظافرهن أثناء ممارسة نشاطهن اليومي، إلا أنه بواسطة الليمون ستنسى المرأة هذه المشكلة. ويتكون المستحضر من خليط زيت الزيتون والليمون.

–تحت الإبط: خواص الليمون تستخدم كمزيل طبيعي للعرق ويساعد في نفس الوقت على إزالة البقع الداكنة التي تتشكل عادة في هذه المنطقة، كون الليمون يحتوي على حامض خاص يُعرف بحامض الليمون، المسؤول عن إزالة البكتيريا التي تسبب الروائح الكريهة. (وكالات)

الحمل

تكثر المسؤوليات هذا اليوم وتشعر بالضغط

الثور

غيرتك تزعج الحبيب كثيراً فامنحه ثقة أكبر

الجوزاء

انتبه إلى تصرفاتك مع زملائك في العمل

السرطان

بعض المشاكل تحلها بسهولة وتخطط لأمر جيد

الاسد

سيطر على تناول الطعام الكثير يومياً

العذراء

هذا الوقت الأمثل لتنفيذ مشروعاتك الشخصية

الميزان

تشعر بالتعب والإرهاق بعد إنجازك العمل

العقرب

إذا مارست الرياضة تصبح أكثر مرونة وصبراً

القوس

تجد نفسك إلا مطواعاً لآراء الشريك

الجدي

تفرح كلما قاربت وجهات النظر بين زملائك

الدلو

تشعر برضا تام وراحة

الحوت

توقف لوهلة وقم بحصر ما عشته من تجارب

جديد الطب

جهاز عصبي يترجم الأفكار لكلمات ونصوص مكتوبة

هل تخيلت أن ينجح العلماء في التوصل لجهاز يترجم أفكارك لجمل يستطيع الآخرين قراءتها بسهولة؟ هذا ما تمكن علماء في الولايات المتحدة من ابتكاره لمساعدة الأشخاص الذين فقدو القدرة على الحديث.

لأكثر من عشر سنوات، عمل باحثون بجامعة يو سي سان فرانسيسكو الأمريكية على تطوير وسيلة عصبية يمكنها مساعدة الأشخاص الذين فقدوا القدرة على الكلام لأسباب مختلفة.

ونجح جراح وأستاذ الأعصاب إدوارد شانغ بالفعل في تطوير تكنولوجيا عصبية تسمح للأشخاص الذين يعانون من شلل حاد، يؤدي لفقدانهم القدرة على الحديث، في التواصل أخيراً مع الآخرين، وفقا لموقع سايتس ديلي العلمي.

ففي أول تجربة سريرية للابتكار العلمي الجديد، تمكن شانغ باستخدام الجهاز العصبي من ترجمة إشارات المخ لدى مصاب بالشلل الحاد إلى كلمات تظهر كنص مكتوب على شاشة بحيث يمكن للآخرين قراءته بسهولة.

ويشير شانغ إلى أن ما حققه قد يعد «أول تمثيل ناجح لعملية فك شفرات مباشرة لكلمات كاملة من مخ شخص مصاب بالشلل ولا يمكنه الكلام» كما يضيف أن ذلك الإنجاز يعطي أملا كبيرا في إستعادة القدرة على الاتصال باستخدام الآلية الطبيعية الخاصة بعملية التحدث والتي تقع داخل مخ الإنسان.

ويفقد آلاف الأشخاص كل عام القدرة على الكلام بسبب الجلطات أو وقوع حوادث لهم أو كنتيجة للإصابة بأمراض معينة، وفقا لنتائج الدراسة المنشورة بمجلة «نيو إنكلاند» الطبية المتخصصة، وهو ما يجعل ذلك الابتكار العصبي الجديد طوق نجاة يمكن أن يساعد كل هؤلاء في المستقبل القريب على التواصل من جديد مع الآخرين.

وفي هذا المجال، عمل العلماء سابقا على إستعادة القدرة على الاتصال مع الآخرين من خلال تكنولوجيا تركز على عملية الهجاء وحركة الذراع أو اليد لكتابة الحروف المكونة للكلمات.

ولكن تختلف التكنولوجيا الحديثة التي يعتمدها شانغ عن غيرها في قدرتها على ترجمة الإشارات العصبية التي يتم إرسالها من المخ للعضلات الخاصة بخروج الصوت والتحدث، وهو ما يمكن أن يحقق «تواصلا أكثر سرعة وطبيعية» على حد وصف شانغ.

إلا أن شانغ لم يكن ليتوصل لتلك التكنولوجيا بدون مساعدة المرضى في مركز الصرع التابع لجامعة يو سي سان فرانسيسكو، إذ وافق المرضى هناك على خوض عمليات جراحية استهدفت تحديد مراكز ما ينتابهم من نوبات الصرع باستخدام صفائح كهربائية مثبتة على سطح المخ.

ولم يعان هؤلاء المتطوعون في الدراسة من فقدان القدرة على الحديث، وإنما احتاجت الدراسة لهم في البداية من أجل تحليل نشاط المخ الخاص بعملية التحدث. ومهدت النتائج لإجراء تجارب سريرية لاحقة على المرضى الفاقدين للقدرة على الحديث.

إلزامية التلقيح ضد فيروس كورونا تثير جدلا في أوروبا

لندن– وكالات–«القدس العربي»:

تثير إلزامية التلقيح ضد كوفيد–19 جدلا متزايدا في بلدان عدة، على غرار فرنسا التي فرضت على العاملين في المؤسسات الصحية تلقي اللقاح لاحتواء تفشي المتحوّرة دلتا التي يثير انتشارها الكبير المخاوف من تسارع وتيرة الإصابات مجددا.

وبموازاة المعترضين يكتسب جعل اللقاح إلزاميا زخما في أوروبا كما حصل في فرنسا التي قررت الاثنين إلزامية تلقي المعالجين الطبيين اللقاح بهدف القضاء على المتحورة دلتا. كما أعلنت اليونان أن هذا الأمر سيصبح إلزاميا اعتبارا من 1 أيلول/سبتمبر.

وإلزامية التطعيم في الاتحاد الأوروبي لم تكن شائعة قبيل إعلان ماكرون وميتسوتاكيس عن قرارهما، ولكن في إيطاليا التي تأثرت بشكل كبير من الجائحة، فهي تفرض اللقاح على العاملين في المجال الصحي منذ آذار/مارس الماضي. وأعلنت فرنسا واليونان بدء إلزامية عملية التطعيم بلقاحات كورونا وذلك خوفاً من تفشي موجة أخرى من الفيروس مع تسجيل حالات من الإصابات بالنسخة المتحورة «دلتا».

وفي خطاب تلفزيزني أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن عدة إجراءات جديدة لوقف تفشي فيروس كورونا مع انتشار المتحورة الهندية «دلتا» الشديدة العدوى.

ومن بين هذه الإجراءات إلزامية التطعيم للعاملين في المؤسسات الصحية وفرض «الشهادة الصحية» في المطاعم والمقاهي والمراكز التجارية وبعض وسائل النقل اعتبارا من أغسطس/ آب المقبل. والقرار يفرض تطعيم جميع العاملين في المستشفيات أو كبار السن أو دور رعاية المسنين بحلول 15 أيلول/سبتمبر على أبعد تقدير. وإلا فلن يعودوا قادرين على العمل ولن يحصلوا على رواتبهم بعد الآن، وفقاً لوزير الصحة أوليفيي فيران.

أما في اليونان فسيتم يتم تطبيق التطعيم الإجباري من منتصف آب/أغسطس على الموظفين في دور المسنين ومن الأول من أيلول/سبتمبر للقطاع الصحي، وقال رئيس الوزراء ميتسوتاكيس «لا يمكننا إنهاء الفصل الأخير من الأزمة الصحية إلا إذا حصل الجميع على اللقاح» مضيفاً أنه «لن تدخل البلاد في وضع صحي سيء آخر بسبب مواقف بعض الأفراد».

فرنسا ودفتر التطعيمات

وبالإضافة إلى التطعيم الإلزامي، ترغب فرنسا في جعل «دفتر التطعيمات» متطلباً لزيارة المطاعم وأماكن التسوق، والقطارات والطائرات ابتداء من آب/أغسطس. ويوفر دفتر التطعيمات معلومات حول التطعيم، وإن كان الشخص أصيب بكورونا مسبقاً أم لا. وفي اليونان فقد تم بالفعل التخطيط لقيود على الأشخاص غير المطعمين ابتداء من يوم الجمعة المقبل.

بالنسبة للفئات المعرضة للخطر التي تم تطعيمها في وقت مبكر من هذا العام، ستكون هناك أيضا لقاحات معززة بجرعة ثالثة في فرنسا اعتبارا من أيلول/سبتمبر، وتحدث ماكرون عن «سباق» جديد مع الفيروس الذي ينتشر مرة أخرى في أنحاء فرنسا، وأنه «بدون اتخاذ إجراءات سريعة، فهناك خطر حدوث ضغط جديد على المستشفيات».

وفي فرنسا، كما في اليونان، تم تطعيم حوالي 40 في المئة من السكان بشكل كامل، ولكن في كلا البلدين، ارتفع عدد الإصابات الجديدة مرة أخرى مؤخراً، ويعزو الخبراء ذلك إلى متحور دلتا، الذي تم اكتشافه لأول مرة في الهند.

وأقدم نحو مليون شخص غالبيتهم من الشبان على حجز مواعيد لتلقي اللقاح بعدما أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قرارات تحصر العودة إلى حياة اجتماعية طبيعية بتلقي اللقاح.

والثلاثاء الماضي أعلن مدير موقع «دوكتوليب» لحجز مواعيد التلقيح اللقاح أن «926 ألف فرنسي حجزوا مواعيد لتلقي اللقاح».

ألمانيا لا تنوي جعل التلقيح إلزاميا

يعتبر الألمان بحسب المقارنات الدولية، من أقل الشعوب تقبلاً لفكرة التطعيمات، ويعود ذلك إلى خلفيات سياسية وتاريخية حينما تم فرض التطعيم الإلزامي ضد الجدري قبل 150 عاماً.

وذكرت المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل عقب محادثات مع وزير الصحة ينس شبان ورئيس معهد «روبرت كوخ» لمكافحة الأمراض لوتار فيلر الثلاثاء الماضي في برلين إنه لا توجد خطط في ألمانيا لجعل التطعيم إجباريا على غرار فرنسا، وقالت: «لا ننوي سلك هذا الطريق الذي اقترحته فرنسا. لقد قلنا إنه لن يكون هناك إلزام بالتطعيم» مضيفة أنها لا تعتقد أن تغيير هذا التعهد سيؤدي إلى كسب الثقة، موضحة أنه يمكن كسب الثقة عبر الترويج للتطعيم ومراهنة مرة جديدة على «رغبة» الشعب و«الدعاية» للقاح.

وأضافت «لكن أعتقد انه بامكاننا كسب الثقة عبر القيام بدعاية للقاح وأيضا عبر ترك أكبر عدد ممكن من الأشخاص يصبحون سفراء للقاح انطلاقا من تجربتهم الخاصة».

وتابعت ميركل «كلما تلقحنا، كلما كنا أحرارا وكلما تمكنا من العيش مجددا».

وأوضحت «يمكنني القيام بدعاية بصفتي مستشارة، مع قناعة عميقة في سبيل التلقيح». وقالت ميركل أيضا إنه من المفيد عرض سلبيات وإيجابيات التطعيم في لقاءات عامة.

ونصحت المستشارة الألمانية لاقناع المترددين بالتلقيح «ببحث المسألة معا في العائلة، في العمل، في نادي كرة القدم في كل مكان يثق فيه الأشخاص ببعضهم البعض».

وتلقى حوالب 4–35 مليون شخص (42.6 في المئة) اللقاح بالكامل في ألمانيا، و48.6 مليونا (58.5 في المئة) تلقوا جرعة واحدة كما أعلن وزير الصحة ينس شبان معربا عن أسفه لأن الاتجاه العام هو «تباطؤ» وتيرة التلقيح.

يوم الحرية في بريطانيا

وفرضت المملكة المتحدة في 16 حزيران/يونيو إلزامية التلقيح للعاملين في دور رعاية المسنين.

وأعلنت الحكومة البريطانية أن غالبية القيود المفروضة في إنكلترا سترفع في 19 تموز/يوليو، وهو يوم أطلقت عليه تسمية «يوم الحرية» لكن السلطات دعت إلى توخي الحذر.

من جهتها، قرّرت المناطق السياحية الإسبانية في كاتالونيا وفلنسية إغلاق الحانات والملاهي الليلية لوقف تفشي كوفيد–19 الذي تتسارع وتيرته في مختلف أنحاء البلاد.

وتسبب فيروس كورونا بوفاة 4.044.816 شخصا في العالم، فيما حذّرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة بأن تداعيات الجائحة على الأمن الغذائي العالمي ستكون طويلة الأمد، بعدما ساهم في عام 2020 في زيادة عدد الأشخاص الذين عانوا من الجوع، وقد تقوض أكثر من أي وقت مضى هدف الأمم المتحدة بالقضاء على الجوع في العالم بحلول 2030.

منوعات

وردة الجزائرية مُطربة تاجرت السينما بصوتها وسيرتها

وردة الجزائرية

كمال القاضي

حين لاح نجم المُطربة الجزائرية وردة في سماء الطرب والغناء إبان قدومها من العاصمة الفرنسية باريس إلى القاهرة، تهافت عليها منتجو السينما لتكون بطلة لعدد من الأفلام الغنائية الرومانسية، باعتبارها وجها جديدا يتسم أداؤها الغنائي بالصدق وتتمتع بقبول فائق على مستوى الشكل وتتميز شخصيتها بالهدوء والرقة. لذا فقد أدرك المعنيون بصناعة السينما من المنتجين والمخرجين أن الرهان عليها لن يكون خاسراً، ولم تكن حسبتهم في ذلك حسبة تجارية فقط، ولكن كان دافعهم الأول هو إثراء السينما الغنائية والنهوض بها بعد انقضاء فترة التألق لمطربات الجيل السابق، كأم كلثوم وليلى مراد وشادية وغيرهن.

وقد رأى المخرج حلمي رفله في صوت وردة وشخصيتها حضورا قوياً يمكنه من صناعة سينما غنائية مختلفة فأسند إليها على الفور بطولة فيلم «ألمظ وعبده الحامولي» أمام المطرب عادل مأمون في عام 1962 وبالفعل قبلت المطربة الشابة آنذاك الدور واغتنمت الفرصة ، فصارت بين عشية وضحاها نجمة ملء السمع والبصر تتردد أخبارها في الصحف والمجلات، وقد شجع نجاح الفيلم المخرج نيازي مصطفى فأسند إليها للمرة الثانية بطولة فيلم «أميرة العرب» ومن دلالة العنوان يمكن استنتاج المستوى الذي وصلت إليه ورده من الثقة والإعجاب لتُوصف بأميرة العرب في ثاني بطولة سينمائية لها. وقد فسر النقاد في حينه هذا الوصف بأنه درجة ارتقاء مُنحت لنجمة الشابة في وقت مُبكر من مشوارها الفني ليتم تصعيدها فتُصبح فوق المنافسة فلا يباريها أحد في دورها ومكانتها وموقعها فوق القمة.

وبالفعل وصلت وردة الجزائرية في زمن قياسي إلى مستوى غير مسبوق من النجاح والشهرة فأثار ذلك أحقاد الغير تجاهها فأطلقوا الشائعات وأحاطوها بالقصص والحكايات المُلفقة ليسقطوها عن العرش الذي اعتلته وهي لا تزال في سن صغيرة، ولم تنل الشائعات من سمعة وردة الشخصية ولم تنتقص من قدراتها الفنية ولا ثقتها بنفسها، بل زادتها ثقة وإصرارا على النجاح والنبوغ.

ولأن لعبة السينما تعتمد بقدر كبير على الجانب الدعائي ويستفيد صُناعها بشكل كبير من أي ضجة تُثار حول الفنان، فقد زادت العروض السينمائية على وردة وأصبحت بالنسبة للمنتجين والمخرجين فرصة ثمينة لنجاحهم ونجاح أعمالهم، ولكنها لم تنخدع بهذه الحيل التجارية الانتهازية وباتت تدقق في ما يُعرض عليها من بطولات لتختار منها ما يُناسبها ويناسب أدائها كمطربة في المقام الأول قبل أن تكون ممثلة.

وبحسب خبراتها وبناءً على تجاربها السابقة رأت وردة أن الأفضل لها هو عدم الإسراف في الجانب السينمائي والتركيز في دورها الأصلي كمطربة على أن تأتي السينما في المقام الثاني، لا سيما أنها لا تحتاج لمزيد من الشهرة أو المال، كما أن الشائعات التي لاحقتها في تلك الفترة جعلتها أكثر تأنياً في تعاملها مع الفرص المُقدمة لها على طبق من ذهب، ولأنها استفادت من الدرس استطاعت أن تُقنن ظهورها على الشاشة الكبيرة كبطلة للأفلام. إلا أن الدور الذي عُرض عليها في فيلم «صوت الحب» مع الفنان حسن يوسف جعلها تُعيد النظر لأن طبيعة الدور مُغرية بالقبول، فالبطلة ممرضة تربطها علاقة عاطفية بأحد أبناء العائلات الارستقراطية فتواجه صعوبات ومشكلات في سبيل الاعتراف العائلي بالعلاقة العاطفية الاستثنائية، لأن المجتمع يحظر على الممرضة البسيطة الارتباط بأحد أبناء الذوات.

وقد أعجبت ورده بهذه القصة وعمدت إلى قبول الدور ودخول غمار التجربة المليئة بالتحدي لتغير من مفهوم العنصرية والتمييز الذي يحكم على العلاقات العاطفية البريئة بالإعدام بدعوى عدم التكافؤ الاجتماعي، ولعبت المطربة الرقيقة دور الممرضة أمام حسن يوسف وواجهت غرور الأب الأرستقراطي عماد حمدي بالصبر واللين والتمسك بالقيم والأخلاق، حتى أثبتت له فساد قناعاته الثقافية والاجتماعية فاعترف بحبها لابنه وقبل زواجهما عن طيب خاطر.

وبناءً على ما تقدم من مُعطيات القصة العاطفية السينمائية تغيرت وجهة نظر وردة في مسألة المقاطعة وقبلت في غمرة النجاح الذي حققته القيام بالبطولة أمام رشدي أباظة في فيلم «آه يا ليل يا زمن» للمخرج علي رضا في عام 1977 ليتضاعف النجاح وتزداد الثقة في قدرة المُطربة العربية على تجسيد أنماط مختلفة من الشخصيات داخل الإطار الرومانسي العاطفي، حيث أن دورها في الفيلم المذكور كان ميلودراميا إلى حد ما، فالبطلة الشابة خرجت من مصر حزينة مُنكسرة بعد قرار التأميم إبان قيام ثورة يوليو 52 وسافرت إلى باريس لتُكمل حياتها هناك بعيداً عن الأنظار، لكنها صادفت الرجل الغامض رشدي أباظة الذي ربطها به علاقة عاطفية على أثر إنقاذه لها من براثن البلطجي صاحب الكباريه عادل أدهم الذي يستغلها ويستغل صوتها في زيادة دخله ويحاول إرغامها على القيام بأعمال منافية للآداب، ويُعاملها بقسوة لإرغامها على تلبية أوامره.

الفيلم اعتبرته ورده فرصة أخرى للدفاع عن حقوق المرأة المضطهدة الهاربة من جحيم القسوة والاستبداد بحسب السياق الدرامي للأحداث، فضلاً عن أنه يمثل مباراة مهمة في الأداء التمثيلي أمام اللاعبين المُحترفين، رشدي أباظة وعادل أدهم، وبالتأكيد يعد أضافة فنية مهمة لمشوارها السينمائي القصير والمحدود، إذ لم يزد مجموع أعمالها على 6 أفلام كان من بينها فيلم آخر مع رشدي أباظة أيضاً بعنوان «حكايتي مع الزمان» وهو تنويع على مأساة الخلاف العائلي ومُشكلات الحب والزواج وهو للمخرجين الكبيرين، حسن الإمام وسمير سيف اللذان حاولا أن يقدما نموذجاً مغايراً لطبيعة الأداء التقليدي للمطربة الكبيرة في أفلامها السابقة، وقد فلحت المحاولة بالفعل إذ تم الاهتمام بالجانب الغنائي والاستعراضي وتضمين الفكرة الدرامية العامة داخل هذا الإطار، وربما ذلك ما أدى إلى نجاح الفيلم وخلق تفاعلاً بين البطلة والجمهور الذي تأثر تأثراً بالغاً بالحالة الغنائية الاستعراضية الإنسانية.

وقد اختتمت وردة التي تحل ذكرى وفاتها هذه الأيام مسيرتها الفنية في عام 1994 بفيلم «ليه يا دنيا» مع النجمين الكبيرين محمود يسن وصلاح السعدني في دور من نفس النوعية التأثيرية، وكانت قد أمضت فترة طويلة من الابتعاد عن الشاشة الكبيرة فكان لظهورها مُجدداً وقعاً إيجابيا على جمهورها الذي استقبل الفيلم بحفاوة وأعاد لها ذكرى الأيام الجميلة، حيث التألق والنجاح والتواجد المُكثف على صفحات الجرائد والمجلات واحتلال مساحات مطولة في البرامج التلفزيونية، لذلك يُعتبر الظهور السينمائي الأخير في فيلم «ليه يا دنيا» هو ختام المسك للنجمة الكبيرة التي احتفظت بمكانتها تحت الضوء حتى الأيام الأخيرة من حياتها وبقيت ذكراها مدعاة لاجترار سيرتها والحديث عن انجازاتها ونجاحاتها وأفلامها.

تساءل عن دوّامة معركة الوعي والنضوج وتفجير

جعفر الطفّار: الموقف أساس في حياة البشر ولا أهتم بالسقف

بيروت – «القدس العربي»: زهرة مرعي

بلبغ توصيف الرابر اللبناني جعفر الطفّار لحال لبنان، وبسيط في آن، ذاك الشاب وجد أن ما يكتبه ويغنيه يضاعف التصاقه بناس الإندرغراوند، ويحفزّه على المزيد من المكاشفة الحرّة والواضحة. مؤخراً أطلَ بأغنية راب جديدة «نيترات» قال فيها بالسؤولين المتعاقبين في الدولة اللبنانية ما يستحقونه من تحقير.

«نيترات» كتبها جعفر الطفّار وأجاد الرابر أسلوب توزيعها موسيقياً وضبط إيقاعاتها، فجمع بين الموسيقى الشرقية وإيقاع الراب، وراح نحو التجريب حين قرر إيقاعا منقسماً إلى ثلاثة، في حين أن إيقاع الراب منقسم إلى أربعة. وحين أطلق جعفر الطفار «نيترات» بحضور الجمهور في حديقة لذيذة – مار مخايل كان يفيض غضباً في كل كلمة ينطق بها، بحق الباحثين عن دم لبناني يتاجرون به ويعتاشون منه.

في سيرة جعفر الطفار، فهو شاب لبناني من بعلبك–الهرمل، احتفظ بلهجته التي نشأ عليها، درس العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية. وسنة 2014 أطلق ألبوم «عشيرتي» من داخل استوديو «كتيبة خمسة» في مخيم برج البراجنة في الضاحية الجنوبية. و«كتيبة خمسة» فرقة راب لشباب فلسطينيين كانوا يسكنون مخيم البرج قبل أن يتفرّقوا في أوروبا. صلة الطفار مستمرة بأسلوب الذي انتقل إلى باريس، وهو رابر مؤثر ومميز في هذا الفن. مزج الطفار فن الراب بالفولكلور اللبناني كما أغنية الدلعونا ووجد ترحيباً كبيراً، وهو مستمر في تفريغ شحنات غضبه وكتابة الكلام الذي لم يقتصر على حالنا اللبناني، بل لفلسطين حصة فيها، وأسلوب في باريس يلاقيه على الموجة عينها، حيث بينهما استشعار وتفاهم عن بعد.

يُذكر أن «نيترات» جاءت من ضمن أسطوانة تحمل عنوان «بيروت 21/20» جمعت تراكات للعدد من الفنانات والفنانين وأصدرها مهرجان «بيروت أند بيوند». مع جعفر الطفّار هذا الحوار:

○ صدمة تفجير المرفأ أصابت الجميع وإن بتفاوت، كنت قريباً من ساحته فهل شعرت بالراحة بعد كتابة وأداء «نيترات»؟

● إنه أسلوبي في التعبير عن الضغوطات كافة التي أعيشها منذ سنة 2009 إلى الآن. بدأنا العمل على نيترات قبل الإنفجار، وكنّا نصور في الحمرا حين دوىّ الصوت الهائل. لأربعة أشهر متتالية نسيت أني أغني، وأني أكتب الموسيقى، وأني حيال مشروع أعمل لإنجازه. وطوال هذه الأشهر وجدت نفسي في الشارع مع مئات آخرين نزلوا لكنس الزجاج والركام، ولتوزيع الطعام والماء وغيرها من المهام اللوجستية، وليس في ذلك «منّية». بعد مرور أشهر على التفجير أسأل ذاتي لماذا ناكل هؤلاء الذين فجّرونا منذ زمن بعيد. ومن وحي الواقع وكافة تلك المشاعر تابعنا مشروع «نيترات» لكنه في الحقيقة تراك كان قيد التحضير قبل التفجير.

○ كيف تمت مشاركتك في سي دي بيروت 21/20؟

● تجنّبت الاقتراب من منح الإنتاج الفني، والتمويل والصلة مع السفارات، كذلك البحث في سيرة الممول ونظافة كفه. وأرفض الخضوع لأية شروط تقيد حريتي. اختصرت كلّ ذلك، وأخترت لنفسي العيش من عملي كسائق في شركة لتوزيع البضاعة، وبعده أتفرغ لرغبتي في كتابة وتلحين وغناء الراب. إنها كلمات للتعبير وفش الخلق لا أكثر ولا أقل. لكنّهم بعد التفجير لم يتركوا لنا «ستر مغطّى». والعمل الذي كنت أستر نفسي وزوجتي وابنتيّ به، لم يعد يكفي بدل حفاضات لطفل. وعندما أرسل لي أحدهم لينك مهرجان «بيروت أند بيوند» ورغبتهم بإنتاج أسطوانة مشتركة، لم أر مانعاً من التعاون معهم بعد التأكد من أن تمويلهم غير

المرفأ رفع سقف الكلام في «نيترات»

العالي ولا بردود الفعل ولن أبيع نفسي لأي مشروع مشبوه

مشبوه. وهكذا تقدّمت بطلبي المرفق بأغنية «نيترات» التي أنجزتها مع الرابر أسلوب، وقُبلت كما هي. ومع بدء التعاون بتّ أقدّر عالياً عملهم الإحترافي، ومصداقيتهم.

○ هذا يعني أنك بتّ تملك الشجاعة في البحث عن الصناديق النظيفة لتقديم مزيد من الأعمال؟

● ليست القضية في الصناديق النظيفة بقدر ما تكمن في تحقيق التوازن لدى الشخص نفسه. لن أترك دعماً وإنتاجاً لأي من أعمالي حين يحقق طموحي. وسأبقى حريصاً على شخصيتي الفنية التي بنيتها بجهد كبير وإنطلاقاً من مبدأ لن يتغير ولن يُعرض يوماً للبيع.

○ قلت أن خروجك من منطقة الدمار بعد تفجير المرفأ استغرق بحدود الساعة، مع اقتراب السنوية الأولى لجريمة العصر هل تعافيت من الصدمة؟

● بل تضاعف عيارها. ما تلا التفجير قد يتساوى وقعاً معه. كثُر المتاجرون بوجع الناس ودمهم، وبالمنازل المدمرة. قبل أن يجفّ الدم بدأ التجار بالبحث عن منازل لشرائها. وصلت الدولة بعد سبعة أيام كنا حينها نكنس الزجاج من الطرقات ونساعد من يحتاج المساعدة. انتظرت الدولة الدعم الخارجي والتمويل، فأهل هذا النظام بكامله يتنفس ويعيش من الأزمات وبشكل رسمي. كذلك هو حال الأحزاب عندنا التي كانت تنتظر سقوط شهيد، فبذلك مزيد من المال.

○ قلت أنك كتبت «نيترات» قبل تفجير المرفأ. كيف تطور التراك لاحقا؟

● لنتناول الموسيقى أولاً والتطور المسجل في هذا التراك. أسلوب فنان مبدع بالأساس، وإيقاع أغنية الراب، مقسوم على أربعة، لكنه صار مقسوماً على ثلاثة. نعم «نيترات» تطورت تقنياً لجهة الموسيقى، وأسلوب الكتابة. وحجم الغضب والحقد الذي تفجّر بداخلي بعد تفجير المرفأ ترك سقف الكلام أعلى. وحجم الضغط النفسي الذي حدث بعد التفجير نقل الأغنية إلى مكان آخر. سابقاً كنت أحسب كي لا يُجرح أحدهم من كلمة، وعزفت عن ذلك في «نيترات». في الجرح أي كان، فهم فجّروا الناس وتركوهم لقدرهم.

○ وهل يكفي وصفهم بـ«عرصات»؟

● بل قليل عليهم. الأيام تنتظرنا. لم ننته بعد. مكملين.

○ وهل استغرق عمل أسلوب على «نيترات» الكثير من الوقت؟

● بل أنجزها بسرعة قياسية. منذ سمع الكلمات بدأ العمل، وبحدود الأسبوع إتصل بي من باريس قائلاً: إسمع. فيما اعتدت أنتظاره لشهر أو شهرين كي ينجز الأغنية. دخلنا معاً مكاناً آخر من التعاون والعمل، كنّا في مرحلة التنين، والآن في مرحلة الأميرة. التنين والأميرة من مخزون ذاكرتي في الطفولة حين كنّا نلعب الأتاري.

○ جعفر لا يداري ولا يستعمل الأقنعة أو القفّازات، أن تسمي الأمور بأسمائها جرأة أم ماذا؟

● إنه الموقف. مهدي عامل الذي ورد اسمه في إحدى الأغنيات كان يعمل من أجل الناس، لم يكن يداري أو يخاف فهو من الناس الذين يطمح بمستقبل أفضل لهم. مهدي عامل وباسل الأعرج وجورج عبدالله ومؤخراً نزار بنات، جميعهم ضحوا بحياتهم في سبيل مستقبل أفضل لناسهم وأهلهم، ولهذا ليس لنا العودة إلى الوراء ولو خطوة واحدة والبحث في ما قد يشكله الموقف لآخرين. الموقف أساس في حياة البشر، لا اهتم نهائياً بردود الفعل على سقف الكلام. ولن أبيع نفسي لأي مشروع مشبوه، وبالتالي أعرّض اسم جورج عبدالله وباسل الأعرج اللذين أغني لهما لأي تساؤل. ولن أدخل في مشروع يخدم العدو. وهذا فقط ما يشغلني.

○ الرابر المهموم بشؤون وطنه وأهله وناسه هل يعيش معذباً أم يتأخى مع الهمّ؟

● إذا كنّا بشراً سيشعر أحدنا بالآخر. ويتابع ضاحكاً: أهل البقاع معذبون على الدوام فهم يُطربون حزين. يداهمنا الهم منذ الطفولة مع سماع نغمات أسماء الطوائف والمذاهب، والعجز بالإنفكاك عن هذا القدر الذي نجح النظام اللبناني منذ تكوينه في تغذيته. ومن ثمّ تبدأ الطوائف بكمش الأطفال دينياً، وتلاحقهم إلى الجامعة حيث تنتشر الأحزاب. إنها ألعاب هذا النظام بقبحه الظاهر والخفي.

○ وماذا أختـرت في مقابل هذه النمطية المفروضة؟

● أن لا أكون في أي من العلب. خرجت من العلبة التي وضعت تلقائياً فيها بحكم الإنتماء العائلي والمناطقي. واهتم بإصرار أن تتربى بنتاي على الدرب نفسه، وهذا بحد ذاته انتصار في لبنان.

○ ما الذي يفرحك؟

● قد تفرحني ضحكة أحدهم. الفرح غير مُكلف لكننا لا نشعر به. فهل يُعقل أن يشعر أحدنا بالفرح عندما «يفول» بنزين؟ وأن يفرح لغسل وجهه من ماء الحنفية؟ مفهوم الفرح لا يوضع في ميزان الأسعار، يكفي أن يكون أحدنا إنساناً يشعر بمن يراه أمامه، أو بذاك الذي يتقاسم الحياة معه.

○ لم أر صورة لك مع ابتسامة بل الجبين مقطب والشرود مسيطر وخلال الغناء. هل من بتفسير؟

● العقدة تحتاج إلى فك، وهي ترافقني حتى خلال الكتابة. أظن أن مكمن تلك «العبسة» أني أغني كلاماً أفكر به ملياً وأشعره. لست محترفاً في السيطرة على تعابير وجهي، وداخلي ينطبع سريعاً عليه. أحاول تدريب نفسي للسيطرة على تلك التعابير، وفي أعماقي أتمنى الفشل لنفسي، «هيك أريـح». متعب تصنع الضحك لأحدهم قصُر الزمن أم طال.

○ كيف قرأت في تنوع الجمهور لجهة العمر في حفلة «جنينة لذيذة»؟

● كان ممتعاً للغاية. وأكد لي بأن خياري في الخروج من العلبة صحيح. منذ الصغر نعيش تهديداً بأن لا نكون مثل هذا أو ذاك، وأن لا نقلد هذا الشكل أو ذاك، كمثل التاتو والقرط وما شابه. تلك الفئة من البشر صُنفت نمطياً بأنها بعيدة عن أي موقف سياسي أو وطني، إنما هذا الحقل ثُبِّتَ لي العكس. أنا في الخيار الصحيح، والشخص الذي لا يشبهني في الشكل قريب مني، فهو يحمل مفهوماً موحداً معي لما نعيشه من أزمات. وربما يكون موجوداً أكثر مني على الأرض في تحدي هذا النظام الأبوي، أو في موقفه من الاحتلال الإسرائيلي، أو موقفه من الشعب الفلسطيني أو أي شعب مظلوم آخر. وكذلك موقفه من أي أسير موجود على الكرة الأرضية. مجتمعنا يضع الناس ضمن عُلب، ويسعى لتقسيمه إلى كانتونات على صعيد الحريات البشر الشخصية. ومن يختلف بميوله الجنسية عني ليس عاجزاً عن إتخاذ موقف إنساني. أو عن تكوين موقف سياسي من الاحتلال الإسرائيلي. تنمحي البشر ليس مقبولاً وليس عادلاً.

○ الحال أسود من محيط العرب إلى خليجهم هل لاح أمل من «سيف القدس»؟

● بالتأكيد. أعطت الأمل للجميع، ولي شخصياً وبقدر ما أعطته لأهل غزة. ومن كان يشكوا من حماس قبل المعركة، ووقف معها خلالها، وليس لنا المزايدة عليه، بل نكون معه. لا شك أن تلك المعركة نثرت الأمل في كل فلسطين. نريد كلّ فلسطين لا غزة منفردة أو بحيرة طبريا أو الجليل. 27 ألف و27 كلم مربع والشهيد المثقف المشتبك باسل الأعرج كان يردد هذه المساحة ويقول إن أعطونا المزيد لن نرفض، فنحن فلاحون ونحب الأرض.

○ سمعتك في حديقة لذيذة تحيي الصامدين والأبطال في فلسطين. هل هي أغنيات جديدة؟

● فلسطين موجودة معي منذ أغنيتي الأولى، ولا تزال وكذلك الأسرى. لست في وارد توجيه التحية، بل هو تذكير دائم بقضية هذا الشعب المغتصبة أرضه والمعتقل شعبه. والإيمان الثابت الذي نعبّر عنه الاحتلال إلى زوال. هذه الثوابت يجب أن نذكرها يومياً كما الصلوات.

○ ماذا عن تعاونك أسلوب رابر برج البراجنة؟

● مجمل أعمالي مع أسلوب، قليل من الأغنيات نفذتها سنة 2012 مع الرابر أحمد من سوريا والمعروف بـال«دوب سناكر». تعاونت معه في مشروعه «خط ثالث» العنوان الناتج عن تصنيفات الناس في سوريا مؤيدي النظام ومعارضيه بعد الثورة وبدء العمليات من قبل «داعش» وجبهة النصرة. نحن لا هذا ولا ذاك، بل في خط ثالث ومع الشعب. وكانت لي أغنيات مشتركة مع يوسف سيوف الشاب الذي لعب على الناي في حفلة لذيذة–مار مخايل. أذاً التجارب معدودة مع يوسف وتجربة يتيمة مع أحمد، وكل ما تبقى مع أسلوب.

○ كنت حاضراً في كافة ساحات الانتفاضة الشعبية في لبنان سنة 2019 هل صدمتك النتيجة؟

● قبل أن نتمكن من استيعاب ما جرى «فجّرونا رسمي». نعم شكلت 17 تشرين أملاً لنا جميعنا، وأي نكسة هي جرح. نعم صُدمت أولاً من كمية التجّار والـ«عرصات» التي كانت معنا في الشارع فقط للوجاهات. صُدمت لكوننا لم نتعلّم في سنة 2011 من مظاهرات إسقاط النظام الطائفي. ولم نتعلم من مظاهرات «طلعت ريحتكم». صُدمت من حجم الملل الذي خلقه لذاتنا قبل أن يصدمني أي آخر. والصدمة الأخرى كانت من تصنيف بعضهم للساحات بين نظيفة ووسخة رغم رفعهم لشعار نصرة المظلوم. والصدمة الأكبر إننا لم ننضج بعد ونحن في خوض دائم لمعارك الوعي.

○ هل وصلتك رسائل من سياسيين لبنانيين أو زعماء الطوائف كتعليك على فنك الجريء؟

● والحمد لله لا.

○ هل تعيش من فنك؟

● أتمنى أن يكون لي أستوديو خاص بي، وأن تكُبر إبنتي بقربي وهي تعزف البيانو.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief: Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/ فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 33 - Issue 10328 Sunday 18 July 2021
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10328 الأحد 18 تموز (يوليو) 2021 – 8 ذو الحجة 1442 هـ

فرنسا: أكثر من ألفي قطعة نادرة من منتجات ميشلان للبيع

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

استضافت دار المزادات Vassy & Jalenques يومي السادس عشر والسابع عشر تموز/يوليو الجاري، في مدينة كليرمون– فيران الفرنسية، مزاد ميشلان، كجزء من الإصدار الثاني والعشرين من الاتفاقية الدولية لهواة الجمع.

خلال هذا المزاد الذي من المنتظر أن يجذب العديد من المعجبين، بما في ذلك من بريطانيا وإسبانيا وبلجيكا وهولندا، أتيحت للزوار أقلام وبطاقات بريدية ودبابيس وأدلة ميشلان ...إلخ، للبيع. حيث كانت نحو 2500 قطعة نادرة تبحث عن مشترين، من بينها نسخ من أدلة ميشلان النادرة للغاية، والتي نُشرت في بداية القرن العشرين.

ويوضح بيير غابرييل غونزاليس منظم المزاد قائلا: «في ذلك الوقت، لم يكن يطبع عدد كبير جدًا من النسخ. وكانت في الغالب أحادية الاستعمال ومجانية. فعندما يكون لديك إصدار عام 1902 غالبًا ما تتخلص من النسخة التي نُشرت في العام السابق».

ويختلف سعر الدليل الأحمر الشهير حسب النسخ: من17 ألف يورو إلى19 ألف يورو بالنسبة لنسخة عام 1900. أما بالنسبة لنسخة 1904 فيتراوح السعر ما بين 8 آلاف يورو إلى12 ألف يورو. ويستخدم السّواح هذه الطبعات لتقييم المؤسسات التي يرتادونها. فهي كانت «تشبه إلى حد ما موقع تريب أدفايزور في ذلك الوقت» يقول بيير غابرييل غونزاليس.

وبسبب الوضع الصحي الناجم عن جائحة كوفيد–19 أوضح منظم الحدث أن هذا العام كان بالتأكيد مختلفا من حيث توافد الزوار، لذلك فإن جزءاً من المبيعات يتم عبر الإنترنت.

وكانت نسخة دليل ميشلان الأحمر الأول المنشور عام 1900 قد بعيت بأكثر من 30 ألف يورو في المزاد الذي أقيم في الرابع والعشرين من تموز/يوليو عام 2020 في كليرمون فيران. وتم الحصول عليها مباشرة من قبل طاهٍ فرنسي حاصل على نجمة. يفرض دليلُ ميشلان اليوم نفسه كأحد أشهر الأدلة السياحية في العالم، وأضحت نجومه التقديرية بمثابة لقب يسعى كل الطهاة إلى التتوج به.

تعود بداية اسم ميشلان إلى الأخرين إدوارد وأندريه ميشلان، اللذين أسسا في أواخر القرن التاسع عشر شركة ميشلان لصناعة الإطارات/العجلات المطاطية، تحديداً في عام 1889 بمدينة كليرمون فيران.

في عام1900 أطلق الأخوان دليل ميشلان، ليقدما من خلاله معلومات تساعد السائقين على التنقل ومواجهة أعطال المركبات، وذلك لتعزيز مبيعات عجلات ميشلان.

أما اليوم، فأصبح دليل ميشلان يغطي معلومات واسعة حول المواقع السياحية والطرق والفنادق والمطاعم حول العالم.

دُمى العيد في غزة صناعة نسائية فلسطينية

تعمل مجموعة من السيدات الفلسطينيات في قطاع غزة، بشكل متواصل، لإنتاج أكبر عدد من دُمى الأطفال، قبل بدء عيد الأضحى، الموافق 20 تموز/يوليو الجاري.

على طاولة مستطيلة، في مقر جمعية زينة التعاونية (غير حكومية) تضع السيدات الدُمى التي تم إنجازها وأخذ أبرزها شكل «الخروف» التي صُنعت باستخدام خيوط الصوف البيضاء والبنيّة اللون.

هذه الدُمى، محشوّة بالقطن، ومصنوعة من مواد خام بسيطة كالصوف والقماش والخرز.

يعتبر العيد، من أبرز المواسم، الذي تنشط فيه أعمال تلك السيدات، اللواتي يعشن في منطقة مُهمّشة تقع شمالي قطاع غزة، ويطلق عليها اسم «قرية أم النصر» المعروفة بظروف معيشتها القاسية، وبتردي الأحوال الاقتصادية لسكانها.

سناء الأشقر (45 عاما) تجلس أمام تلك الطاولة، تحاول الانتهاء من جسم دمية الخروف، من خلال حياكة خيوط الصوف لتُعطي الشكل المطلوب.

بلاصق من السيليكون، تُثبّت رأس الخروف الذي شكّلت لتوّها ملامحه، على الجسد، لتبقّى عليها بعض اللمسات الأخيرة لإنجاز الدمية كاملة.

تقول إنها تعتمد على هذا العمل لإعالة أسرتها المكوّنة من 6 أطفال، فيما يعاني زوجها من البطالة.

بدأت الأشقر هذا العمل، منذ نحو 3 سنوات، بعدما تلقّت دورة تدريبية داخل مقر الجمعية، لتتقنه لاحقا.

لكنها تضيف إن الدخل المادي، العائد عليها من صناعة هذه الدُمى المخصصة في مواسم الأعياد والمناسبات الأُخرى، لا يكفي لتلبية احتياجات عائلتها الأساسية.

وتستكمل قائلة:» يكفي هذا العائد لتغطية ما يقارب الـ10 أيام، فيما اعتمد بعد ذلك على راتب تصرفه وزارة التنمية الاجتماعية (يصرف كل 3 شهور مرة) والمساعدات الإغاثية والإنسانية».

مع ذلك، تبقى مهنة صناعة الدُمى من المهن الممتعة المحببة إلى قلب الأشقر، حيث تهرب عبرها من الواقع المعيشي الصعب، وفق قولها.

ويعاني سكان غزة أوضاعا معيشية متردية للغاية جراء حصار إسرائيلي متواصل للقطاع، منذ أن فازت حركة «حماس» بالانتخابات التشريعية في 2006.

وتزيد من معاناة هؤلاء الفلسطينيين اعتداءات عسكرية إسرائيلية على غزة من حين إلى آخر، أحدثها عدوان بين 10 و21 مايو/ أيار الماضي.

التحاق النساء في الدورات التدريبية لهذه الجمعية، والبدء بالعمل في أنشطتها، يُعدّ كسرا للعادات والتقاليد السائدة في قرية «أم النصر» التي تعاني فيها النساء من أنواع التهميش، على حدّ قول غدير تايه (29 عاما) رئيسة لجنة الرقابة في الجمعية.

وتضيف تايه:» في بداية عملنا في هذه المنطقة، وجدنا صعوبة في استقطاب السيدات للدورات التدريبية، والعمل في صناعة الدُمى، لكن بعد فترة بدأت النساء ترتاد المكان وبدأت العائلات تعكف على تسجيل أسماء أطفالها لتلقّي خدماتنا الأُخرى». وتذكر أن مشروع صناعة الدُمى ينشط خلال فترة الأعياد، سواء تلك التي تحمل أشكال الخراف والأغنام أو التي على شكل أطفال.

كما تستهدف النساء في صناعة الدُمى الأطفال ذوي الإعاقة، حيث يتم إعداد الألعاب التي تتناسب مع ظروفهم الخاصة.

وتبيّن أن نحو 14 سيدة، من قرية «أم النصر» تعمل في هذه الجمعية بمجال صناعة الدُمى، والذي يعود عليهن بمردود مادي.

وتوضح تايه أن هناك إقبالا من الفلسطينيين على شراء هذه الدُمى المشغولة يدويا لأطفالهم، خلال موسمها، حيث تتميز بسعرها المناسب.

وتشير أن تسويق هذه الدُمى يتم إما عن طريق الصفة الاعتبارية للجمعية على وسائل التواصل الاجتماعي، أو عن طريق المعارض.

وتلفت أن الجمعية نجحت في تسويق منتجاتها في الضفة الغربية، وتصديرها إلى دول أجنبية كسويسرا، وإيطاليا. وتعرب تايه عن آمالها في تصدير هذه الدُمى إلى «جميع أنحاء العالم».

وتأسست جمعية زينة التعاونية عام 2015 وتهدف للتمكين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي، وتنتج ألعابا تعليمية وتربوية للأطفال ومنتوجات خشبية منوعة. (الأناضول)